مناهج

الدعوة إلى الله تعالى

أساليبها * ووسائلها * وتطبيقاتها

تأليف
الدكتور / جلال سعد البشار
أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية المساعد
بجامعة الأزهر

١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م

الطبعة الأولى ١٩٩٩م

رقم الايداع ١٨٦٨ / ٩٩
I. S. B. N. 977-19-7903-5

إهداء

لمن أهدي هذا الكتاب ؟
أهدي هذا الكتاب إلى نجلي حمدي
وسائر أبناء جيله من شباب الدعاة
ليكون علامة هادية لهم في معترك الحياة
العملية في الدعوة إلى الله .



﴿ ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة
وجادلهم بالتى هى أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن
سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴾ النحل آية ١٢٥

صدق الله العظيم

المقـدمـــة

الحمد لله رب العالمين ، القائل فى كتابه المبين ، مخاطبا رسوله الأمين :-

﴿ يأيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ﴾ [١] ، وأثنى على صحابته المؤمنين ، الدعاة المخلصين ، فقال :

﴿ الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولايخشون أحدا إلا الله وكفى بالله حسيبا ﴾ [٢] .. والصلاة والسلام على من أرسله الله رحمة للعالمين وهداية للمتقين ومعلما للخلق أجمعين ، أمام المجاهدين ، وقائد الغر المحجلين ، والدعاة إلى الله المخلصين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم صادق الوعد الأمين وعلى آله وصحابته والتابعين ومن تبعهم على هديهم باحسان إلى يوم الدين .

وبعد ...

فقد اقتضت رحمة الله تعالى بعباده أن يرسل إليهم رسلا يدعونهم إلى اتباع هداه والتزام دينه وتوحيده والقيام بعبادته ، حيث يذكر الله تعالى بعد إهباط آدم عليه السلام مع حواء إلى الأرض وطرد ابليس بمعصيته وتحديه أمر الله وخروجه عليه أن النجاة والخلاص والفوز بالجنة والنجاة من النار ، والأمن والاستقرار فى الدنيا والاخرة لمن سار على هداه والتزم طريق الحق واهتدى بكتاب الله تعالى وآمن برسله فقال تعالى : ﴿ قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولايشقى ، ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾ [١] .. وتوالت رسل الله تترى

---

(١) الأحزاب (٤٥ -٤٦) .

(٢) الأحزاب (٣٩) .

(١) طه (١٢٣ - ١٢٤) .

كل أمة يأيتها رسولها مبلغا عن الله ، هاديا إليه ، معلما ما يجب الالتزام به والسير عليه للفوز.. ويقص القرآن الكريم قصصهم مع أقوامهم ومحوراتهم مع أهل الباطل والضلال ، ومقارعة الحجة بالحجة ، وإقامة الأدلة والبراهين على صدق دعواهم .. وما حاق بمخالفيهم من العقوبات ، ومن خلال سياق هذا القصص والمحاورات وإثبات الحقائق ، ومحق الباطل كانت المناهج الدعوية وأساليب التبليغ ووسائل التطبيق وركائز الجدل والحوار وأصول الدعوة العملية والنظرية .

ثم ختموا ببعثه رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم بشريعة كاملة تامة شاملة عامة ختمت بها كل الشرائع فاتسمت بالتمام والكمال ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الأسلام دينا ﴾ (٢) .

والإسلام هو دين كل الأنبياء والمرسلين من لدن آدم إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، والرسالات السابقة إنما كانت مراحل تكوين فى الشريعة الإسلامية ملائمة للزمان التى كانت فيه والبشر المخاطبين بها ، وقد كان كل نبى يبعث إلى قومه خاصة بينما بعث رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة ، وكتابه القرآن الذى شمل كل شئ فى الحياة وبعد الممات ﴿ ما فرطنا فى الكتاب من شئ ﴾ (٣) ، وقد صور لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم علاقته بالرسل السابقين صلوات الله عليهم أجمعين وهى علاقة اشتراك واتمام حيث بدأوا وأبلغوا إلى إن تم البناء العقدى والتشريعى والأخلاقى بإتمام محمد صلى الله عليه وسلم له ، فيقول : ﴿ مثلى ومثل النبيين من قبلى كرجل ابتنى بيوتا فأحسنها وأجملها وأكملها إلاموضع لبنة من زاوية من زواياها فجعل الناس يطوفون ويعجبهم

---

(٢) المائدة من اية (٣) .

(٣) الأنعام من اية (٣٨) .

البنيان فيقولون : الاوضعت ها هنا لبنة فيتم بنيانك فقال محمد صلى الله عليه وسلم فكنت أنا اللبنة ﴾ وفى روايه أخرى : فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين (١)

ويقول : (إنما بعثت لاتمم مكارم الأخلاق) ، فلفظ أتمم مشعر بمن بدأ البناء وبداية الإنشاء ، ثم جاء ليتم ما بدئ ، وليكمل ما بقى إلى إن وصل الذروة وقد هيمن كتابه القرآن على كل ما فى الكتب التى أنزلت عليهم ، فيقول تعالى ﴿وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ..﴾ (٢)

وقد ألفت فى مجال الدعوة الكثير من البحوث والكتب ، بينت قواعدها ومناهجها كإبراز دعوات الرسل أجمعين من خلال القرآن والسنة ، والتاريخ والسير ، وقد وضعت مؤلفات فى دراسة أركان الدعوة من حيث الموضوع والداعى ، والمدعو ، وشروط كل وضوابطه وماله من حقوق وما عليه من واجبات ، وما يجب مراعاته فى عمليات التبليغ وابراز المناهج والأساليب الدعوية .. إلا أن هذه الدراسات اتسمت بأنها تميل إلى الجانب النظرى أكثر منه إلى الجانب التطبيقى العملى المؤثر ، وليس هذا عيبا فى هذه الدراسات أو تلك المؤلفات فهى تناسب الإعداد النظرى للداعى وما ينبغى إن يكون عليه .. وما يراعيه فى المباشرة العملية للتبليغ.....

ولكن الاكتفاء بمجرد العلم النظرى فقط لا يؤدى الغاية من هداية الناس فلا بد من الأداء الفعلى والحركة الدعوية وتطبيق ما عرف من القواعد الدعوية .. وإلا .. فما الفائده من إلمام الداعى بكل قواعد التبليغ ، وضوابطه ، والخلافات والردود والاعتراضات دون أن يستفيد من ذلك جمهور المسلمين –وهم المقصودون بالدعوة– فى الاهتداء إلى الحق والصواب والتزام دين الله ؟ وما قيمة إن يعلم دارس

(١) رواه مسلم – كتاب الفضائل – ذكر كونه خاتم النبيين ح ٢٢٨٦ .

(٢) المائدة من اية (٤٨)

الدعوة آداب الداعى ومنها كذا وكذا ولا يمارسها عمليا ليستعين بها ، وقد نرى عجبا من يدرس الصبر وتعريفاته وأنواعه - مثلا وهو ضيق الصدر ضجور ، ويدرس العلم بالدعوة وهو لا يحفظ شيئا من القرآن أو السنه وهما المصدران الرئيسيان للدعوة ويدرس ضرورة التواضع ثم يتعالى ويتكبر على المدعوين وغيرهم اعتقادا منه أنه خير منهم ؟ويدرس الزهد والسخاء وهو طامع بخيل ، وما معنى أن يدرس حقوق المدعو ومنها عدم الأستهانة به ومراعاة شعوره ثم يتعالى عليه مجانبا فى ذلك هدى النبى صلى الله عليه وسلم ، ويدرس الأساليب وأنواعها ، ثم يجمد نفسه على أسلوب واحد مع جميع أصناف المدعوين دون أى اعتبار لأحوالهم ، مسويا فى ذلك بين العوام والخواص وبين العلماء والأميين ، وبين المسالمين والمعاندين ..واذا كان هذا الداعى يمارس دعوته فى مكان ما - فهل رسم خطة دعوية لإصلاح مجتمعه الذى يدعو فيه؟

عليه مثلا تحديد أنواع المعاصى والمخالفات الشرعية ورسم خطة دعوية لعلاج كل معصية أو مخالفة .. أنه قد درس مناهج الدعوة فى التبليغ ، ولكن أين هى ؟ وأين تطبيقاتها فى واقع الحياة العملية ؟

إن اخطاء الدعاة - دون قصد وبحسن نية - فى عملية التبليغ قد تصرف الناس عنهم وعن سماع دعواتهم ، وإن التخطيط الجيد للدعوة الذى يراعى فيه نوعية المدعوين وما يلائمهم ويناسب بيئاتهم مفيد جدا ومثمر فى القبول بإذن الله ، وإن إشعار الداعى مدعويه بأنه واحد منهم يشاركهم آلامهم وآمالهم ، أحزانهم وافراحهم يعقد صلة روحية بينه وبينهم ويفتح قلوبهم لما يدعو إليه ويرشدهم إلى اتباعه بالأساليب الملائمة لهم .. أضف إلى ذلك إخلاص الداعى وصدق دعوته فيتوجه بكل عمل له إلى الله يطلب رضاه وعونه على هدايته للناس ولا يقصد ، بملاطفة مدعويه

التزلف إليهم أو التباهى بكثرتهم ، وإنما يهدف إلى تهيئة نفوسهم لقبول الدعوة وسماعها ولتكون بينهم محبة فى الله خالصة .

فالجانب العملى فى الدعوة وإعداد الدعاة ضرورى جدا للنجاح فى الدعوة كما أن التخطيط للدعوة وعملية التبليغ لا يمكن إغفاله وإلا كانت خطوات الداعى خبط عشواء ، وكانت مواعظه كعلاج مسكن وليس قالعا للمرض ، فإن الداعى فى مجتمعه طبيب القلوب ، وإن العصاة والمذنبين مرضى ، وإن موضوعات المواعظ والإرشادات هى العلاج لقطع المرض وإزالة المعصية بعد التشخيص ومعرفة السبب فإن الطبيب فى علاج المريض يضع خطة لعلاجه وطريقة تناول الدواء .

وينبغى الإشارة إلى أن جميع الأمراض الدعوية فى المجتمعات لها أصل واحد وهو مخالفة الكتاب والسنة ، وإن العلاج من أصل واحد ، هو العودة إلى الكتاب والسنة ، فلينظر الداعى طبيب الروح والقلب كيف يعطى المريض الدواء ؟ وهل سيكون هذا الدواء وطريقة إعطائه سببا فى الشفاء ، أو طريقا إلى موته بدوامه على المعصية التى قد تؤدى إلى الكفر والعياذ بالله ؟

وعندما أخط هذه السطور لتجلية هذه الحقائق العملية فى تبليغ الدعوة فليس ذلك ضربا من الخيال أو الوهم أو الأمانى بعيدة المنال ، وإنما هو خلاصة تجربة عملية فى الدعوة إلى الله تعالى باشرتها أثناء الدراسة الأكاديمية بتخصص الدعوة ، وفى حياتى العملية بوزارة الأوقاف ثم كلية الدعوة الإسلامية فبعد الدراسة العلمية الأكاديمية مارست الدعوة عمليا فى بعض القرى والمدن ، منفرداً أو ضمن قوافل دعوية وكنت أحدد طريقة الدعوة حسب ما أعلمه عن المدعوين ، وأقوم بتوفيق الله لى بعلاج بعض المخالفات الشرعية وفق خطة محددة فى ذهنى ، وفى أوراقى الخاصة فقط .. فعند الممارسة لم يشعر احد من المخالفين بأننى أتعالى عليه ،

واثقل عليه بنصائحى ، وإنما يحول بينه وبين هذا الإحساس رابطة المحبة والاحترام المتبادل بيننا فلا يجد أمامه إلا الاستجابة بإذن الله .

وقد تكونت هذه الدراسة من تمهيد وبابين وخاتمة :

فأما التمهيد: فقد عرضت فيه لبعض المصطلحات الدعوية والتى لها علاقه بموضوعنا كتعريف الدعوة وأركانها وموضوعها وركائزها وحكمها .. الخ

وأما الباب الأول : فقد تضمن تحديدا وافيا لمعانى كل من المنهج ، والأسلوب والوسيلة فى مجال الدعوة والتبليغ ، مع تصنيف للمدعوين ، وتطبيقاً لذلك بضرب أمثلة من قصص الأنبياء ومناهجهم من القرآن الكريم مع نماذج متقابلة غيرقرآنية .

وأما الباب الثانى:ففيه بيان لمناهج دعوة المسلمين ، ومناهج دعوة غير المسلمين مع إبراز سمات كل منهج على حدة وإتباعه بنماذج دعوية من القرآن والسنة ومن غيرهما ، فكان إيراد كل منهج وتحديده فى فصل ثم يليه فصل آخر لعرض النماذج فى عدة مباحث ، ويتم التعقيب بعد كل نموذج على حدة لإيضاح الغاية من إيراده ، وإبراز الأسلوب الدعوى فيه ومدى ملاءمته للمدعو.

وقد ذيلت هذا الباب بفصل وضعت فيه تصورا لما ينبغى إن يتوفر فى الداعى من مكونات فطرية فى شخصيته وسلوكه ، وما يجب إن يتلقاه من تدريب عملى فى مجال الدعوة مع متابعته من مشرفى التدريب لتوجيهه وإرشاده واستدراك السلبيات ، وذلك ليستطيع أن يباشر عملية الدعوة فى حياته العملية بنجاح واقتدار.

واذا كان المنهج يعنى خطة التبليغ فإن تطبيقات خطواته تكون بالأسلوب المناسب والوسائل الملائمة لظروف المدعوين ، وهذا يتطلب إلماما كاملا بأحوال

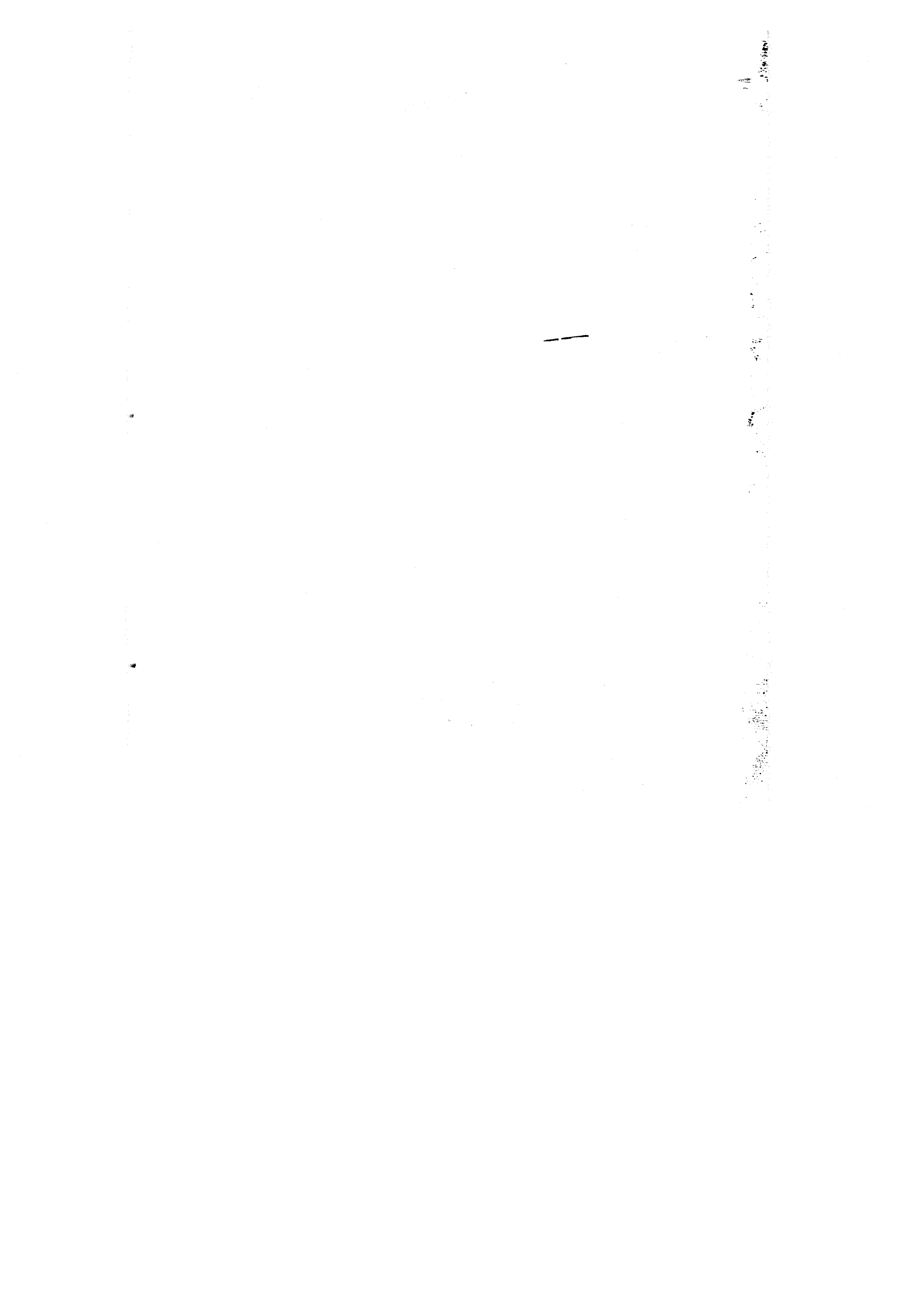
المدعوين من حيث الطباع والبيئة والثقافة وإن المجال العملى فى واقع الحياة الدعويه يقوم على العلم بالمدعوين وعلى أساسه يتم وضع المنهج برسم خطة ، وتحديد خطوات فىدعوتهم تناسب ما هم عليه ، وتحديد أولويات العلاج اذا تعددت المعاصى ..

وخطوات المنهج التى حددت لابد لتطبيقها من اختيار الأسلوب المناسب لكل مدعو، من حيث توجهها إلى العقل أو القلب لإيصال الحقيقة الدعوية إلى المدعو حسب حاله . أما الوسيلة فهى الصورة التى يتم الأتصال بهم والألتقاء معهم لتبليغ الدعوة وهذا مما يجب معرفته وتحديده ، والاكانت الدعوة والتخطيط لها مجرد خيال فى عقل الداعى ، وأمنية بعيدة المنال ، وحبرا على ورق ..

ونؤكد على إن تحديد المنهج بوضع خطواته ، وتطبيق الأساليب المناسبة لحال المدعولتنفيذ منهج دعوته ، واختيار وسيلة الدعوة الملائمة لظروف المدعوين - كل ذلك اسس هامة وقواعد تبليغ لمناهج دعوة المسلمين ، وغير المسلمين على حد سواء ، مع اختلاف الركائز النفسية .

والله أسأل إن يوفقنى وسائر المسلمين إلى الحق والصواب وأن يهدينا سواء السبيل وأن يجعل هذا العمل الذى هو جهد المقل مساهمة يسيره فى مجال الدعوة خالصا لوجهه الكريم ، فإذا وفقت فيه فالفضل كله لله العلى الكبير، واذا كانت الأخرى فطبيعة العبد هى التقصير، والله اسال العفو والمغفرة فهو اهل لذلك وهو نعم المولى ونعم النصير.

المؤلف
د/ جلال سعد البشار
استاذ الدعوة المساعدة بكلية الدعوة الأسلامية
جامعة الأزهر بالقاهرة



الباب الأول

الدعوة إلى الله بين المناهج والأساليب والوسائل

تمهيــــــــد

مقدمات ومفاهيم دعوية

* الـــدعـــوة فى القرآن والسنـــــة.
* التعريف بالـدعـــوة إلى اللـــــه.
* ركائـــز تبليـــغ الـــدعـــوة .

الدعوة فى القرآن والسنة

لما خلق آدم وسواه بيده ونفخ فيه من روحه ، أمر الملائكة بالسجود له فاستجابوا لأمر الله تعالى فسجدوا كلهم أجمعون إلا إبليس عليه لعنة الله فأبى واستكبر وكان من الكافرين ، فسق عن امر ربه ورده عليه إمعانا فى الرفض والامتناع ، فطرد من رحمة الله تعالى ، قال تعالى : ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون ، فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين ، فسجد الملائكة كلهم أجمعون ، إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين ، قال ياإبليس مالك إلا تكون مع الساجدين ، قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون ، قال فاخرج منها فإنك رجيم وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين ﴾ (١) إلا أن إبليس اللعين يطلب من الله إنظاره إلى يوم القيامة لأنه يعلم تماماً أن الموت والحياة بيد الله جل وعلا ولا دخل لمخلوق أياً كانت منزلته وقدراته فى تحديد الآجال ، فيقول طالباً من الله ذلك " قال رب فأنظرنى إلى يوم يبعثون ، قال فإنك من المنظرين ، إلى يوم الوقت المعلوم " (٢) وهنا يعلن إبليس تحديه وحقده على آدم وذريته إلى يوم القيامة فيقول : " قال رب بما أغويتنى لأزينن لهم فى الأرض ولأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين " (٣) ومع أن إبليس يعلن حربه على ذرية آدم بدعوتهم إلى الضلال والغوايه إلا أنه يعلن عجزه أمام

---

(١) الحجر (٢٨ - ٣٥) .

(٢) الحجر (٣٦ - ٣٨) .

(٣) الحجر (٣٩ - ٤٠) .

العباد المخلصين المؤمنين الذين تمسكوا بدينهم وعبادة ربهم ، فخنس الشيطان عنهم

وفى موضع آخر يبين ربنا جل ذكره أن الشيطان يتربص بنا فى كل طرق الخير ليَصدنا عنها ويمنعنا أياها بدعوتنا إلى المعاصى وصرفنا عن الطاعات فيقول تعالى : ﴿ قال فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم ، ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين ﴾ (١) والمراد " أى أترصد بهم كما يقعد القطاع للسابله ، أقعد لهم فى طريق الإسلام – لصدهم عنه – وسآتيهم من جمع الجهات مثل قصده إياهم بالتسويل والاضلال من أى جهه يمكنه الإتيان منها ..... ويقول ابن عباس رضى الله عنهما : من بين إيديهم من قبل الآخره ومن خلفهم من قبل الدنيا وعن إيمانهم وعن شمائلهم أى من جهه حسناتهم وسيئاتهم ... " (٢) ويعتمد الشيطان فى تضليله ووسوسته على الكذب والخداع ويدخل إلى القلب من محاب النفس ومشتهياتها ، ففى غوايته لآدم وحواء بعد أن دخلا الجنة يمنيهما بالملك والخلود بعد القسم الكاذب لهما ، فيقول تعالى ﴿ فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما مايورى عنهما من سوآتهما ، وقال مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ، وقاسمهما إنى لكما لمن الناصحين ﴾ (٣) .

لقد وقعا فى شرك الشيطان مع أن الله حذرهما منه ونهماهما عن الأكل من الشجرة ، والله يقول ﴿ وإذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى

---

(١) الأعراف (١٦ - ١٧) .

(٢) تفسير البيضاوى جـ١ بتصرف "

(٣) الاعراف (٢٠ . ٢١)

فقلنا يـاآدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ، إن لـك إلا تجوع فيها ولا تعرى وإنك لا تظمأ فيها ولا تضحى ، فوسوس إليه الشيطان قال يـاآدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ﴾ (١) وأى نفس ترفض هذا العرض المغرى ؟ الملك الدائم والخلود ، فإن غريزة التملك ، وحب البقاء من مركبات النفس الإنسانية فاستجابا له وأكلا من الشجرة ووقعت المعصية من آدم إلا أنه رجع وتاب إلى الله فقبل الله توبته وغفر له ، ثم أهبط الجميع آدم وحواء والشيطان ، يقول تعالى﴿ فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ، عصى آدم ربه فغوى ، ثم إجتباه ربه فتاب عليه وهدى ، قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى﴾ (٢) فقد أمرهما الله تعالى بالهبوط أى أمر آدم وحواء ، أو لـــــه ولابليس ، ويمكن أن يكون الخطاب للفريقين آدم وحواء فريق التائبين الراجعين إلى الله [illegible]مين على المعصية وفريق الغواية والتضليل ، وكلا الفريقين عدو للآخر فالعداوه قائمة بين الإنسان والشيطان إلى يوم الدين ، والمراد بقوله : ﴿ فإما يأيتنكم منى هدى ﴾ أى كتاب ورسول فمن اتبع هداى أى كتبى ورسلى فلا يضل ولايشقى (٣) اهبط الفريقان الإنسان والشيطان إلى الأرض فى أطول صراع بين الحق والباطل ، والنور والظلام إلى يوم القيامة ، ولما كانت رحمة الله قد اقتضت ارسال رسل من البشر اليهم يرشدونهم إلى الحق والإيمان ، ويحذرونهم من الشيطان وجنوده الداعين إلى النار ، فكان الإنسان بين دعوتين دعوة الشيطان إلى النار بإقتراف المعاصى والسيئات ، والكفر والضلال ، ودعوة رسل الله صلوات الله عليهم

---

(١) طه (١١٥ - ١٢٠) .

(٢) طه الآيات (١٢١ - ١٢٣) .

(٣) أنظر : البيضاوى بتصرف جـ٢ .

أجمعين إلى الله والإيمان به وتوحيده وعبادته ﴿ رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً﴾ (١) وحتى لاتكون للناس على الله حجة فيقولوا : ﴿ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى ﴾(٢) ويقول تعالى ﴿ وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا حتى اذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا ، قالوا بلى ، ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين﴾ (٣) فالعذاب على أساس تبليغ الرسل أقوامهم وتعريفهم بما يجب عليهم نحوربهم ، ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ (٤) .

فبعث الله رسله رحمة لعباده ولتعريفهم بربهم وتوحيده وعبادته ودعوتهم إلى الإيمان به سبحانه وتعالى ، وهؤلاء الرسل صلوات الله عليهم أجمعين بدؤا بنوح عليه السلام وختموا برسل الله محمد صلى الله عليه وسلم منهم من ذكر في القرآن بأسمه أو بطرف من سيرته مع قومه ودعوته لهم ، ومنهم من لم يذكر في القرآن تفصيلاً بل بالإشارة اليه مع غيره إجمالا ، وقد بين الله هذا لرسوله صلى الله عليه وسلم فقال ﴿ إنا أوحينا اليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط وعيس وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا. ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما﴾(٥) ، فالرسل صلوات الله عليهم دعوتهم واحدة

---

(١) النساء (١٦٥) .
(٢) طه من آية (١٣٤) .
(٣) الزمر (٧١) .
(٤) الإسراء من آية (١٥) .
(٥) النساء (١٦٣ ، ١٦٤) .

ودينهم واحد يدعون إلى اله واحد - إلى أن تم الدين وأكتمل البناء وتمت النعمة على العباد ببعثه النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، فقال تعالى : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الا سلام دينا﴾(١) وقال عن نبيه : ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾ (٢) وقال مبيناً وحدة دعوات الرسل إلى التوحيد والإيمان ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا اله الا أنا فأعبدون﴾ (٣) فالدعوة إلى التوحيد والعبادة .

فالدعاة إلى الله تعالى يدعون إلى الإيمان والتوحيد وتلبية نداء الفطرة فى التدين الصحيح ، ودعاة الشيطان : ابليس وجنوده - يدعون إلى النار والمعصية ومخالفة هدى الله الذى جعل الله الهداية والأمن والإستقرار لمن اتبعه والتزمه لأن الشيطان يهدف إلى حرمان البشر من الجنة التى حرم منها بمعصيته ، وإلى اشقائهم فى الدنيا والآخرة .

الشيطان يدعو إلى المعصية : قد تحدث القرآن عن علاقة الشيطان بالإنسان وأنها علاقة عداوة يدعوه من خلالها إلى النار بتزيين المعصية له وتهوينها عليه وينسبة ذكر ربه فيقع الإنسان فيها ويقترفها ، وعند الحساب يوم القيامة يتنصل الشيطان منها ويلقى اللوم على من اتبعه بفعلها ، فيقول تعالى ﴿ ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير﴾ (٤) ويقول : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر﴾ (٥) وعن تنصله من المسئولية يقول : ﴿ وقال الشيطان لما قضى

---

(١) المائدة من آية (٣) .

(٢) الأحزاب آية (٤) .

(٣) الأنبياء (٢٥) .

(٤) فاطر (٦) .

(٥) النور من آية (٢١) .

الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى انى كفرت بما أشركتمون من قبل ان الظالمين لهم عذاب أليم﴾(١) فنهى الله تعالى عن موافقة الشيطان فى أى خطوة يدعو إليها ، فخطوات الشيطان هى منهج دعوته إلى الضلال وطرقه فى الغواية والجذب اليها هى أساليبه فى دعوة الشر ، والدعاة إلى الله لابد أن يحذروا من كل خطواته والاحتياط لكل أساليبه فالصراع قائم دائم .

حديث القرآن عن دعوات بعض الرسل :

وقد تحدث القرآن الكريم عن دعوات رسل الله تعالى ، وخص بالتفصيل بعضا منها ساقها للعبرة والعظة ولتسلية رسوله صلى الله عليه وسلم ، فتحدث عن نبيه نوح عليه السلام وما كان من أمره مع قومه وما اتبعه معهم من أساليب الدعوة وطرقها ، فى مواضع عديدة من القرآن منها سوره باسمه ، سورة نوح : ﴿قال رب إنى دعوت قومى ليلا ونهاراً فلم يزدهم دعائى الا فراراً ، وانى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم واصروا واستكبروا استكباراً ثم إنى دعوتهم جهاراً ، ثم انى أعلنت لهم وأسررت لهم إسراراً ﴾(٢) ومع كل هذا الجهد الشاق فى الدعوة ما آمن معه الا قليل .

ويتحدث عن صالح عليه السلام مع قومه عندما دعاهم إلى عبادة الله وترك عبادة الأصنام فقال : ﴿ وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو أنشأكم من الآرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربى قريب مجيب ، قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما

---

(١) إبراهيم من آية (٢٢) .

(٢) نوح من (٥-٩) .

يعبد آباؤنا واننا لفى شك مما تدعونا اليه مريب﴾ (١) وقد ذكرت القصة فى مواضع عديدة ، وغير ذلك الكثير من الرسل صلوات الله عليهم ، ذكر قصصهم أو أطراف منه كقصة إبراهيم مع قومه ، وموسى مع بنى اسرائيل ، وداود وسليمان ، ويونس ، وعيسى ، وشعيب صلوات وتسليماته عليهم أجمعين ، وقصصهم يعتبر من أهم مصادر مناهج الدعوة إلى الله وأساليبها ووسائلها ، كما أنه زاد للدعاة فى ممارسة الدعوة من اكتساب الثبات والصبر والإلمام بأحوال المدعوين .

وقد عنيت بتفصيل قصص الرسل السابقين ودعواتهم فى القرآن كتب تاريخ الدعوة حيث فصلت القول مع الإشارات إلى بعض العبر.

حديث القرآن عن امام الدعاة خاتم النبيين :

لقد تحدث القرآن عن رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته ومخاطبا له بالأوامر والنواهى والاخبار مزودا إياه بأصول الدعوة إلى الله تعالى موجهاً إياه إلى الدعوة بكل مراحلها وصورها وأشكالها ، فقال تعالى : ﴿ قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيره أنا ومن أتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾ (٢) وقال عنه ﴿ يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيرا ، وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً﴾(٣) وقال : ﴿ هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره

---

(١) هود آيتا (٦١ ، ٦٢) .

(٢) يوسف (١٠٨) .

(٣) الأحزاب (٤٥ - ٤٧) .

المشركون﴾[١] ، وخاطبه قائلاً : ﴿ انا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً ولاتسأل عن أصحاب الجحيم ﴾[٢] ، وقد بين الله تعالى أن رسالته صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين جميعاً حيث يخرجهم من الظلمات إلى النور يدعوهم إلى ما يصلح دنياهم وآخرتهم ، فقال تعالى : ﴿ وما أرسالناك إلا رحمة للعالمين﴾ [٣] وقال : ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لايعلمون﴾ [٤] وهذه الرسالة المبلغة إلى العالمين قد تلقاها من ربه وتعلمها من وحيه اليه الذى أمره فى اللقاء الأول بالقراءة فقال : ﴿ اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق إقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ [٥] وقال ، ممتنا عليه : ﴿ وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً ﴾[٦] .

وقد قام النبى صلى الله عليه وسلم بتنفيذ أمر ربه بتبليغ ما أنزل الله عليه إلى الناس ، فقال تعالى : ﴿ كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾[٧] .

---

(١) التوبة (٣٣) .

(٢) البقرة (١١٩) .

(٣) الأنبياء (١٠٧) .

(٤) سبأ (٢٨) .

(٥) العلق (١ - ٥) .

(٦) النساء (١١٣) .

(٧) البقرة (١٥١) .

أمره صلى الله عليه وسلم بالدعوة :

وقد أمره الله تعالى بالدعوة اليه سبحانه أمراً صريحاً واضحاً ، فقال سبحانه عز من قائل : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾(١) وهذه الآية اشتملت على الأمر بالدعوة وأساليب التبليغ .

ويقول تعالى : ﴿ لكل أمه جعلنا منسكاهم ناسكوه فلا ينازعنك فى الأمر وادع إلى ربك انك لعلى هدى مستقيم ، وان جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون﴾(٢) أى ادع الله ولاينازعك أصحاب الملل الأخرى والأهواء ولاتمكنهم من المجادلة المؤدية إلى النزاع فهم غير طالبى حق .

ويقول : ﴿ ولايصدنك عن آيات الله بعد اذ أنزلت اليك وادع إلى ربك وتكونن من المشركين ، ولاتدع من الله الها آخر لا اله الا هو كل شىء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون ﴾(٣) .

ويقول تعالى : ﴿ فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولاتتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لاعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لاحجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا واليه المصير﴾(٤) .

وقال تعالى : ﴿ وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل أولم تكونوا اقسمتم من قبل ما

---

(١) النحل (١٢٥) .

(٢) الحج (٦٧ ، ٦٨) .

(٣) القصص (٨٧ ، ٨٨) .

(٤) الشورى (١٥) .

لكم من زوال﴾(١) ويقول آمرا إياه بالبدء بإنذار عشيرته : ﴿ ولاتدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين وأنذر عشيرتك الأقربين ، وأخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ﴾ (٢) وقال فى أول ما نزل فى الإنذار والدعوة : ﴿ يا ايها المدثر ، قم فأنذر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر ولاتمنن تستكثر ولربك فا صبر﴾ (٣) فقد ذكر المفسرون أن سورة المدثر من أول ما نزل فى الأمر بتبليغ الدعوة وإنذار الناس .

أمر الأمة بالدعوة إلى الله :

وكما أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بتبليغ الدعوة وهداية الخلق إلى طريق الحق أمر أمته كذلك ، فقال تعالى مخاطباً الأمة : ﴿ ولتكن منكم أمه يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾(٤) فقد ربط الله بين الفلاح وبين الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والدعوة إلى الله ، كما ربط بين خيرية الأمة وبين القيام بذلك الواجب فى قوله : ﴿ كنتم خير أمه أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن من أهل الكتاب لكان خيراً لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون﴾(٥) وقد بين أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من سمات المؤمنين فقال تعالى : ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم

---

(١) ابراهيم (٤٤) .

(٢) الشعراء (٢١٣ - ٢١٥) .

(٣) المدثر (١ - ٧) .

(٤) آل عمران (١٠٤) .

(٥) آل عمران (١١٠) .

أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاه ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم﴾(١)

وقال : ﴿ التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين﴾(٢) وقد أكد رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذا الواجب أى واجب الدعوة إلى الله فقال : " من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لاينقص ذلك من أجورهم شيئاً ، ومن دعا إلى ضلاله كان عليه من الإثم مثل إثم من تبعه لاينقص ذلك من آثامهم شيئاً " (٣) كما روى عنه أنه قال : " الدين النصيحة قلنا لمن قال : لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم"(٤)

ونراه أيضاً يؤكد على ضرورة تغيير المنكر بقدر الاستطاعة فيقول : " من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان"(٥) .

---

(١) التوبة (٧١) .

(٢) التوبة (١١٢) .

(٣) رواه مسلم عن ابى هريرة - كتاب العلم - باب من سن حسنه أو سيئة - ومن دعا إلى هدى أو ضلاله .

(٤) رواه مسلم - كتاب الإيمان - باب الدين النصيحة - عن القعقاع والبخارى كتاب الإيمان .

(٥) رواه مسلم عن أبى شريح الخزاعى - كتاب الإيمان - باب كون النهى عن المنكر من الإيمان - والبخارى فى كتاب العلم .

وقد روى عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال :- " أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر" أى دعوته وارشاده بالطريقة التى تليق به .

واذا أهملت الأمة واجب الدعوة إلى الله تعالى ساد الفساد وعمت الفوضى وصار المنكر معروفا والمعروف منكرا لغربة الاسلام عن أهله فتحل اللعنة ويقع العقاب على الجميع .

فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : " والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم"(١)

وقد ضرب مثالا رائعا لذلك يبين عموم البلوى اذا ترك مرتكبوا المنكر فيقول :
" مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين فى أسفلها اذا استقوا الماء مروا على من فوقهم فقالوا : لو خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا ، فان تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا " (٢) وهكذا لو قال

---

(١) رواه الترمذى - كتاب الفتن - عن حذيفة بن اليمان - باب ما جاء فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

(٢) رواه البخارى - كتاب الشهادات - باب القرعه فى المشكلات - عن النعمان بن بشير - والترمذى فى الفتن .

أهل الحق مالنا وأهل الباطل نتركهم يعملون ما يشاءون من المنكرات والمعاصى وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ولا شأن لنا بهم ساد الفساد وعم الشر وحلت اللعنة على الجميع .

ثناء الله على الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر :

وقد أثنى الله تعالى على عباده القائمين بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وعلى الدعاة عموما ، فقال تعالى : ﴿ ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين ﴾ (١) أى لا يوجد من قوله أحسن من الدعوة إلى الله والارشاد إلى الحق .

وقال تعالى عن المبلغين للرسالة : ﴿ الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا الا الله وكفى بالله حسيبا ﴾ (٢) .

وقد بشرهم الله تعالى فى قوله : ﴿ التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين ﴾ (٣) .

وكما ان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر اذا أهمل وترك كان سببا لحلول اللعنة ، فإن القيام به سبب للرحمة والرضا ، فقال تعالى عن بنى اسرائيل : ﴿ لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا

---

(١) فصلت (٣٣) .

(٢) الأحزاب (٣٩) .

(٣) التوبة (١١٢) .

يفعلون﴾ (١) . وقد جعل الله تعالى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر سببا من أسباب النصر والمكنة والسيادة فقال تعالى : ﴿ ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز . الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوعن المنكر ولله عاقبة الأمور﴾ (٢) .

وعلى ذلك فان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والنصيحة لكل مسلم واجب على المسلمين كل فى حدود إمكاناته مع مراعاة آداب الدعوة والتخلق بأخلاق المصطفى صلى الله عليه وسلم فى الحلم واللين والرفق ووضوح الدعوة وتحديد الغاية مع عدم التعالى على المدعو أو التكبر عليه .وها هو لقمان يوصى ابنه بادب الممارسة فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فيقول له : ﴿ يابنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك أن ذلك من عزم الأمور . ولاتصعر خدك للناس ولاتمش فى الأرض مرحا ان الله لايحب كل مختال فخور . واقصد فى مشيك واغضض من صوتك ان أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾ (٣) ويقول عن رسوله صلى الله عليه وسلم : ﴿ فيما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين﴾ (٤) .

---

(١) المائدة (٧٨ ، ٧٩) .

(٢) الحج من آية (٤٠ ، ٤١) .

(٣) لقمان (١٧ - ١٩) .

(٤) آل عمران (١٥٩) .

من حاصل هذه الأوامر القرآنية بالدعوة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر اصبح الحكم واضحاً هو أن من أهم عوامل بقاء الأمة الإسلامية وسيادتها قيامها بالدعوة إلى الله وارشاد الناس إلى الحق والصواب وردهم إلى طريق الله جل وعلا ، وهذا واجب متعلق بجميع أفراد الأمة فيما بينهم أو فى دعوة الأمة غيرها من الأمم إلى الاسلام .

تطبيق النبى صلى الله عليه وسلم لأوامر التبليغ :

ولما تلقى رسول الله صلوات الله وسلامة عليه هذه الأوامر الإلهية بدعوة الناس إلى الخير والحق ، وارشادهم إلى طريق ربهم وعبادته وتوحيده ونبذ عبادة الأوثان والأصنام ، واخراجهم من الظلمات إلى النور بإذن ربهم ، بدأ فوراً فى تنفيذ أمر ربه وأخذ يدعو أهل مكة إلى نبذ عبادة الأصنام والتوجه إلى عبادة اله واحد حقيق بالعبادة سبحانه وتعالى ، ﴿ كتاب أنزلناه لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد﴾ (١) بدأ بالإنذار فور نزول قول الله عليه : ﴿ يا أيها المدثر فأنذر ﴾ (٢) فبعد نزول آيات المدثر قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الله وإلى الاسلام سراً وكان من الطبيعى أن يبدأ بأهل بيته وأصدقائه وألصق الناس به ، فأسلمت زوجته خديجة بنت خويلد رضى الله عنها ، كما أسلم صديقه أبو بكر الصديق وأسلم ابن عمه على بن أبى طالب وكان صبياً لايزال فى العاشرة ، وأسلم زيد بن حارثه ، كما أسلم بلال بن رباح الحبشى مولى أمية بن خلف ، كما أسلم بنات النبى صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنهن ، واستمرت الدعوة سرية ثلاث سنوات كان النبى يلتقى بالمسلمين فى بيت الأرقم

---

(١) إبراهيم (١) .

(٢) المدثر (١ ، ٢) .

بن أبى الأرقم يتعهدهم بالتربية إلى أن كون منهم أناسا يستهينون بالآلام والبلاء فى سبيل دينهم وعقيدتهم (١) .

وفى المرحلة الثانية من مراحل التبليغ أمره الله تعالى بالجهر بالدعوة وإعلان أمره بعد أن كون جماعة مؤمنة تتحمل ما يعتريها من آلام وتصبر عليه فى المرحلة السرية وكان أمر الله له : ﴿ فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين﴾ (٢) وهنا بدأ النبى يعلن دعوته ، فقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما نزلت " وأنذر عشرتك الأقربين ، صعد صلى الله عليه وسلم الصفا فجعل ينادى : يابنى فهر ، يابنى عدى لبطون قريش حتى اجتمعوا فقال : أرايتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقى ؟ قالوا : نعم ، ما جربنا عليك الا صدقا ، قال : فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد ، قال أبو لهب : تبالك يا محمد ألهذا جمعتنا ؟ فنزلت ﴿ تبت يدأ أبى لهب وتب ﴾ (٣)

ومن هنا بدأ الصراع بين الحق والباطل ومع تعنت المشركين وامعانهم فى تعذيب من آمن به صلى الله عليه وسلم إلا أن نور الإسلام كان يسرى إلى القلوب وينساب إلى الأرواح ملبيا نداء الفطرة السليمة النقية وكان صلى الله عليه وسلم ينتقل بدعوته بين الأفراد والجماعات والقبائل فى كل مكان منتهزاً المناسبات ، يلتقى بقبائل العرب التى تأتى مكة للتجارة أو الحج يعرض عليهم دعوته ، ويدعوهم إلى هدى ربه ، وعندما يشتد إيذاء قومه له ولأصحابه بعد تسفيهه

---

(١) انظر : تفسير البيضاوى جـ٢ .

(٢) الحجر (٩٤) .

(٣) أنظر : البخارى كتاب التفسير - سورة الشعراء .

أصنامهم وفشلهم فى اغرائه بالمال والملك والنساء أو العلاج من رئى الجن الذى زعموا أنه يأتيه ، وكذا اخفاقهم الشديد فى تهديد عمه أبى طالب ليكف عن نصرته ، وعندما يحدثه أبو طالب بما كان من أمر القوم يعلنها النبى فى وجه الباطل صريحة مدوية : " والله ياعم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه" وزاد الإيذاء اشتدادا ، خاصة بعد وفاة عمه أبى طالب وزوجته السيدة خديجة رضى الله عنها ، فقد تعرض لصنوف عدة من الأضطهاد والأذى كما تعرض صحابته ، تعرضوا للضرب والجلد ، والإحراق بالنار ، والإغراق فى الماء ، والجر على رمال مكة ووضع الأحجار الثقيلة على صدورهم ، فما زادهم ذلك الا ايمانا وتسليماً لقد تحملوا كل شىء فى سبيل عقيدتهم ، إلى أن أذن الله لرسوله بالهجرة إلى يثرب ليتحول مسار الدعوة ويصبح دعوة ودولة ، ويأذن الله للرسول بالقتال والجهاد ليظهر قوة الإسلام وتعلو رايته ، وكل هذا والنبى صلى الله عليه وسلم لايكف عن تبليغ الدعوة وإرشاد الخلق متبعاً فى ذلك هدى ربه وتعليمه إياه ملتزماً الأساليب الدعوية متخذاً الوسائل المناسبة مع كل صنف من المدعوين ، فرسم لنا صلى الله عليه وسلم بسيرته العطرة وسنته الشريفة ما ينبغى أن يكون عليه الدعاة من مكارم الأخلاق وسعة الصدر والصبر على المدعوين ، وإن العديد من البحوث الدعوية قد تناول بالبيان والتفصيل هذه الأمور وتلك الضوابط ، واستنباط القواعد الدعوية فى التبليغ من أحداث السيرة النبوية ، مدعمه بالقرآن الكريم والسنة النبوية ، الا أن بحث هذا الجانب ليس موضوع هذه الدراسة فالغاية منها هى ابراز الجانب العملى التطبيقى فى التبليغ ليهتدى به الدعاة إلى الله كنماذج فى التخطيط الدعوى يمكن الاستفادة منها والاسترشاد بها ، فإن لكل طائفة من المدعوين ما يناسبهم ، أما الجانب

النظرى فى اعداد الدعاة فليرجع اليه من شاء فى مظانه من كتب الدعوة وبحوثها[(١)] .

التعريف بالدعوة إلى الله :

بعد بيان الدعوة فى القرآن الكريم والسنة النبوية ، وتطبيق النبى صلى الله عليه وسلم لأمر ربه بالتبليغ بدءا بدعوة الأفراد فى المرحلة السرية ومروراً بدعوة القبائل والجماعات والوفود فى المرحلة العلنية ، والجهاد فى سبيل الله وأعلاء كلمة الحق بعد الهجرة ووصولاً إلى فتح مكة وتحطيم الاصنام وإعلاء كلمة الله ، وإنتهاء بإرسال وفود الدعوة وإرسال الكتب إلى الملوك والقياصرة والأباطرة خارج الجزيرة العربية وبعد وفاته صلى الله عليه وسلم تمتد بعده الدعوة فى عصر الخلفاء الراشدين ثم تتوإلى العصور والدول بعد ذلك وتستمر الدعوة وتتطور الأساليب والوسائل وتتعدد المجالات وتبقى كلمة الإسلام عالية مدوية ، وكلمة التوحيد سائدة رائده إلى أن يأتى أمر الله تعالى " لا تزال طائفة من أمتى قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله" [(٢)] .

بعد هذا كله يجدر بنا أن نقف أمام التعريف بالدعوة إجمالاً لنكون على بصيرة من أمرنا .

---

(١) انظر فى ذلك على سبيل المثال : الدعوة الإسلامية وسائلها وأساليبها

د/ أحمد غلوش ، هداية المرشدين للشيخ على محفوظ ، أصول الدعوة .

د/ عبد الكريم زيدان ، تذكرة الدعاة للبهى الخولى ، المدخل إلى علم الدعوة .

د/ محمد أبو الفتح البيانونى ، وكتب تاريخ الأنبياء وقصصهم .

(٢) رواه مسلم – كتاب الجهاد عن معاوية – باب قوله لا تزال طائفة من أمتى ظاهرة على الحق .

أ- تعريف الدعوة :

الدعوة فى اللغة بمعنى الحث والطلب ، تقول دعوت فلانا إلى كذا أى طلبت منه ذلك وحثته على اتباعه ، وتطلق أيضا على المدعو إليه حيث سمع عن بعض العرب قولهم : نحن فى دعوة فلان - أى فيمادعانا إليه من طعام ونحوه ، نقول : الاسلام دعوة محمد صلى الله عليه وسلم أى ما دعا إليه محمد ، والتوحيد دعوة جميع الرسل أى مادعا إليه كل الرسل ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ له دعوة الحق ﴾ أى دين الحق (١) .

وأما تعريفها إصطلاحا فقد إتجه العلماء فيها إتجاهات عدة :

١- منهم من عرفها كدين ، فقال : " هى الضوابط الكاملة للسلوك الإنسانى وتقرير الحقوق والواجبات " (٢) أى مايجب على المسلم اتباعه والتزامه .

٢- ومنهم من عرفها كتبليغ للدين إلى الناس ، فقال : " هى حث الناس على الخير والهدى ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل "(٣) أى إيصال الدين إلى الناس لتحقيق السعادة لهم باتباعه .

٣- ومنهم من عرفها كعلم دراسى يتلقاه الداعى ليعرف به طرق الدعوة وفنون التبليغ ، فقال : " هى العلم الذى تعرف كافة المحاولات الفنية المتعددة

---

(١) من الآية (١٤) سورة الرعد ، وأنظر تفسير البيضاوى جـ١ ص ٥٠٤ ، وابن كثير جـ٢ .

(٢) أنظر كتاب الدعوة الإسلمية دعوة عالمية - الشيخ / محمد الراوى .

(٣) هداية المرشدين - للشيخ على محفوظ .

الرامية إلى تبليغ الناس بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق " . [١]

والمعنى المقصود لنا هو ماكان بمعنى التبليغ والإيصال وحث الناس على الخير والهدى ، فهو مجال بحثنا ومحور دراستنا .

ب- حكم تبليغ الدعوة :

أتفق العلماء على أن تبليغ الدعوة واجب ، لقول الله تعالى : ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هو المفلحون﴾ [٢] ، وقوله تعالى : ﴿ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾ [٣] وقول الرسول صلى الله عليه وسلم " والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن أن يبعث الله عقابا ثم تدعونه فلا يستجاب لكم " [٤] وغير ذلك من الأدلة ، ولكنهم أختلفوا فى نوع الوجوب : هل واجب عينى ، بمعنى أنه يجب القيام على جهة التعيين من كل أفراد الآمة ؟ أو واجب كفائى إذا فعله بعض الأمة سقط الإثم عن الآخرين ؟

١- فمنهم من ذهب إلى أنه واجب عينى يجب على جميع الأمة وفسروا من فى قوله " ولتكن منكم " على أنها بيانية ، ولعموم الأمر بذلك .

٢- ومنهم من ذهب إلى أنه واجب كفائى إذا فعله البعض سقط عن الباقين ، وفسروا (من) على أنها للتبعيض .

---

(١) الدعوة الإسلامية - د/ أحمد غلوش .

(٢) آل عمران (١٠٤) .

(٣) التوبة (١٢٢)

(٤) رواه الترمذى - الفتن .

والخلاف شكلى فعلى رأى من قالوا بأنه واجب عينى فقد أوجبوه على القادرين من الأمة كل حسب استطاعته ، وبهذا يلتقون مع القائلين بأنه واجب كفائى ، وإلا فلو أوجبنا على الجميع فمن الداعى ومن المدعو؟ وما موقف العصاه وأصحاب الكبائر أليسوا من الأمة ؟ وهؤلاء بالطبع لن يكونوا دعاه بل هم مدعوون إلى أن يمن الله عليهم بالهداية .

جـ - موضوع علم الدعوة :

الدعوة كعلم من العلوم وفن من الفنون له موضوع كغيرة ، فمثلاً علم النحو موضوعه الكلمات العربية من حيث ضبط أواخرها ، وعلم الصرف موضوعه الكلمات العربية من حيث صياغتها وتصريفها وأوزانها ، وعلم التفسير موضوعه الآيات القرآنيه من حيث شرحها وبيان معانيها ، وعلم التجويد موضوعه الآيات القرآنيه من حيث أداؤها وتلاوتها وعلى غرار ذلك فما موضوع علم الدعوة ؟

موضوع الدعوة : هو الاسلام بما اشتمل عليه من عقيدة وشريعة وأخلاق من حيث تبليغه للناس وحثهم على اتباعه وتعليمهم إياه وتطبيقه فى واقع الحياه فالإسلام كدين بكل جزئياته يدخل فى علم الدعوة حيث يجب تبليغ كل الجزئيات والكليات إلى الناس ، والإسلام كدين يعنى الانقياد والتسليم والخضوع لله رب العالمين كما أنه يعنى كل ماجاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من عقيدة وشريعة وأخلاق ، على نحو ما ورد فى حديث جبريل .

د - الغاية منها وثمرتها :

يهدف تبليغ الدين إلى الناس إلى تحقيق الحياه الآمنة المستقره المترتبة على اتباع دين الله والتزام أوامره واجتناب نواهيه ، وقد ربط الله تعالى بين اتباع الدين والتزامه وبين الرخاء والأمن والاستقرار فقال تعالى : ﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما

كانوا يكسبون ﴾ (١) وقال كذلك : ﴿ فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم وألئك لهم وهم مهتدون ﴾ (٣) فالغاية من الدعوة هى تحقيق السعادة فى الدنيا بتوفير الأمن والاستقرار ورضا الله عن عباده والبركة فى أرزاقهم ، والفوز فى الآخرة بنيل الثواب فى الجنة التى جعلها الله للمتقين .

هـ- أركان الدعوة :

تقوم الدعوة على ثلاثة أركان أساسية تعتبر مقومات عملية التبليغ وهى :

١- **الداعى** : وهو الشخص الذى يقوم بتبليغ الدعوة وحملها إلى المدعوين مقتديا فى ذلك برسول الله صلى الله عليه وسلم ويجب أن يتحلى بصفات عقلية كالعلم بالدعوة والمدعوين ، وصفات خلقيه نفسية كالصبر ، والحلم ، وحسن التوكل على الله والعفة والشجاعة من الصفات التى تقترب من صفات رسل الله من الصدق والامانة والتبليغ والفطانة .

٢- **المدعو** : وهو الشخص أو الاشخاص الذين توجه اليهم الدعوة وهذا الوصف (المدعو) يشمل كل الجنس البشرى فى كل مكان وزمان حيث إن دعوة النبى صلى الله عليه وسلم خاتمة ، وعامة للجميع فتشمل عموم الزمان وعموم المكان وعموم الخطاب لكل البشر ، بل وتعدت البشر إلى الجن حيث خوطبوا بالدعوة على لسان فريق منهم سمعوها عن النبى صلى الله عليه وسلم ، ومن حق المدعو

---

(١) الأعراف (٩٦) .

(٢) قريش (٣ ، ٤) .

(٣) الأنعام (٨٢) .

أن تحمل اليه الدعوة ويؤتى حيث يقيم ، وأن تختار له الأساليب التى تناسبه وفق تكوينه العقلى والنفسى وأن يحترم وتراعى مشاعره من قبل الداعى .

٣- **موضوع الدعوة** : وهو الاسلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق من حيث التبليغ إلى الناس ، فكل جزئيات الاسلام وكل أركانه من شهادتى التوحيد والرسالة ، والأعمال الصالحة من عبادات ومعاملات كلها داخله فى إطار التبليغ على نحو ماسبق ذكره .

ويرتكز تبليغ الدعوة على أمور :

١- **العقل** : وهو فى المدعو طريق المعرفة والفهم والإدارك لما يقوله الداعى ويشرحه ، كما أن القلب يطمئن وينقاد لما فهمه العقل وسلم به ، وهو مناط التكليف .

٢- **القلب** : وتقوم عليه كل الأساليب العاطفية كالترغيب والترهيب واستمالة المدعو بالكلام الطيب اللين الرقيق ، وبه تستقر العقيدة الصحيحة وعنها ينشأ العمل الصالح .

٣- **الفطرة** : وهى القوة المودعة فى الانسان مزودة بالاستعداد لقبول الخير ، والنفور من الشر ، والداعى الناجح هو الذى تكون طريقة دعوته مسايره للفطرة فالأصل فيها الخير كما قال صلى الله عليه وسلم " كل مولود يولد على الفطر"(١) أى على الدين والتوحيد وحب الخير ، ويقول تعالى : ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ (٢) ، وعلى ذلك فكل أساليب الدعوة

---

(١) رواه البخارى ومسلم .

(٢) الروم (٣٠) .

ومناهجها لابد أن يراعى فى اختيارها هذه الركائز حيث يجب أن ينتبه الداعى إلى أهميتها فيختار من أساليب الدعوة مايناسبها ويلائمها .

د – أنواع الدعوة :

للدعوة أنواع وصور تمارس :

أ- دعوة أفراد الأمة بعضهم بعضاً بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وتعليم الاسلام وتطبيقه .

ب- دعوة الأمة غيرها من الأمم إلى الإسلام عن طريق الأفراد أو المنظمات الإسلامية كالمراكز الإسلامية فى بلاد العالم الغربى .

جـ- دعوة المسلم غير المسلم : وهذه الدعوة لها صورتان :

١- **الصورة الأولى** : دعوة غير المسلم الذى يعيش فى بلاد المسلمين كبعض المنتمين إلى الديانات الأخرى الموجودين فى بعض البلاد الإسلامية كمواطنين بها ينتمون إليها .

٢- **الصورة الثانية** : دعوة غير المسلمين فى بلاد غير إسلامية كأغلب دول العالم الغربى كأوربا وأمريكا وروسيا .

وبالطبع فإن طريقة تبليغ الدعوة للمسلم تختلف عنها لغير المسلم فلكل أسلوب دعوة وطريقة عرض ، والنبى صلى الله عليه وسلم قد دعا غير المسلمين ، فعند البدء بالدعوة كان المجتمع كله مشركا كما دعا المسلمين بعد أن آمنوا به وصدقوا برسالته كان يعلمهم مأنزل الله عليه ويربيهم على مكارم الاخلاق .

وقد اشتمل القرآن الكريم على قواعد دعوة المسلمين ، وغير المسلمين ووضع مناهج لدعوة كل فريق يهتدى بها الدعاة فى كل عصر وأوان .

ولذا فإننا يمكننا تقسيم مناهج الدعوة باعتبار المدعو إلى :

أ- مناهج دعوة المسلمين .

ب- مناهج دعوة غير المسلمين .

ولكل منهج أساليبه وطرق تطبيقه فى واقع الحياه العملية ومباشرة عملية التبليغ ، وهذا هو موضوع هذه الدارسة والله هو المستعان .

الفصـــل الأول

منـــاهج الـــدعـــوة

المبحث الأول:

معنى المنهج

المبحث الثانى:

معنى المنهج فى القرآن والسنة

المبحث الثالث:

المفهوم الحديث للفظ منهج

المبحث الرابع :

معنى مناهج الدعوة

المبحث الأول

معنى المنهج

قبل الخوض فى بيان المراد بمناهج الدعوة لابد من الوقوف أمام جزأى الإضافة "مناهج" و "الدعوة" لايضاح المراد بكل منهما لتتضح نسبة كل منهما إلى الآخر، وبالتالى نصل إلى المقصود بهذا المركب .

١- معنى "المناهج" فى اللغة :

المناهج جمع "منهج" ويدور لفظ المنهج فى اللغة حول معنى : الطريق البين الواضح ، أو الخطة المرسومه لشىء معين لتحقيقه .

أ- فيقال للنهج : "الطريق الواضح ، وكذا المنهج والمناهج يراد بهما الطريق الواضح ، ونهج الطريق أى وضح واستبان" (١) .

ب- " ونهج الطريق أو نهج الأمر أى وضح واستبان ، ويقال نهج فلان الطريق والأمر أى وضحه وأبانه" (٢) .

جـ- وفى القاموس : " النهج الطريق كالمنهج والمنهاج ، وأنهج أى وضح ، واستنهج الطريق أى صار نهجاً ، كأنهج فلان سبيل فلان أى سلك مسلكه" (٣) .

د- وفى لسان العرب : " طريق نهج أى بين واضح ، وهو النهج ، والمنهاج

---

(١) المصباح المنير جـ ٢ ص ٢٩٨.

(٢) أنظر : القاموس المحيط جـ١ ص ٢١٨ ، وأساس البلاغة ص ٦٦٠ - ط٠ دار صادر بيروت .

(٣) السابق - ص ٢١٨ .

كالمنهج وفى التنزيل ﴿ لكل جعلنا منكم شرعه ومنهاجاً ﴾ [١] وأنهج الطريق أى وضح واستبان وصار نهجاً واضحاً .

والمنهاج الطريق الواضح ، وفى حديث العباس : " لم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تركَكم على طريق ناهجه ، أى واضحه بينه ، ونهجت الطريق وضحته وبينته ، ويقال : أعمل على مانهجته لك ، ونهجت الطريق أى سلكته " [٢]

فمن خلال تعريف معاجم اللغة لمعنى المنهج والمراد به فى شتى التصاريف يمكننا أن نقول :

إن المنهج فى اللغة يعنى الطريق البين الواضح ، والطريقه والحطة المرسومة لاتباعها والسير عليها ، والنظام الموضوع والمحدد للسير عليه واتباعه لتحقيق هدف معين ، والوصول إلى غاية محددة .

٢ – معنى " الدعوة " فى اللغة :

دارت مادة " دعا " فى اللغة العربية حول معنى الحث والطلب ، فالمسلم عندما يدعوربه فانه يطلب منه جلب خير ، أو دفع شر مثلا ، وأنت عندما تدعو أحدا فأنت تطلب منه الحضور أو الاستماع إليك مثلا .

ويقال : " دعاه إلى الشئ حثه عليه – وطلب منه فعله – فيقال : دعاه إلى الصلاة ، وإلى القتال ، وإلى الدين ، وإلى المذهب بمعنى حثة على اعتقاده " [٣]

---

(١) المائدة (٤٨) .

(٢) لسان العرب ج٢ ص٣٨٣ .

(٣) المعجم الوسيط ج١ ص ٢٦٨ – ط . دار احياء التراث العربى .

"والدعوة : ما يدعى إليه من طعام أوشراب ، يقال : نحن فى دعوة فلان كما يقال : كنا فى دعوة فلان - أى فى ضيافته - وهذا يعنى : مادعانا اليه فلان"(١)

وعلى ذلك يمكننا القول : إن الدعوة تطلق ويراد بها معنيان :

أ - بمعنى الحث والطلب وهذا يعنى التبليغ والنشر.

ب- بمعنى المدعو إليه ، أو مايدعو إليه الشخص ، وهذا يعنى الدين نفسه .

فيمكننا أن نقول : إن الاسلام دعوة - أى يدعى اليه ، وإن عملية تبليغه إلى الناس وحثهم على اتباعة أيضا دعوة .

ولذا فان المرادبمنهج الدعوة يختلف باختلاف معنى لفظ "الدعوة" الذى أضيف اليه ، على نحو ما سيأتى بيانه .

---

(١) السابق .

المبحث الثانى

معنى " المنهج" فى القرآن والسنة

أ- معنى "المنهج" فى القرآن :

لم يرد لفظ " المنهج" بهذه الصورة فى القرآن ، وانما ورد بلفظ "منهاج" وهما بمعنى واحد فى استعمالات اللغة ، ولكن هل إطلاق هذا اللفظ فى القرآن بنفس معناه فى اللغة ؟

والجواب هنا يكون بالإيجاب ، فالمعنى يكاد يكون واحداً ، ولا خلاف بين إطلاقه فى اللغة ، وبين استعمالات المفسرين له .

وقد ورد لفظ " منهاج" فى قوله تعالى :

﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولاتتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمه واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ﴾ [١] ، وللمفسرين أقوال طيبة فى تفسيرهم لمعنى (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً) نسوق بعضها للوقوف على تحديد معنى اللفظ فى القرآن :

فيرى البعض أن المراد بقوله : " شرعه ومنهاجاً" أى شريعة يعملون بها ، وطريقاً بينا يسلكونه" [٢] ففسر هنا : المنهاج بالطريق البين .

وفى تفسير المنار : " المنهج هو الطريق البين الواضح ، وعن قتادة : شرعة ومنهاجاً ، أى سبيلا وسنة ، ويرى البعض أنها : سنة وسبيلا وظاهر كلام قتادة أن

---

[١] المائدة (٤٨) .

[٢] مختصر الطبرى جـ٢ ص ٢٠٢ .

الشريعة أخص من الدين إن لم تكن مباينة له وأنها الأحكام العملية التى تختلف باختلاف الرسل وينسخ لاحقها سابقها ، وأن الدين هو الأصول الثابتة التى لاتختلف باختلاف الأنبياء" (١) .

وفى تفسير الكشاف : " منهاجا : أى طريقاً واضحاً فى الدين تجرون عليه" (٢) .

وقال الرازى : " لفظ الشرعه فى اشتقاقه وجهان ، الأول : معنى شرع أى بين ووضح ، قال ابن السكيت : لفظ الشرع مصدر شرعت الإهاب إذا شققته وسلخته ، والثانى : ما حدد من الشروع فى الشىء وهو الدخول فيه .. وقيل : هى الأشياء التى أوجب الله على المكلفين أن يشرعوا فيها ، وأما المنهاج : فهو الطريق الواضح ، فيقال : نهجت لك الطريق ، وأنهجت لغتان .

وقيل : إن الشرعة والمنهاج عبارتان عن معنى واحد ، والتكرير للتأكيد والمراد بهما الدين ، وقيل : بينهما فرق ، فالشرعة عبارة عن مطلق الشريعة ، والطريقة عبارة عن مكارم الشريعة وهى المراد بالمنهاج ، فالشريعة أول والطريقة آخر ، وقال المبرد الشريعة ابتداء الطريقة ، والطريق المنهاج المستمر.." (٣) .

فمن خلال هذه الأقوال اتضح لنا أن لفظ " المنهاج أو المنهج" يستعمل بمعنى الطريق محدد المعالم من الأوامر والنواهى ، والقواعد والضوابط التى بينتها الشريعة وأوضحت معالمها ، فهو الطريق البين والخطة الموضوعه لتنظيم علاقات

---

(١) تفسير المنار - محمد رشيد رضا - المجلد السادس -ط٠ دار المعرفة بيروت .

(٢) أنظر : الكشاف جـ ١ ص ٦١٨ - ط٠ دار المعرفة .

(٣) التفسير الكبير للفخر الرازى جـ١٢ ص ١٢ - ط٠ دار الكتب العلمية - طهران ط٠ ثانية ، وانظر : تفسير المراغى جـ٧ ص ١٧٠ ، وانظر : فى ظلال القرآن سيد قطب جـ٢ ص ٩٠٢ - دار الشروق المطبعة الخامسة .

البشر فى كل زمان ومكان وهذا منهج الله ليتبعه عباده ليصلحوا فى الدنيا والآخرة وهذا المنهج القويم يسع حياة جميع الناس وعلم الله تعالى حين رضيه لهم أنه يحقق الخير لهم إلى يوم الدين ، ولامجال لتعديله أو الخروج عنه ..

وهذا المنهج والطريق الذى يجب اتباعه والسير عليه ، وما عداه طرق شيطانية ولعل هذا هو المقصود بقول الله تعالى : ﴿ وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ (١) .

أى أن هذا القرآن صراطى ومنهجى الذى أسلكه إلى مرضاه ربى وسبيل سعادة الدنيا والآخرة حال كونه مستقيماً لايضل سالكه ولايهتدى تاركه فاتبعوه وحده ولاتتبعوا السبل الأخرى التى تخالفه ..

وعن عبد الله بن مسعود قال : " خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً بيده ثم قال هذا سبيل الله مستقيماً ، ثم خط خطوطاً عن يمين ذلك الخط وشماله ثم قال : وهذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه ثم قرأ : وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله .." (٢) .

وهذا يعنى الدين كله الذى أمرنا باتباعه ملتزمين قواعده وضوابطه كما بينها لنا القرآن والسنة التزاماً بمنهج النبوة والسلف الصالح .

ب- معنى " المنهج" فى السنة :

فى بعض أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ورد ذكر لفظ " منهج" والمراد الطريق الذى أتبعه النبى صلى الله عليه وسلم فى التزام الدين وتطبيق ما

---

(١) سورة الأنعام من آية (١٥٣) .

(٢) أنظر : تفسير المراغى جـ ٨ ص ٧٢ - ط٠ مصطفى الحلبى - ط٠ رابعة سنة ١٩٧٠ م .

شرع الله فى سائر مجالات الحياة ونظمها - وهذا المعنى مماثل للمعانى السابقة ، ومن شواهد السنة لهذا المعنى على سبيل المثال :-

عن النعمان بن بشير قال : " كنا قعودا فى المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بشير رجلاً يكف حديثه فجاء أبو ثعلبة الخشنى فقال : يابشير بن سعد أتحفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الأمراء ، قال حذيفة : أنا أحفظ خطبته ، فجلس أبو ثعلبه فقال أبو حذيفة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تكون فيكم النبوة ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها .... الحديث" (١) .

وقد نقل ابن حجر رحمه الله عن ابن عباس قوله : " والمنهاج أى السبيل أى الطريق الواضح ، والشرعه والشريعة بمعنى ، وقد شرع أى سن .. فإن قيل : هذا يدل على الاختلاف والذى قبله على الاتحاد أجيب بأن ذلك - أى الاتحاد - فى أصول الدين وليس بين الأنبياء فيه اختلاف وهذا - أى الاختلاف - فى الفروع وهذا الذى يدخله النسخ" (٢) .

فالشاهد هنا " تكون خلافه على منهج النبوة" فالمراد الخلافة الراشدة حيث التزم الخلفاء الراشدون رضوان الله عليهم طريقة النبى صلى الله عليه وسلم فى الحكم والتزام طريقه الواضح البين فى كل مجالات الحياة ، وقد روى ابن ماجه عن العرياض بن سارية أنه قال : " وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة

---

(١) الحديث بتمامه رواه الإمام أحمد فى المسند - كتاب الخلافة - باب فيما جاء النبى لم يتخلف قبل موته

أحد - الفتح الربانى جـ٢٣ ص ١٠ - ط٠ دار الشهاب بالقاهرة .

(٢) أنظر : ابن حجر على البخارى - كتاب العلم جـ ١ ص ٤٩ .

ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب ، فقلنا : يا رسول الله ، إن هذه لموعظة مودع فماذا تعهد إلينا ؟

قال : تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لايزيغ عنها إلا هالك ، من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم من سنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذوعليكم بالطاعة وان عبدا حبشياً فإنما المؤمن كالحمل الأنف حيثما قيد انقاد" (١) أى وإن كان عبداً حبشياً .

ومعنى : البيضاء أى على الملة البيضاء والحجة الواضحة التى لاتقبل الشبه أصلاً (٢) وهى المنهج الذى وضعه الله تعالى وأبلغنا إياه رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتباعه والتزام خطواته لنحظى بالسعادة والرشد فى الدنيا والآخرة.

---

(١) رواه ابن ماجة بسنده عن العرباض بن سارية فى المقدمة حديث (٤٣) .

(٢) المحقق محمد فؤاد عبد الباقى - ابن ماجه ص ١٦ .

المبحث الثالث

المفهوم الحديث للفظ "منهج"

ما سلف يعتبر بياناً لمعنى المنهج فى اللغة العربية والقرآن والسنة وقد اتضح لنا أن المعنى المراد من اللفظ يكاد يكون واحدا وهو أنه الطريق الواضح البين أو الخطة المرسومة لتحقيق غاية معينة وللوصول إلى هدف محدد ، وفى الاستعمال العصرى لكلمة منهج لايختلف المراد عن هذا المفهوم.

فيطلق لفظ المنهج فى الاصطلاح الحديث ويراد به : " الطريق المؤدى إلى الكشف عن الحقيقة فى العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة التى تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة .

فهو الطريقة التى يتبعها الباحث فى دراسته للمشكلة لاكتشاف الحقيقة والعلم الذى يبحث فى هذه الطرق هو" علم المناهج" (١) .

وعلى أساس هذا المفهوم فإن الداعى تصادفه مشكلة من المشكلات مثل انتشار معصية من المعاصى فيرسم لها منهجا له خطواته فى معرفة الأصل فى ظهورها ليعالجها دعويا - وهذا ما يعرف بتحديد الداء والدواء - فالداء هو المعصية وتحديد سببه ، ثم رسم خطة العلاج وهو منهج الاصلاح والتبليغ .

ويرى البعض أن لفظ " منهج" هو ترجمة للكلمة الإنجليزية (Method) والتى ترجع أصلا إلى اليونانية التى استخدمت كاصطلاح يدل على نشاط

---

(١) أنظر : أصول البحث ومناهجه - د / أحمد بدر - طبعة وكالة المطبوعات بالكويت بدون سنة طبع .

معين[١] ، إلا أن المعنى الأصلى يدل على الطريق أو المنهج المؤدى إلى غرض معين[٢] .

واختيار المنهج يكون على أساس الإفادة منه والوصول إلى الغاية المطلوبة " وليست هناك طريقة يمكن أن يكون ناجحة إلا إذا أدت إلى نتائج سليمة وحقيقية أى أن المنهج أو الطريقة لاينبغى اعتباره هدفاً فى حد ذاته ، ولكنه مجرد خطة لتحقيق الهدف أو الغرض" .

فهذا المفهوم يحدد لنا أن ما يوضع من منهج أو خطة دعوية معينة لاتعتبر ناجحة إلا إذا حققت الهدف من التخطيط ، وإلا فيعيد الخطة من جديد .

---

(١) وهذه الكلمة تعنى الطريقة والأسلوب ، وكلمة (System) تعنى المنهج كنظام متبع ، وكلمة (Program) تعنى المنهج كبرنامج مرسوم وخطة موضوعة (أنظر المورد قاموس عربى انجليزى) .

(٢) أنظر : كتاب البحث العلمى وأساسياته للعلوم التربوية والسلوكية . د / النجاتى الشيخ سيور ص ٣٥ - ط٠ أولى عام ١٩٨١ م .

المبحث الرابع

معنى مناهج الدعوة

بعد أن اتضح لنا أن المراد بالمنهج هو الطريق الواضح البين والخطة المرسومة ، والخطوات التى يجب اتباعها للوصول إلى غاية معينة ، وتحقيق نتيجة محددة ، وأنه نظام يوضع لتحقيق هدف من الأهداف ، ولايعتبر المنهج ناجحاً إلا اذا حقق المراد منه .

وبعد أن اتضح لنا المراد بلفظ الدعوة ، وأن لها إطلاقات واستعمالات فتطلق ويراد بها : الحث والطلب ، وهذا يعنى التبليغ والنشر ، وتطلق ويراد بها المدعو اليه نفسه – وعندئذ تعنى الدين الذى يدعو اليه الدعاه ويحثون على اتباعه فالمراد بها الإسلام نفسه .

ويتضح الفرق بين المعنيين من سياق الكلام ، فإذا قلت مثلاً دعوتى لك إلى اتباع الإسلام واجب على ، فإن لفظ "دعوة" يراد به حثك على اتباع الإسلام وتبليغى إياه لك واجب .

وإذا قلت : الإسلام دعوتى ، أى أن ما أدعو إليه هو الإسلام والتوحيد دعوتى : أى ما أدعو اليه وهذه كلها دعوة بمعنى الدين .

المراد بالمنهج بحسب ما يضاف اليه من معنى " الدعوة" :

إذا أضيف لفظ الدعوة إلى "منهج" يكون (منهج الدعوة) – فيقصد هنا أمران :- ١– منهج الدين فى بناء المجتمع . ٢– منهج التبليغ عند الدعاه .

وهذا كما هو ظاهر حسب المراد من إطلاق لفظ الدعوة .

١ – منهج الدين فى البناء:

أنزل الله تعالى دينة على رسوله صلى الله عليه وسلم فى القرآن الكريم ، ووضحه النبى صلى الله عليه وسلم وشرحة بسنته الشريفة ، وقد شمل أوامر الدين ونواهية وإرشاداته وتوجيهاته إلى كل حاجات البشر إلى يوم القيامة ، ولايقصر التشريع عن الوفاء بأى مطلب من مطالب البشر أو الفصل فى القضايا والأحداث المتتابعة والمتجددة بمرور الزمن .

فقال تعالى ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دنيا ﴾ (١) ومصدرا التشريع الأصليان الكتاب والسنة محفوظان وموجودان ، والمصادر التبعية كالاجتهاد والقياس والاستحسان . وغيرها ترخر بها كتب أصول الفقة ، وباب الاجتهاد مفتوح أمام المؤهلين لذلك لاستنباط أحكام لما تجدد من القضايا .

ولذلك فإن الله جعل السعادة فى اتباع ما أنزل لتنظيم حياة البشر وعلاقاتهم فى سائر مجالات الحياة وميادينها ، فقال تعالى : ﴿ قال اهبطا منها جميعاً فإما يأتينكم منى هدى ، فمن اتبع هداى فلا يضل ولايشقى ، ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامه أعمى﴾ (١) فالسعادة والاستقرار مبنيان على أساس امتثال ما أنزل الله من أصول وضوابط وقواعد ونظم لتنظيم مجالات التعامل الإنسانى وقد أنزل الله من القواعد والنظم ما يسعد عباده باتباعه .

---

(١) المائدة من آية (٣) .

(٢) طه (١٢٣ – ١٢٤) .

فالإسلام بكل محتوياته هو منهج الله تعالى" والخطة التى أمر بها ، والطريق البين الواضح" الذى حدده الله وبينه لإصلاح الحياة بكل ما فيها ومن فيها والخلق صنعته ، وهو وحده يعلم ما يصونهم وما يصلحهم فحدد لهم طريق الإصلاح ﴿ ألا يعلم من خلق ، وهو اللطيف الخبير ﴾ (١) .

ولذا فقد وضع الإسلام مناهج لتنظيم مجالات الحياة المختلفة أفراداً ومجتمعات فوضع منهجاً لبناء الإنسان عقدياً (منهج بناء العقيدة) .

كما وضع منهجاً للعبادة - وحدد لكل منهما معالم وخطوات وضوابط لايحيد عنها الإنسان ، ولايخالفها ، وإلا لما تحقق الهدف من المنهج ولما وصل الإنسان إلى الغاية التى كان من أجلها وضع المنهج ، وهو إقرار التوحيد ، وتحقيق العبودية لله تعالى .

ومن مناهج الإسلام فى بناء المجتمع ، وتنظيم علاقة أفراده ببعضهم لتحقيق غاية سامية وهى توفير السعادة والأمن والإستقرار للمجتمع :

١- منهج الإسلام فى المجال الإقتصادى (النظام المالى) .

٢- منهج الإسلام فى المجال السياسى (نظام الحكم) .

٣- منهج الإسلام فى المجال الحربى (النظام العسكرى) .

وقد تكفل ببيان خطوات هذه المناهج مراجع الفقه الإسلامى وكتب النظم الإسلامية - التى بينت كل نظام على حده وفق ما رسمه الشرع من خطوات لاتباعه وتحقيق الغاية والهدف من وضعه ، فالنظم الإسلامية هى مناهج الله تعالى لعباده لتنظيم علاقاتهم فى حياتهم ، وتحديد علاقتهم بربهم وخالقهم .

---

(١) الملك (١٤) .

مثال للتوضيح :

منهج العباده ونظامها ، غايته تحقيق العبودية والإذعان لله ، فخطوات هذا المنهج ، وذلك النظام كالآتى :-

١- الصلاة ، بكل شروطها وضوابطها : خطوة من خطوات المنهج .

٢- الزكاه ، بكل الشروط المتعلقه بها ، وتفصيلاتها خطوة ثانية من خطواته .

٣- الصيام ، بكل ما فيه من ضوابط وأخلاقيات ، خطوة رابعة من خطواته .

٤- حج البيت لمن استطاع إليه ، بكل شروطه خطوة أخيرة من خطواته .

فحتى نصل إلى الغاية من وضع هذا المنهج ، وهى تحقيق العبودية لله لابد من الإتيان بكل هذه الخطوات كاملة غير ناقصة ، ولكل من هذه الخطوات طرق فى التطبيق معلومة أمتلأت بها كتب الفقه .

ومتى تحقق هذا المنهج ونفذت جميع خطواته يكون المسلم قد أدى معنى العباده .

ومثال آخر : وهو منهج بناء الإنسان عقدياً " أى منهج العقيدة" وله خطوات واضحة :-

١- الإيمان بالله ، وتوحيده توحيداً خالصاً .

٢- الإيمان بالرسل وبرسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأنه خاتم النبين ورسالته خاتمة الرسالات ، مصدقه لما قبلها .

٣- الإيمان بالكتب السماوية ، وأن القرآن آخرها وقد هيمن عليها وصدقها .

٤- الإيمان بالملائكة على النحو الذى أخبر به عنهم القرآن والسنة .

٥- الإيمان باليوم الآخر وما فيه من بعث وحشر وحساب وجنة ونار وصراط وميزان على النحو الذى أخبرنا به القرآن والسنة .

٦- الإيمان بالقدر خيره وشره .

وهذه الحقائق كلها خطوات منهج البناء العقدى ، وقد استعمل القرآن مختلف الأساليب لإثباتها وبيانها وإلزام العقل والقلب بالإذعان لها والتسليم بها .

ومثال ثالث : منهج الإسلام فى تنظيم المجال الاقتصادى وخطواته على النحو التالى :-

١- بين مكانة المال من الإنسان وعلاقته به .

٢- حدد مصادر الكسب الحلال .

٣- نهى عن المصادر المحرمة .

٤- حدد مصارف المال ، بأن تكون مشروعة وغير محرمة .

٥- حفظ المال من التبذير والضياع ، فنهى عن الإسراف والتقتير ، فدعا إلى الاعتدال فى الإنفاق .

٦- أداء حق الزكاة من المال اذا بلغ نصاباً .

وبهذا المنهج الواضح والطريق البين يتحقق التوازن المطلوب والغاية التى يهدف إليها تشريع النظام ، وهذا المنهج الذى وضع لاقامة نظام مالى سليم روعى فيه حق الفرد والمجتمع ولم يقع فى أخطاء النظام الرأسمالى ، أو النظام الشيوعى فقد ظلم كل منهما جانبا لحساب جانب آخر متجاهلاً الفطرة الإنسانية وغريزة حب التملك ﴿ وتحبون المال حباً جما ﴾[١] .

ومثال آخر : منهج الرسول صلى الله عليه وسلم فى بناء الدولة :وذلك بعد هجرته إلى يثرب ، وتحقق شروط إقامة الدولة من وجود الوطن والسيادة عليه ، والمواطنين ، وهم المسلمون من المهاجرين والأنصار وحاكم وهو النبى صلى الله عليه وسلم ، ودستور حكم وهو القرآن وما أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) سورة الفجر آية (٢٠) .

فخطوات البناء "منهج البناء" ، هى :

١- بناء المسجد وفيه إشارة إلى جمع الناس على دين الله .

٢- إعداد الجيش بعد تشريع القتال .

٣- المؤاخاه بين المهاجرين والأنصار (ربط أواصر المجتمع) .

٤- المعاهدات مع اليهود - (تحديد العلاقة مع غير المسلمين المقيمين فى نفس الوطن وعلى نفس الأرض) .

٥- تحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام (تحديد جهة العبادة وتوحيدها) .

وكل تشريعات الإسلام تخضع للقياس على الأمثلة السابقة فنظام الجهاد يعنى المنهج الذى يجب اتباعه فى النظام العسكرى ، ونظام الحكم يعنى المنهج الذى يجب اتباعه فى تولية الحاكم أو عزلة وماله من حقوق وما عليه من واجبات ، وما يراعى فى بيعته .

وهكذا فان لفظ "منهج" إذا أضيف إلى لفظ " الدعوة" بمعنى الدين فإنه يعنى النظم التى أنزلها الله تعالى لتنظيم مجالات الحياة المختلفة ، والطرق البينة الواضحة والخطوات التى يجب اتباعها لتحقيق الغاية ، وهى إقامة النظام المطلوب والذى كان المنهج من أجله .

وكل مناهج الإسلام يقوم عليها المجتمع الإسلامى ، ولها غاية عامة هى تحقيق السعادة للبشر فى الدنيا ولآخرة ، ولأن الله تعالى هو خالق الخلق ويعلم حاجاتهم وما يصلح أمرهم ، ويحقق الأمن والأمان لهم ، لذا فقد وضع ما يحقق المصلحة والمنفعة لهم ﴿ الا يعلم من خلق ، وهو اللطيف الخبير ﴾ أى لايعلم ما يصلحهم الا هو.

٢- منهج "التبليغ" عند الدعاة :

ويمكن هذا عندما تكون الدعوة بمعنى الحث والطلب ، أو التبليغ والنشر مضافة إلى لفظ " منهج" وهو هنا يعنى : الخطة المرسومة ، لتحقيق غاية محددة ، وهى جذب المدعو إلى اتباع أوامر الله ، والتزام الدين ، وجعله يترك منكراً من المنكرات أو بدعة من البدع وبيان هذا هو هدف دراستنا .

وقد اشتمل القرآن الكريم على مناهج تبليغ رائعة فى تقرير الأدلة والإستدلال على الحقائق بأساليب ملائمة تماماً لحال المدعوين ، وركيزتهم البيئية (العقدية والإجتماعية والفكرية) .

وستأتى بعض الأمثلة التوضيحية من خلال عرض القرآن لمحاورات الرسل مع أقوامهم بعد الحديث عن الأساليب والوسائل .

الفصـــل الثانـــى

أساليب الدعوة

تمهيـــــــد:

أ- الأسلوب فى اللغة ..

ب- الأساليب القرآنية ..

* المبحث الأول :

"أسلـــوب الحكمـــة" ..

* المبحث الثانى :

" أسلـــوب الموعظـــة" ..

* المبحث الثالث :

" أسلوب المجادلة بالحسنى"

* المبحث الرابع :

" أقسام المدعوين حسب الأساليب المذكورة"

تمهيـــــــــد

أ) الأسلوب فى اللغة :

الأسلوب بمعنى الطريق ، فيقال : سلكت أسلوب فلان فى كذا ، أى طريقته ومذهبه ، وطريقة الكاتب فى كتابته ، ويراد به : الفن ، ويقال : أخذنا فى أساليب من القول أى فنون متنوعه .... (١)

"ويقال للسطر من النخيل أسلوب ، وكل طريق ممتد فهو أسلوب "

والأسلوب : الطريق ، والوجه ، والمذهب ، يقال : أنتم فى أسلوب سوء ، ويجمع أساليب ، والأسلوب : الطريق يأخذ فيه ....

والأسلوب بالضم : الفن يقال : أخذ فلان فى أساليب القول أى أفانين منه (يقال) : وإن أنفه لفى أسلوب إذا كان متكبراً .... (٢)

ويقال : " سلكت أسلوب فلان : أى طريقته وكلامه على أساليب حسنة " (٣)

فيدور معنى الأسلوب فى اللغة حول معنى الطريقة ، والفن ، والوجه والمذهب ...

فهو طريقة يورد بها الشخص أفكاره أو مذهبه ويعرض بها قضاياه ، والدعاه إلى الله يختارون طريقة فى عرض الدعوة طبقاً لحال المدعو، حيث يختار له طريقة الكلام التى تناسب ثقافته وتكوينه .

---

(١) المعجم الوسيط جـ ١ ص ٤٤١ - ط دار الفكر.

(٢) أنظر: لسان العرب جـ١ ص ٤٧٣ - ط . دار صادر - بيروت .

(٣) أساس البلاغة - الزمخشرى - ص ٣٠٤ - ط. بيروت .

أساليب الدعوة :

وأساليب الدعوة تعنى الطرق التى يورد بها الداعى دعوته ، ويقوم بها فى عملية التبليغ ، ومن تعريفاتها :-

١- عرفها البعض : " بأنها الطرق التى يتوصل بها الداعى إلى مباشرة عملية التبليغ وإزالة العوائق ... " (١) .

٢- كما عرفت : " بأنها الطرق التى يسلكها الداعى فى دعوته ، أو أنها كيفيات تطبيق مناهج الدعوة " (٢) .

٣- وعرفها البعض : " بأنها الطرق الكفيله بنجاح دعوة الداعى من الحجج والبراهين والمواعظ " (٣) .

٤- وعرفت بأنها :" الطرق التى يسلكها الدعاة فى إيصال دعوتهم إلى المدعوين " (٤) .

وعلى هذا يمكننا القول بأن أساليب الدعوة هى الطرق التى يسلكها الداعى لتبليغ دعوته ، وتنفيذ خطوات منهجه ، وذلك حسب حال المدعو من حيث العلم والجهل ، أو العاطفة والعقل ، والهدوء والسكينة أو الثورة والغضب ، ومن حيث العناد والتسليم ، والبيئة التى نشأ فيها وتأثره بعاداتها وتقاليدها ، وكذا الأطر المرجعية التى يعود إليها .

ويكون الداعى موفقا إذا أحسن إختيار الأسلوب المناسب الذى يفهم به المدعو الدعوة على وجهها الصحيح .

---

(١) أنظر : أصول الدعوة - للدكتور / عبد الكريم زيدان .

(٢) المدخل إلى علم الدعوة - للدكتور / محمد أبو الفتح البيانونى .

(٣) هداية المرشدين - الشيخ / على محفوظ .

(٤) أنظر : تذكر الدعاه - البهى الخولى .

ب) الأساليب القرآنية :

بعد أن اتضح لنا معنى الأسلوب والمراد به فى اللغة والاصطلاح ينبغى أن نعرض بشئ من الإيضاح والبيان للأساليب الرئيسية فى القرآن الكريم ، والتى تضمنتها آية كريمة هى قول الله تعالى : مخاطبا رسوله صلى الله عليه وسلم - :

﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى أحسن ، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴾[1] .

فالآيه قد تضمنت ثلاثة أساليب هى :-

١- أسلوب الحكمة .
٢- أسلوب الموعظة الحسنة .
٣- أسلوب المجادلة بالحسنى .

وهذا بيان كل منها على حدة .....

---

(١) سورة النحل (١٢٥) .

المبحث الأول

أسلوب الحكمة

تعريف الحكمة :

يدور معنى الحكمة فى اللغة حول الاتقان والعلم " فالحكمة من العلم ، والحكيم العالم ، وصاحب الحكمة ، والحكيم أيضاً المتقن للأمور.... " (١) .

" والحكمة تطلق على كل ما يتحقق فيه الصواب من القول والعمل ، والحكيم ذو الحكمة ، أو من يحكم الأشياء ويتقنها ، والحكيم من صفات الله تعالى ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وإنه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم ﴾ (٢) أى أحكمت آياته وأتقنت "(٣) .

ويذكر ابن كثير فى معنى الحكمة : " أنها الإصابة فى القول والعلم ، والفقة والقرآن ، كما أنها الفهم والعقل ، وينقل عن مالك رضى الله عنه : أنها الفقة فى دين الله ، وأمر الله فى القلوب من رحمته وفضله " (٤) .

ويرى الفخر الرازى : "أن الحكمة فى القرآن ترد على أربعة أوجه : أحدها أنها مواعظ القرآن الكريم كقوله تعالى : ﴿ وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به ... ﴾(٥) وثانيها : تأتى بمعنى الفهم ، كقوله : ﴿ ولقد آتينا لقمان الحكمة﴾(٦)

---

(١) مختار الصحاح ص ١٤٤..

(٢) سورة الزخرف آيه (٤) .

(٣) معجم ألفاظ القرآن ص ١٥٢ .

(٤) تفسير ابن كثير جـ ٢ .

(٥) سورة البقرة آية (٢٣١) .

(٦) سورة لقمان من آيه (١٣) .

وثالثها :بمعنى النبـوة ، كقوله تعـالى : ﴿ فقد آتينـا آل إبراهيـم الكتـاب والحكمـة وآتينـاهم ملكـا عظيمـا﴾ (١) ، ورابعهـا : تـأتى بمعنى القرآن نفسـه بمـا فيـه مـن عجـائب وأسـرار ، كقولـه : ﴿ ادع إلى سـبيل ربـك بـالحكمـة ﴾ (٢) أى بـالقـــرآن ومـافيه " (٣) .

تعريف الحكمة كأسلوب دعوة :

هى التعليم المتقـن الدقيـق الواضـح الدلالـه ، وان اختلفـت صورهـا ودارت بـين التفسير والفقة والفهم وغيرها وهى تفيد اليقين ....

ويذكر ابو السعود فى تعريفها كوسيلة للدعوة : " أنهـا المقالـة المحكمـة الدقيقـة ، وهى الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة ، المتجه إلى الفكر مباشرة مـن غير إثـاره الوجدان و وتهييج الانفعال ... " (٤) .

على ضؤ كل ماسبق يمكننا أن نقول أن "أسلوب الحكمة " يعنى عرض الحقـائق مؤيـدة بأدلتهـا ، واضحـة فـى اسـتنباطاتها ، فيخـاطب بهـا العلمـاء ذو النفـوس المشرقة الذين لديهم قدرة على إدراك الحقائق وفهم الأدله ، وإستنباط الأحكام .

وينبغى على الداعى أن يخاطب هذا الصنف من المدعوين بتدعيم دعوته بالأدلة والبراهين وتحديد مصادر الأحكام التى يوردها ، احتراما لعقول مدعوية ، وتقديراً لعلمهم وإلا فإنهم لن يقتنعوا بما يقول لخلوه عن الدليل .

---

(١) سورة النساء من آيه (٥٤) .

(٢) سورة النحل من آيه (١٢٥).

(٣) أنظر : مفاتيح الغيب للفخر الرازى جـ ٥ .

(٤) أنظر : الدعوة الاسلامية - د/ أحمد غلوش ، وتفسير أبو السعود جـ٢ .

المبحث الثانى

أسلوب الموعظة الحسنة

معنى الوعظ فى اللغة : يدور معنى الوعظ فى اللغة حول النصح والتذكير بالعواقب ، ويقال : " وعظ من باب وعد ، ووعظه فاتعظ يعنى : قبل الموعظة ، كما يقال : السعيد من وعظ بغيره ، والشقى من اتعظ به غيره " (١) .

كما يقال فى معنى الوعظ : " وعظه يعظه وعظا أى نصحه بالطاعة ووصاه بها وأرشده إليها مع تذكيره بالله ، وتخويفه عقابة كى يسلس قياده للامتثال والعمل ويرق قلبه ويلين ، ويقال : وعظة بالزواجر ويقصص الهالكين أى ذكره بها ورقق قلبه للخير يقصها ، ويقال وعظة بالطاعة : أرشده إليها ووصاه بها ، فالموعظة هى مايرقق القلب ويميله نحو الطاعة من قول أو فعل " (٢) .

وكل اشتقاق مادة الوعظ فى القرآن يدور حول النصح والأمر والتذكير والزجر وقد جاء فى تفسير النسفى عند قوله تعالى : ﴿فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم فى أنفسهم قولاً بليغاً﴾ أن المعنى فأعرض عن قبول الأعذار ، وعظ بالزجر والانكار ، وبالغ فى وعظهم بالتخويف والانذار " (٣) والقول البليغ هو المؤثر فيهم ، وقد أمرهم بالتجافى عن ذنوبهم والنصح لهم والمبالغة فيه بالترغيب والترهيب وذلك مقتضى شفقة الأنبياء عليهم السلام (٤) .

---

(١) مختار الصحاح ٢٧٩ والمصباح المنير مادة وعظ .

(٢) معجم ألفاظ القرآن (٢٧٩) .

(٣) تفسير النسفى جـ ١ .

(٤) البيضاوى جـ ١ ص٢٢٢ .

فالموعظة متجهة إلى القلب والعاطفة ، فيها إثاره الشوق نحو الجنة بفعل الخير والتقرب بالطاعات إلى رضا الله الذى يستتبع دخول الجنة ونيل الاجر والثواب ، وفيها التنفير من الشر عن طريق ذكر النار ومافيها من ألوان العذاب ، وما يعترى نفس العاصى من الحسرة والألم على مافرط فى جنب الله ، وما أساء به إلى أحواله .

تعريف الموعظة الحسنة كأسلوب دعوى :

عرفت : " بأنها مجموعة العبر النافعة والخطابات المقنعة ، والارشادات المخوفة على وجه لا يخفى على المدعوين أن الداعى يناصحهم ويقصدماينفعهم " (١)

وقد عرف الوعظ بأنه يطلق على القول الحق الذى يلين القلوب ويؤثر فى النفوس ويكبح جماح النفوس المتمردة ، ويزيد النفوس المهذبة إيمانا وهداية (٢) .....

ويطيب للبعض أن يعبر عن هذا الاسلوب بأنه الاسلوب العاطفى وهذا لا بأس به فإنه موجه إلى القلب والوجدان ليستميلهما إلى الخير ويحثهما على الطاعة عن طريق الترغيب والترهيب ، والعاطفة من مكونات الوجدان .

وهو أسلوب فعال مع عوام المدعوين أو من يجهل حالهم وثقافتهم فالداعى الذكى يبدأ دعوته مع مدعويه باستمالتهم إليه ، بالثناء عليهم بتعديد محاسنهم وما امتازوا به ، من خلال كريمة وصفات عظيمة ، أو يشير إلى أنه ليس غريبا عنهم وأنه واحد منهم أخ لمن فى سنه ، وابن لمن يكبره ... ، أو يستغل وقوع حدث مثير يستولى على المشاعر ليبدأ به موعظته ودعوته وهكذا ....

---

(١) الدعوة الاسلامية - د/ غلوش نقلا عن الالوسى جـ ١٤ .

(٢) هداية المرشدين - على محفوظ ص ٧٢ .

والذين يخاطبون بهذا الاسلوب هم عوام الناس محدود والثقافة نفوسهم ضعيفة الاستعداد شديدة الالف بالمحسوسات قوية التعلق بالرسوم .... يتوجه الداعى إلى عواطفهم واعظا إياهم مذكرا لهم .

المبحث الثالث

أسلوب المجادلة بالحسنى

معنى الجدل فى اللغة :

" يقال جادلة أى خاصمة مجادلة وجد الا ، والاسم : الجدل وهو شدة الخصومة "(١)

" ويطلق الجدل ويراد به المنازعة فى الرأى وشدة الخصومة واللدد فيها ، كما أنه يكون بالباطل ليصرف عن الحق ، ويكون بالحق ليدحض الباطل " (٢) .

ويقسم الفخر الرازى الجدل إلى مذموم وممدوح حسب المقام والغاية من الجدل فيقول : " الجدل المذموم محمول على الجدل فى تقرير الباطل وطلب المال والجاه والجدل الممدوح محمول على الجدل فى تقرير الحق ، ودعوة الخلق إلى سبيل الله والذب عن دين الله تعالى " (٣)

تعريف المجادلة بالحسنى كأسلوب دعوى :

هى أدلة كلامية يأتى بها الداعى ليلزم الخصم ، وتجعله يؤمن بالمدعو إليه ....

وقد عرفه البعض ، بقوله : " عبارة عن دفع المرء خصمه عن فساد قوله بحجة أو شبهة " ومنهم من عرفه : " بأنه مراء يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها أو هو مقابلة الأدلة لظهور أرجحها " وقد جاء به الأمر مقيدا بالتى هى أحسن ، وكانت المجادلة

---

(١) مختار الصحاح ٣٨٤ .

(٢) معجم الفاظ القرآن ص ٩٧ .

(٣) أنظر : مفاتيح الغيب جـ ٥ .

بالحسنى أسلوبا دعويا نص عليه القرآن وأمر به ويعد من أبرز الأساليب العقلية[١] كما يمكن التعبير عنه بالمناقشة والمناظرة والمحاورة .

وقد وصفت المجادلة بالحسنى إبعادا لها عن مفهوم المجادلة الاصطلاحية ، الذى يعرف المجادلة بأنها ليست لإظهار الصواب ، بل لمجرد إلزام الخصم . وذلك لأن حملة الدعوة يقصدون دائما إظهار الصواب والوقوف على الحق وإقناع الخصم بالحسنى لا مجرد إظهار عجزه وإفحامه [٢] .

والمدعو بهذا الاسلوب هم المعاندون المجادلون الذين لديهم الشبهات يرددونها ويتمسكون بها

الفرق بين المجادلة بالحسنى والموعظة الحسنة :

أبرز فرق بين الأسلوبين : أن المجادلة منازعة بين طرفين متعارضين والخصم ليس صامتا وإنما يناقش ويرد بما رسخ فى نفسه من أوهام وشبه ، وأما الموعظة فإن المدعو بها يستمع إليها ويستثار بها وينفعل معها بلا ضرورة المنازعة الكلامية .

* * *

---

(١) أنظر : المدخل إلى الدعوة – البيانونى ص ٢٦٣ .

(٢) أنظر : د/ غلوش ٢٨٠ .

المبحث الرابع

تقسيم المدعوين حسب الأساليب القرآنية

لنا أن نتساءل : إن الآية الكريمة قد تضمنت أساليب ثلاثة : الحكمة ، والموعظة ، والجدل - فمن المدعو المخاطب بهذه الأساليب ؟ فنقول : إن المدعوين بهذه الأساليب ثلاث طوائف من الناس :

أ- طائفة العلماء ذوى النفوس قوية الاستعداد لإدراك المعانى ، المنجذبة نحو المبادئ العالية التى تميل إلى تحصيل اليقين على اختلاف مراتبه ، والأسلوب الملائم لهؤلاء هو أسلوب الحكمة .

ب- عوام الناس : ونفوسهم كدره ضعيفة الاستعداد شديدة الإلف بالمحسوسات متعلقة بالرسوم والعادات ، قاصرة عن إدراك البرهان ، ولكن لا عناد عندهم و الذى يناسب هؤلاء هو أسلوب الموعظة الحسنة والتركيز على الجانب العاطفى

جـ- المعاندون المجادلون : وهم طائفة تهوى الجدال بالباطل تبغى من وراء ذلك دحض الحق لما غلب عليهم من تقليد الأسلاف ، ورسخ فيهم من العقائد الباطلة ، وهؤلاء يدعون بأسلوب المجادلة بالحسنى ويراعى فى جدالهم عدم اللمز أو الاهانة أو تحقير الرأى أو سبهم ولعنهم وإنما يلتزم معهم أدب الحوار التى يحفظ للخصم كل حقوقه إلى أن تثبت الحجة وتلزمه .

ويذكر البيضاوى أساليب الدعوة : الحكمة والموعظة والجدل ، ويبين من يدعى بكل منها فيقول : ﴿ ادع إلى سبيل ربك ﴾ أى إلى الاسلام بالحكمة أى بالمقالة المحكمة وهو الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة ، والموعظة الحسنة وهى الخطابات المقنعة والعبر النافعة ، فالأولى لدعوة خواص الأمة الطالبين للحقائق ، والثانية لدعوة عوامهم .

وجاد لهم بالتى هى أحسن : أى جادل معانديهم بالطريقة التى هى أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين وإيثار الوجه الأيسر والمقدمات التى هى أشهر، فإن ذلك أنفع فى تسكين لهلهم وتبين شغبهم " (١) وكل مجتمع كبير أو صغير لا يخلو المخاطبون فيه عن الأوصاف السابقة أو بعضها وقد تستخدم كل الأساليب مع مدعو واحد حسب استعداده الشخصى .

ومهما يكن من إمر فإن مهارة الداعى ونجاحه فى دعوته متوقفة على تحديد المدعو من أى طائفة هو ؟ ليختار الأسلوب الذى يناسبه ليحقق النجاح المطلوب فى هدايه الخلق إلى الحق .

ويذهب البعض إلى ذكر أساليب أخرى غير ماذكر فى الآيه إلا أنها تعود إليها وتندرج تحتها ، لأن العقل والعاطفة ركيزتان فى شخصية الإنسان ويمكن أن يوجه الداعى إليهما أو كليهما دعوته حسب حال المدعو فعلى سبيل المثال يرى بعض الباحثين أن التلطف أسلوب ، والتدرج أسلوب ولكن عند التدقيق نرى أن التلطف استمالة قلبية للمدعو وذلك مرده إلى العاطفة ويتكراره يكون الحب ، والتدرج فيه الجانبان حيث يراعى جانب عقل المدعو ليفهم الجزئية المدعو إليها ثم ينتقل الداعى إلى أخرى وثالثة وهكذا فيستوعب العقل الدعوة فيطمئن بها قلبه ويرتاح إليها وجدانه وبهذا المعيار يمكن اعتبار جميع الأساليب فروعا عن هذين الأسلوبين الرئيسين العقلى والعاطفى ، كما أنه يمكن للداعى الجمع بين أكثر من صورة لكل منها فى موعظته حسب نوعية جمهور المدعوين ، كما أن البعض خلط بين الأسلوب والوسيلة ، وبين الأسلوب والمنهج ، إلا أن هناك فروقا دقيقة تميز كلا منها عن قسيمية على نحو ماسيأتى بيانه بعد إن شاء الله.

---

(١) تفسير البيضاوى جـ١ ص ٥٦١ - ط . دار الكتب العلمية .

الفصـــل الثـــالـــث

وسائل الدعـــوة إلى اللـــه

* المبحث الأول

مفهوم الوسيلة عموما

* المبحث الثانى

وسائل الدعـــــوة

* المبحث الثالث

أنواع الوسائل الدعويـــــة

* المبحث الرابع

هل يمكن أن يكون التمثيل وسيلة للدعوة ..؟..

* المبحث الخامس

التبليغ بالحركة والعمل (القدوة)

* المبحث السادس

الجهاد وسيلة للدعـــــوة

المبحث الأول

مفهوم الوسيلة عموما

معنى الوسيلة فى اللغة :

" يقال : وسل إليه وسيله ووسائل ، وأنا متوسل إليه بكذا ، وواسل ووسلت إليه ، وتوسلت إلى الله بالعمل الصالح أى تقربت إليه " (١) .

" والوسيلة الواسلة ، والوصلة والقربى ، ودرجة النبى فى الجنة ، والجمع وسائل " (٢) .

" ويقال : توسل إليه بوسيلة إذا تقرب إليه بعمل ، وتوسل إليه بكذا : تقرب إليه بحرمة آصره تعطفه عليه ....

والوسيلة الوصلة والقربى وجمعها الوسائل ، قال تعالى : ﴿ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة ﴾ ، وقال الجوهرى : الوسيلة مايتقرب به إلى الغير والجمع الوسل والوسائل ، والتوسل واحد ، وفى حديث الأذان : " اللهم آت محمدا الوسيلة " ..... وهى فى الأصل مايتوصل به إلى الشئ ويتقرب به والمراد به فى الحديث القرب إلى الله " (٣) .

وعلى هذا يمكننا أن ندرك أن الوسيلة هى الطريقة التى يتم بها إيصال الدعوة إلى المدعو بعد تحديد الأسلوب المناسب لحاله ، والمنهج الملائم لدعوته .

---

(١) أساس البلاغة للزمخشرى ص ٦٧٥ - ط. بيروت .

(٢) المعجم الوسيط جـ٢ ص١٣٠٢ .

(٣) أنظر : لسان العرب جـ ١١ ص ٧٢٤ .

مثال للإيضاح :

رصد أحد الدعاة مخالفة شرعية من أحد أفراد المجتمع - وكان هذا الشخص ذا منصب وجاه ، وهو دائما في انشغال بعمله - وكانت هذه المخالفة مثلا هي عدم حضور الجماعات في الصلوات في المسجد ...

درس الداعي حال هذا الشخص وعرف خلفيته الدينية ومدى إمكان قبوله للنصيحة فاختار أسلوبا عاطفيا يركز فيه على قلبه وفطرته وإضاء جوانب الخير فيه عن طريق ذكر محاسنه ومميزاته (الحقيقة القائمة به بالفعل) .....

ولكن كيف يلتقي به ، لتصل دعوته إليه ؟ فتحديد كيفية إيصال الدعوة اليه هي الوسيلة الملائمة له .....

١- اللقاء الشخصي مثلا - بأن أذهب لزيارته وعرض الدعوة عليه بعد التعرف عليه ومصاحبته ؟

٢- اللقاء الجماهيري : بأن أنتهز منتدى يكون حاضرا وألقى موعظة عامة تتضمن دعوتي له ولغيره ؟

٣- أو أرسل إليه خطابا أو رسالة شخصية متضمنة ما أريد ؟

٤- أو أهدية كتابا في الموضوع لقراءته ؟

٥- أو هل أستعين بأحد المقربين إليه للوصول إليه وإبلاغه الدعوة ؟

فكل هذه وسائل للاتصال بالمدعو وعرض الدعوة عليه وهناك وسائل غيرها قوليه كالخطبة ، والدرس ، والمحاضرة ، والندوة .... ويمكن عن طريق المسجد أو المدرسة .

وأبرز وسيلة هو إعداد الدعاة المؤهلين بفنون الدعوة وتزويدهم بطرق الاتصال والعرض الدعوي .

ويجب أن يعلم الدعاة أن منهج الدعوة والأسلوب والوسيلة ليس للتطبيق مرة واحدة فقط ، وإنما يمكن أن يوضع منهج دعوى طويل المدى ، وله خطوات عديدة تستغرق وقتا طويلا فى تطبيقها ، وتستخدم أساليب عديدة لعرضها حسب حالات المدعو كما تتنوع الوسيلة حسب تجدد ظروف الدعوة وتطور حالات المدعوين .

مفهوم الوسيلة حديثا : لا يختلف المفهوم الحديث للوسيلة عنه فى المفهوم القديم .

فقد عرفت بأنها القناة أى قناة الاتصال (channel) وهى التى تنتقل خلالها رسالة من مصدر إلى مستقبل ، وتضم هذه الرسالة عادة فئتين :-

أ- الاتصال الجماهيرى .   ب- الاتصال المباشر .

وعناصر الاتصال ستة : المصدر - الرسالة - الوسيلة الاعلامية - المستقبل التأثيرات - ردود الفعل .

ولا تختلف عملية الاتصال بالنسبة للاتصال المباشر بين الأفراد عنها بالنسبة للاتصال الجماهيرى ، وأيضا فيما يتعلق بسيكولوجية الاتصال ، فهى واحدة فى كليهما .... (١) .

دعائم الاتصال الناجح ، كما يحددها الاعلاميون :

١- مصداقية المصدر .   ٢- التعبير عن الواقع .

٣- المعلومات التى لها مغزى (تعنى المستقبل وتهمه) .

٤- الوضوح والدقة .   ٥- الاستمرارية والاتساق .

٦- مراعاة إمكانات المستقبل العقلية والنفسية .

---

(١) أنظر وسائل الاعلام والتنمية الاجتماعية - د/ شاهيناز طلعت - مكتبة الانجلو المصرية - ط . أولى سنة ١٩٨٠ م ص ١٩ ومابعدها .

٧- مراعاة الوسيلة المناسبة التى يتعرض لها الجمهور (١)

وهذه الدعائم المذكورة فى الإتصال الناجح هى نفس دعائم التبليغ والدعوة حيث تقوم الدعوة إلى الله على الصدق والإخلاص والارتباط بواقع الإنسان للارتقاء به وتوفير السعادة فى الدنيا والآخرة ، كما تقوم على الوضوح والدقه فى التعبير حيث إن الدعوة إلى الله على بصيره والصبر على المدعو وتبليغه الدعوة مما يؤكد استمرارية التبليغ ومراعاة امكانات المستقبل (وهو المدعو) يعنى اختيار الأساليب المناسبة لتكوينة - فالدعوة إلى الله اعلامه بدين الله ودعوة الحق .

* * *

(١) انظر تفصيل ذلك فى : مقدمة فى وسائل الاتصال - أ.د / على عجوه وآخرون مكتبة مصباح ص ٦٠٦٩ - جدة - السعودية ط. سنة ١٤٠٩ هـ ص ٣٦ ، ٤٩ .

المبحث الثانى

وسائل الدعوة

بعد بيان المراد بالوسيلة عموما فى اللغة ، والمعنى المراد بها كذلك عند علماء الاتصال يجدر بنا الآن أن نعرض فى هذه العجالة لأبرز وسائل الدعوة من حيث التنوع ، والحل أو الحرمة ....

يرى البعض أن الوسائل تنقسم إلى وسائل خارجية وهى التى تتعلق باتخاذ الأسباب التى تهيئ المجال المساعد لعملية تبليغ الدعوة ، وعد من هذه الوسائل الحذر من قبل الداعى واستدل لذلك بأدلة قرآنية ومن السنة النبوية ، معددا صور الحذر وأنواعه ، وكذلك جعل منها : الاستعانة بالغير من أهل الخبره والكفاءة ، متناولا حكم الاستعانة بغير المسلم ، كما جعل منها : النظام ولعله قصد به رسم الخطة التبليغية للدعوة ، وإلى وسائل تبليغ دعوة وقصد بها الوسائل التى تتم بها عملية التبليغ مباشرة وذكر منها : التبليغ بالقول ، وذكر أنواعه وضوابطه والتبليغ بالعمل وقصد بها التنفيذ الفعلى لإزالة المنكر ، والتبليغ بالسيرة الحسنة ويعنى بها القدوة الحسنة برسم النموذج الفعلى لتطبيقات الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقا [١] ....

ويقسمها البعض إلى : وسائل معنوية ، ووسائل مادية ، ويرى أن المعنوية هى مايعين الداعى على دعوته من أمور قلبية ، والمادية هى مايعين الداعى من أمور ملموسة محسوسة ، ويقسم المادية إلى : فطرية ، ويعنى بها الوسائل المركبة فى

---

(١) انظر : أصول الدعوة - عبد الكريم زيدان - من ص ٤٤٨ - ص ٤٨٦ .

ذات الانسـان وفطرتـه كـالقول والحركـة ، وإلى وسـائل فنيـه (عمليـة) كالكتابـة والإذاعة والتلفاز، ووسـائل تطبيقية كالمساجد والنوادى والمخيمات .... ألخ (١) .

ولا نرى بأسا فى هذه التقسيمات أو غيرها فالهدف هو وجود الوسيلة الملائمة التى يتم بها إيصال الدعوة إلى المدعوين ، والوسيلة التى قد تكون فعالة فى زمن قد تقصر عن الأداء فى زمن آخر لأن التغيرات الاجتماعية ، والتقدم التكنولوجى فى وسـائل الاتصال قد يجعل بعض الوسـائل التقليدية غير موفية بالغرض ، كما أن الوسيلة فى زمن ما ، قد تجدى وتحدث أثرا ملموسا فى بيئة معينة ، كما لا تترك أى أثر يذكر فى بيئة أخرى ... وهكذا .. ، ولذا فـان وسـائل التلبيـغ لابد أن تتطور وتساير متطلبات العصر وتلبى حاجاته حتى لا يصاب تبليغ الدعوة بالتخلف عن العصر....

هل الغاية تبرر الوسيلة فى تبليغ الدعوة ؟ :

قد يطيب للبعض أن يقول : مادمت أدعو إلى الله وغايتى هى الدعوة إلى الايمان به وتوحيده ..... وإقامة مجتمع مسلم متكامل إيمانيا ، فلا حرج فى استخدام أيه وسيلة وإن شابها بعض الكراهة أو الحرمة ، فانها لن تدوم بعد الوصول إلى الغاية المرجوة وهى الهداية للمدعوين ، خاصة وأن العبرة بالدافع والحافز إلى الفعل و" انما الأعمال بالنيات ، وانما لكل أمرئ مانوى " وانا لم أنو إلا خيرا باتخاذ هذه الوسيلة ....

وهنا نقول : إن الغاية لا تبرر الوسيلة حيث لا يجوز شرعا أن يسرق شخص ليحسن إلى الفقراء حتى وإن كان من مال لظالم أو سارق ، ولا يجوز أن يشرب

---

(١) انظر : المدخل إلى الدعوة - البيانونى ص ٢٨٢ ومابعدها .

مريض خمرا بدعوى الاستشفاء فإن الله لم يجعل الشفاء فى الحرام ، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم " لم يجعل الله شفاء أمتى فيما حرم عليها " .

ولذلك فإن علاج المعاصى بالدعوة إلى الطاعات لا يتم بوسيلة منهى عنها شرعا بدعوى تبرير الغاية للوسيلة ، وقد يقر فى نفوس المدعوين الذين استخدمت معهم الوسيلة المحرمة أنها حلال ومباحة فيما رسونها ، وإذا نهوا عنها تساءلوا : إذن لماذا كنتم تتبعونها فى دعوتنا ؟ فنفتح بابا آخر للفتن والمعاصى ... ربما لا نستطع إغلاقه مرة ثانية ....

وهناك ضوابط شرعية وضعها العلماء للوسائل أوجزها بعضهم فى أمور :

١- النص على مشروعية الوسيلة فى الكتاب والسنة أو طلبها بوجه من أوجه الطلب وذلك كوسيله القول - الكتابة - الجهاد.

٢- النص على تحريم الوسيلة فى الكتاب والسنة والنهى عنها بوجه من الوجوه ، كالكبر والكذب ، والخداع ، ورفع الصوت .... فهذه كلها لا تصح وسائل دعوة .

٣- أن تدخل الوسيلة فى دائرة المباح : بمعنى أنها لم ينص على مشروعيتها ولا على تحريمها ، ومن هذه الوسائل تبرز لنا صورتان : وسائل أختلف فى حكمها بين العلماء بين الإباحة والتحريم ، ووسائل مشوبه أختلط فيها الحلال والحرام وللعلماء فى هذه الوسائل آراء مابين مبيح ومحرم ، فمنهم من عاملها معاملة الحرام وتجنبها تورعا وأنكر على من استخدمها ، ومنهم من ترخص فيها وتوسع فى استخدامها دون حرج وكأنها من الحلال البين مثل : التصوير الفوتوغرافى - التمثيل المسرحى أو الغناء وبعض آلاته كالدف ... هذا بالنسبة للوسيلة المختلف فى حكمها.

أما الوسيلة التى أختلط فيها الحلال بالحرام فقد اختلف موقف العلماء إزاءها فمنهم من قاطعها وتجنبها تجنبه للحرام الخالص ومنهم من يستخدمها ويشارك فيها ترجيحا لجانب الحلال على الحرام .

وأوافق رأى الدكتور / البيانونى : أنه إذا أمكن تنقيه الوسيلة مما شابها من الحرمة جاز استخدامها ، وان لم يمكن معالجتها بالتنقية والتخليص من الحرمة فلا يجوز إستخدامها [١] ، ولا أرى جواز أستخدامها مالم يمكن علاجها وتطهيرها من شوائب الحرمة - حتى لا يؤخذ المحرم منها ضد الداعى من أعداء دعوته ، فالاعداء يرصدون حركات الدعاه وتصرفاتهم وهذا من باب سد الذرائع .

٤- خروج الوسيلة عن كونها شعارا للكفار : لأن التشبه بهم مرفوض شرعا فلا يجوز لداع أن يتخذ من التشبه بهم وسيله للدعوة ، والرسول صلى الله عليه وسلم عندما أرادوا أن ينادى للصلاة إعلاما بدخول وقتها لم يرض باقتراح بعضهم إتخاذ ناقوس يدق عند حلول الوقت وذلك لأنه شعار النصارى ، فعن ابن عمر أنه قال : كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فيتحينون الصلوات وليس ينادى بها أحد فتكلموا يوما فى ذلك ، فقال بعضهم : إتخذوا ناقوسا مثل ناقوس النصارى ، وقال بعضهم قرنا مثل قرن اليهود فقال عمر : أو لا تبعثون رجلا ينادى بالصلاة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يابلال قم فناد بالصلاة " [٢] فقبل النبى صلى الله عليه وسلم رأى عمر ببعث رجل يعلم بوقت الصلاة وكان هذا قبل مشروعية ألفاظ الاذان .

٥- الترخيص فى استعمال بعض الوسائل الممنوعة فى بعض الأحوال : وكان ذلك على نوعين :

---

(١) المدخل إلى الدعوة - البانونى ص ٢٩٥ .

(٢) رواه مسلم عن ابن عمر - كتاب الصلاة - كتاب د " الاذان جـ ٢ ص ٧٥ .

أ- تغليب جانب درء المفاسد على جلب المصالح ، أو الموازنة بين المفاسد إذا اجتمعت وتقديم إحدى المفسدتين ، وذلك كالترخيص فى الكذب عند الاصلاح والحرب وبين الرجل وامرأته .

ب- الضرورات تبيح المحظورات والضرورة تقدر بقدرها ، فيستخدم الداعى الوسيلة بالقدر الذى تدفع به الضرورة (١) .

ويمكنا بعد ذلك القول بأن الغاية لا تبرر الوسيلة بل ينبغى مراعاة الضوابط الشرعية التى ذكرها العلماء وحدودها للوسائل قديمها وحديثها ، ومايتجدد منها بمضى الايام وتوالى والأزمان وتحديد الوسيلة يرجع إلى فقه الداعى فى تبليغ الدعوة .

---

(١) انظر : المدخل إلى الدعوة - البيانونى ص ٢٨٥ إلى ص ٣٠٠ بتصرف شديد .

المبحث الثالث

أنواع الوسائل الدعوية

تتنوع الوسائل فى التبليغ إلى قولية وفعلية (عملية) ....

١- **التبليغ بالقول** : فالقول هو لفظ مفيد مفهم ينطق به اللسان ويفرق علماء اللغة بين اللفظ والقول ، فذكروا أن اللفظ مجرد صوت اشتمل على بعض الحروف سواء أفهم السامع أم لم يفهمه فهو من الأجناس البعيدة التى تشمل المفهم وغيره .

أما القول فإنه خاص بالمستعمل المفهم معنى معينا ، الدال دلاله معينة على ما أطلق عليه فهو من الاجناس القريبة ، فكل قول لفظ ، وليس كل لفظ قولا...(١)

والقول هو الاصل فى التبليغ ومانقل إلينا من سنة النبى صلى الله عليه وسلم منه ماهو قولى ، ومنه ماهو فعلى

وقد قال تعالى : ﴿ وقولوا للناس حسنا ﴾ (٢) كما قال آمرا نبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ قل هو الله أحد ... ﴾ (٣) وحكى عن نوح وهود وصالح أنهم قالوا لأقوامهم ، داعين إياهم إلى توحيد الله وعبادته فقال عنهم :

١- قال تعالى : ﴿ لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ﴾ (٤) .

---

(١) انظر : قطر الندى وبل الصدى لابن هشام - دار الكتب العصرية ص ١٢ .

(٢) البقرة من آية (٨٣) .

(٣) الإخلاص (١) .

(٤) الأعراف (٥٩) .

٢- وقال تعالى : ﴿ وإلى عاد أخاهم هودا قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون ﴾ (١) .

٣- وقال تعالى : ﴿ وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينه من ربكم هذه ناقة لكم آية فذروها تأكل فى أرض الله ولاتمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم ﴾ (٢) .

٤- وقال تعالى حاكياً عن إبراهيم فى دعوته لأبيه : ﴿ واذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناماً آلهة انى أراك وقومك فى ضلال مبين ﴾ (٣) .

٥- وقد بلغ رسل الله جميعاً وبصفة عامة دعواتهم بمناقشة المدعوين ودحض حججهم والرد على شبهاتهم ومعارضاتهم ، وهذا كله بالقول ..

ضوابط وسيلة القول :

ما يجب أن يتحقق فى وسيلة القول أن تؤدى الغرض وتحقق الغاية منها فتصل الدعوة إلى المدعو ويفهمها ، فقد يكون ذلك داعياً إياه إلى الامتثال والطاعة :

١- فينبغى أن يكون القول واضحاً لاغموض فيه ولاإبهام ، بألفه المدعوون بلغتهم ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ﴾ (٤) ويكون أقرب إلى لهجتهم الخاصة واطلاقات الألفاظ عندهم حسب عرفهم .

---

(١) الإعراف (٦٥) .
(٢) الإعراف (٧٣) .
(٣) الأنعام (٧٤) .
(٤) إبراهيم (٤) .

٢- أن يكون خالياً من الألفاظ المستحدثه والغريبة والموهمه باحتمالها حقاً وباطلاً وينبغى أن يحرص الداعى على الألفاظ الشرعية كما فى الكتاب والسنة وعند علماء المسلمين .

٣- التمهل فى القول وعدم الإسراع فيه ويتأنى حتى يفهم السامع كلامه عنه ، فقد كان صلى الله عليه وسلم إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تفهم عنه .

٤- البعد عن التفاصح والتعاظم والتكلف .. إظهاراً للفضل وعظمة النفس .

٥- عدم التعالى بالكلام على المدعو واحتقاره ، بل يجب أن تسود روح التواضع والشفقه والحب والحرص على المدعو ، والتلطف بالقول معه ويستعمل معه من القول ما يثير رغبته فى سماعه ، وانجذابه إليه على نحو ما سبق إيضاحه فى أساليب الدعوة .

٦- أن يكون القول مشروعاً صادقاً ، مطابقاً للعمل ولايخالفه وإلا كان سببا قوياً لانصراف المدعوين عن الداعى والله تعالى يقول : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون ، كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون ﴾ (١) .

صور وسيلة القول فى مجال الدعوة :

لوسيلة القول مظاهر كثيرة وعديدة فى مجال الدعوة بل ولعلها تكون الوسيلة السائدة التى تدخل فيها جميع الوسائل التقليدية والحديثة مع التقدم الكبير فى عالم الاتصالات ، فمن صورها وأشكالها :

أ- الخطبة : فهى قول يلقى من الخطيب على جمهوره متضمناً دعوتهم إلى فعل شىء ، أو ناهياً إياهم عن فعل أمر ، حاثاً لهم على فعل طاعة ، أو رادعا لهم عن اقتراف معصية ، ولأهمية الخطبة كوسيلة دعوية فقد شرعت فى صلاة الجمعة

---

(١) الصف (٢) .

والعيدين والاستسقاء ، والخسوف والكسوف ، ويوم عرفه حيث اللقاء الاسلامى العالمى .

ب- المحاضرة : وهى أيضاً قول يلقى إلى سامعين تجمعهم فى العادة وحده فكرية ، وتربطهم ثقافة معينة ، وهى موجهة إلى العقل فى المقام الأول وتحدد عناصرها وأجزاؤها تفصيلاً مع ما يدعمهامن سائر أنواع الأدلة والبراهين ، وهى ذات دور فعال فى دعوة المثقفين غالباً .

جـ- الدرس : وهو ما يقوم به الدعاة من شرح لمعنى آية من كتاب الله تعالى أو لحديث نبوى شريف يوضح ما فيه من تشريع أو عظة لجمهور الحاضرين ، وقد يكون الدرس لحكم فقهى أو عقدى ويتميز الدرس عن الخطبة بأنه يمكن للمستمع أن يسأل فيما لايفهمه ويستوضح من الداعى عن المسائل التى شرحها ولم يستوعبها عقله وفكره والداعى الناجح هو الذى يملك من أسلوب الملاطفة وتهيئة النفوس ما يستولى به على مشاعر مستمعية ويربطهم به ..

ولأن عدد من يحضر الدرس غالباً قليل ، فإن توقع التأثير فيهم كبير ، وربما ترك أثراً عظيماً وفقها ينتفع به سامعه ويؤجر به الداعى من الله فإن من دل على خير فله مثل أجر فاعله .

د- الندوة : وهى عادة تكون فى موضوع معين يحضرها عدد من المتحدثين كل منهم يتناول جانباً من الموضوع يوفيه حقه من الشرح والإيضاح ، ويدير الندوة غالباً شخص آخر يلم بجوانب الموضوع ويدير الحوار ويفتح أبواب الحديث للمتحدثين ويحضر الندوة جمهور من المدعوين ، عادة يوجهون أسئلتهم واستيضاحاتهم إلى المتحدثين فى نهاية الندوة ،وهى شكل مثمر من أشكال القول الهادف إلى الخير.

هـ-المناقشة والمناظرة :

وهى أيضاً من فنون القول ووسائل الدعوة - فهى بين طرفين أو أكثر يتبادلان الأدلة والبراهين ويرجحون أو يردون عليها - ويهدف الحوار إلى الوصول إلى الحق واظهار الصواب - أما إذا كانت لمجرد الثرثرة واستعراض القدرة على الكلام - فتلك وسيلة مردودة وجدل منهى عنه ، فالجدل كشكل من أشكال القول لابد أن يكون بالتى هى أحسن .. وهو أيضاً وسيلة قولية بين أكثر من طرف - ولها جمهور حاضر يتابع المناقشة والأدلة والردود او الاستدراكات عليها - إلى أن يصل إلى الحقيقة الدعوية المراد إبرازها .

ومن أظهر المناقشات والمناظرات فى الوقت الحاضر وأشهرها مناظرات (أحمد ديدات مع القس سواجارت) حول قضايا المسيحية - وإظهاره بطلانها من خلال نصوص الإنجيل نفسه .

وكل ما سبق بيانه من أشكال وسيلة القول ، إنما هو من اللقاء المباشر بين الداعى والمدعوين ، وهذه اللقاءات من أجدى الوسائل ومن أهمها ولاتزال الحكومات المتعاقبة تعترف بجدوى هذه اللقاءات فتستعين فى توعية الجمهور بأمر هام او تبصيره بقضية معينة بالخطباء فى المساجد ، أو عقد ندوات فى أماكن معروفة أو إلقاء محاضرات فى مناسبات معينة .. وأماكن متنوعة .

وتتم هذه اللقاءات عادة فى : المساجد والمدارس ، والمعاهد والجامعات والمؤتمرات المختلفة .

ومن الوسائل غير المباشرة :

١- الكتابة : وهى أيضاً لاتحرج عن وسيلة القول إلا أنها خالية من اللفظ فهى بدلاً من نبرات صوت الداعى يخط القلم ما يراد الدعوة إليه من إرشاد ونصح وتوجيه . وللكتابة أشكال يمكن استخدامها كوسائل :

أ- الكتابة : بمعنى تأليف الكتب التى تحتوى على موضوعات دعوية فى العقيدة أو الشريعة أو الفقه .. أو غير ذلك فتهديه إلى من تريد دعوته ناصحاً إياه بقراءته والاستفادة منه ، والكتيبات فى هذه الناحية أنفع وأجدى ، لضمان قراءتها مع سرعة الإيقاع فى حركة الحياة .

ب- الكتابه فى الصحف والمجلات : أى الصحف اليوميه ، والمجلات الأسبوعية ، والنصف شهريه ، ولكن صنف جمهور من القراء المهتمين بالحصول عليه المتابعين لموضوعاته وبحوثه ومقالاته ، فإذا ماكتب الداعى مقالا أو بحثا فيه دعوة إلى الاسلام بأسلوب حسن مقبول يجذب القارئ لمتابعته والوصول إلى نهايته كان ذلك مجديا فى مجال الدعوة ووسيلة ناجحة .

جـ- كتابة رسائل شخصية : وذلك يكون بارسال رسالة إلى شخص معين ومدعو محدد لدعوته إلى طاعة معينة ، أو تحذيره من مخالفة محددة ، تأمره بمعروف أو تنهاه عن المنكر ، وينبغى أن تكون الرسالة واضحة الدلالة صريحة الدعوة ليس فيها تجريح أو اهانة ، بل لابد أن يكون فيها استماله عاطفية تجذب المرسل اليه (المدعو) إلى قراءتها ، والافادة منها ، مع إنزاله منزلته من التقدير والاحترام ، ودعوته بلين ورفق وليس بتعال أو غطرسة .

وهذه الوسيله - أعنى الكتابة - لها جدواها ، وقد اتبعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دعوة الملوك إلى الاسلام فبعث كتبه إلى كسرى وقيصر والنجاشى .... وغيرهم يدعوهم إلى الإسلام ، وكلها متسمة بالايجاز والوضوح [١] .

---

[١] انظر نصوص الكتب المرسلة إلى الملوك فى كتاب نور اليقين فى سيرة المرسلين محمد الحصرى - من ص ٢١١ إلى ص ٢١٩ ، وانظر البخارى - كتاب المغازى - باب كتبه إلى كسى وقيصر.

وقد أرسل نبى الله سليمان عليه السلام كتابه مع الهدهد إلى بلقيس ملكة سبإ يدعوها إلى الإسلام ، وبعد ارسالها رسولها إليه آمنت به وأسلمت معه لله رب العالمين (١) .

فالرسالة إذا وجهت بقصد النصيحة والإرشاد ولفها الإخلاص فى الدعوة أدت غرضها المنشود ان شاء الله .

٢- **الكلمة المسموعة** : وهى إما أن تكون من الإذاعة ، أو مسجلة على شريط كاسيت ، وترجع أهمية هذا النوع من الوسائل إلى انتشارها فى كل مكان وامكان سماعها دون أن تشغل سامعها عن عمل معين ، حيث يعمل بيديه ويسمع بأذنية ، وسهولة حملها أو نقلها من مكان إلى مكان .

أ- ففى المذياع : الذى قد يكون فى السيارة ، أو المنزل أو النادى يمكن الدعوة وتوجيه الحديث والإفادة منه ، وإذا كان البعض يقاطع سماع الإذاعة بدعوى أنها تذيع الغث الثمين فإن ذلك دعويا غير صائب ، ففى الإذاعة تظهر على خريطة البرامج الأزمنة المخصصة للبرامج الدينية ، وهى وإن كانت قليلة نسبياً إلا أنه لايجوز مقاطعتها والنهى عنها بل ينبغى الاستفادة مما يذاع فيها وهناك إذاعات خاصة بالبرامج الدينية ومناقشة القضايا المختلفة فى ضوء الشريعة الإسلامية فضلاً على إذاعة المصحف المرتل بأصوات مشاهير القراء المتقنين ، وعقد برامج ولقاءات مع المتخصصين لتحفيظ القرآن الكريم ، وشرح أحكام تلاوة القرآن من حيث الأداء .. ومن هذه الإذاعات إذاعة القرآن الكريم بمصر والسعودية وبعض البلاد الاسلامية .

---

(١) دعوة سليمان عليه السلام بلقيس - سورة النمل من (٢٨ -٤٤) .

وهناك بعض الأعمال الدرامية التمثيلية لعرض قصص القرآن وسير الصالحين وهذا لون محبب إلى النفوس والإفادة منه متوقعة غالباً مثل برنامج : قصة آية ، بجانب برامج أخرى تهدف إلى التربية الاسلامية ، والدعوة إلى الله ..

ب- شريط الكاسيت : وهو من وسائل الدعوة عن طريق الكلمة المسموعة وتسجل عليه المادة المرادة وتنشر بين المسلمين ، فيمكن تسجيل محاضرات وخطب وندوات مشاهير العلماء ، كما تسجل عليها الدروس والمواعظ ، فضلاً على القرآن الكريم ويتميز شريط الكاسيت على المذياع بأنه يمكن للمسلم سماعة عندما تسنح له الفرصة وتتهيأ نفسه لقبول الموعظة ، كما يمكنه أن يسمعه مراراً ليستوعب ما فيه ويفهمه كما يمكن سماعة فى مسجل السيارة ويكون رفيقك وسلواك فى السفر..كما يمكن دعوة غيرك بإسماعه إياه كما يحدث من بعض سائقى السيارات العامة أو الأجرة فى الأسفار حيث يضعون شريطاً مسجلاً عليه بعض المواد العلمية كدرس فى العقيدة لأحد العلماء أو فى الفقه أو التفسير أو خطبة أو موعظة .. ويسمعها الركاب ويفيدون منها افادة محققة .

٣- **الكلمة المرئية المسموعة** : ويجمع هذا جهاز "التليفزيون" حيث يجمع بين الصوت والصورة مركزا على حاستين فى المشاهد : السمع والبصر ، وهو جهاز سحرى مؤثر يجمع المشاهدين حوله متابعين ما يذاع على شاشته من مواد مختلفة ومتنوعة تجمع بين الثقافة والمتعة ، وقد ألغى هذا الجهاز حاجز المسافة وحاجز الزمن حيث ينقل الأحداث ساعة حدوثها من أى مكان فى العالم فمشاهده يقوم برحلة فى ثانية أو جزء منها إلى أى بقعه من بقاع الأرض ، وينتقل من هنا إلى هناك ومن مكان إلى مكان بلمسة خفيفة لمفتاح القنوات بالجهاز وبخاصة بعد تقدم الاتصال عن طريق الأقمار الصناعية ، وهذا الجهاز يمكن اعتباره وسيلة

دعوية هامة جداً تعرض فيه المواد الدينية المختلفة من فقه وتفسير وحديث واجتماع .. وتناقش فيه كذلك القضايا الهامة التى تلح على واقع الأمة اسلامية بضرورة إيجاد حلول لها ويمكن كذلك تعريف غير المسلمين بصورة الإسلام الحقيقية وواقعة المشرف حيث إن أغلب من عرف الإسلام خاصة فى دول الأقليات المسلمة فى العالم الغربى عرفه من خلال المستشرقين المتعصبين ضد الإسلام أومن المبشرين صناعة الإستعمار لتشويه العقيدة الإسلامية والفصل بين المسلم وبين دينه .

والتليفزيون رغم تأثيره الا أن الإذاعة أوسع منه انتشاراً وأكثر استماعا وذلك لأن سامع "الراديو" لاينشغل بالسماع عن شىء يفعله فيسمع وهو يؤدى أى عمل أما التليفزيون فيستلزم الأذن والعين ، فيعطل المشاهد عن أى عمل غير المشاهدة ولذا فإنه – أى المشاهد – لابد أن يكون متفرغاً له منصرفاً إليه .

ورغم أن لهذا الجهاز أثراً بالغا ودوراً فعالاً فى مشاهدية ، إلا أن للعلماء منه مواقف ، ولهم آراء فى حله وحرمته ، وحظرة أو إباحته ، وهل يمكن استخدامه كوسيلة دعوية أولاً ؟

أ- فمنهم من قاطعه نهائياً كجهاز ووسيلة ، وابتعد عنه مطلقاً .

ب- ومنهم من أقره ورأى ضرورة إصلاحه ، وإصلاح ما يذاع فيه من مواد وقدم بعض مشاركات للإصلاح إلا أنها لم تخرج عن الفردية والمحاولات الذاتية ، فهذا الفريق يرى أن التليفزيون لو نقى من المواد المحرمة ، وأصلح فساده يجوز الانتفاع كوسيلة اتصال وتبليغ هامة .

جـ- والبعض لم يكتف بمجرد المقاطعة ، بل حارب وجوده ، وكسر أجهزته وحرم دخوله بيته إمعانا فى التحريم .

وأما عن حكم التليفزيون كوسيلة : فقد جمعت وسيلة التليفزيون ثلاثة أنواع من الوسائل :

١- الوسيلة المباحة لما قد يعرض فيها من خير أو مباح .

٢- الوسيلة المشوبه التى اختلط فيها الخير والشر والحلال بالحرام .

٣- الوسيلة المختلف فى حكمها نظراً لما تقوم عليه من التصوير الذى اختلف العلماء فى حكمة [١] .

وأرى أن الصواب الاستفادة من التقدم العلمى والتكنولوجيا فى عالم الإتصال ، ويمكن تنقية المادة المذاعة من شوائب الحرمة والبعد عن محظوراتها .. فإن العيب ليس فى الجهاز كأداة استقبال وإنما فى نوع الرسالة (المادة المذاعة) - كالكأس الزجاجية إذا وضعت فيها خمرا كانت حراما وإذا وضعت فيها ماء تشربه كانت حلالا فالحكم دار تبعاً لما استعمل فيه الكأس من الحل أو الحرمة [٢] .

٤- **شرائط الفيديو كاسيت** : وهذه من الوسائل الدعوية الهامة إذا أحسن استغلالها والاستفادة منها ، فيمكن أن يسجل عليها دروساً ومحاضرات وندوات كما يمكن تعليم الوضوء والصلاة وبيان أركانها عمليا بالصوت الشارح المفهم والصورة المعبرة ، وكم من استخدامات لتلك الإمكانات فى تعليم الدعوة ونشر الإسلام حيث يمكن تحفيظ القرآن وأحكام التجويد بالصوت والصورة ومشاهدة الشريط والاستفادة بما فيه كمن حضر مجلس قرآن استمع من حيث الفائدة ، وان كان هذا لايغنى عن الجلوس المباشر أمام محفظ متقن يصحح ما قد يقع من أخطا

---

(١) انظر : المدخل إلى الدعوة - البيانونى ص ٣٢١ بتصرف شديد .

(٢) ويمكن تنقيته كوسيلة دعوية من المحظورات الشرعية للاستفادة منه كما فعل النبى صلى الله عليه وسلم مع وسيلة النذير العريان فقد كان النذير العريان يصعد الجبل متجردا من ثيابه منادياً "واصبحاه" فيعرف القوم ان الامر خطير ويحضرون لمعرفته ، والتجرد من الثياب حرام لكن النبى لما اراد استخدام نفس الوسيلة صعد الجبل ونادى "واصبحاه" لكنه لم يتجرد من ثيابه فقد نقى الوسيلة من الحرام .

فى الأداء .. فلا حرج أن نستفيد بهذا التقدم العلمى فى نشر الدعوة وتحريكها من مكان إلى مكان ومن شعب إلى آخر ويمكن ترجمة المادة المسجلة على شريط الفيديو بلغات عديدة لتعم الفائدة وذلك مثل نقل مناسك الحج بالأقمار الصناعية إلى العديد من بقاع العالم مع مصاحبة الصورة بترجمة فورية ، ومن ذلك "دبلجة"(١) مناظرات أحمد ديدات مع القس سواجارت فى المسيحية واظهار الحق ومدى ما فيها من تناقض وذلك بمصاحبة ترجمة صوتية للحوار مما عمم الفائدة وإفادة كل سامع ومشاهد .

ولايمنع أن يكون استغلال هذه الوسائل الحديثة فى نشر الدعوة بواسطة هيئات رسمية ومسئولة عن سير هذه الوسائل فى الطريق الصحيح .

---

(١) المراد بالدبلجه هنا تركيب ترجمة مصاحبة لحوارهما ، بغير لغتهما - وهى ناطقة وليست مكتوبة .

المبحث الرابع

هل يمكن أن يكون التمثيل وسيلة دعوية ؟

المراد بالتمثيل فى الاصطلاح أنه عرض لقصة وأصحابها واقعة أو متخيلة[(١)] وقيل أيضاً: إنه تجسيد الحادثة التاريخية أو الواقعة الاجتماعية أو الموقف السياسى أو الفكرة التوجيهية بشخصيات بشرية أو صور مادية وحسية [(٢)]

وهو كوسيلة يجمع بين كل أنواع الوسائل السمعية والبصرية والحركية مما يجعل له جاذبية خاصة عند الناس ، والتمثيلية أكثر البرامج جذبا للمستمع أو المشاهد ..

حكم التمثيل كوسيلة دعوية :

للعلماء عدة آراء فى جواز التمثيل أو حظره ومنعه .. نوجزها فى الآتى :

١- ذهب البعض إلى تحريمه تحريماً قاطعاً ، مستدلاً بأنه نوع من اللهو الباطل المنهى عنه ، والكذب ، والتشبه بالكفار ، وما دام الكذب محرماً قطعاً فيكون التمثيل كذلك ويأخذ نفس الحكم [(٣)] .

٢- وذهب البعض الآخر إلى التحريم كذلك ، لكن ليس لنفس علة الفريق الأول ، وإنما استنادا إلى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك ذلك فى عهده ، فلو أجازة البنى صلى الله عليه وسلم لكان جائزا [(٤)] .. وقال قوم بالمنع والتحريم

---

(١) التمثيل حقيقة وحكما - بحث لبكر عبد الله أبو زيد ص ٦ .

(٢) انظر: حكم الإسلام فى وسائل الإعلام- د/ عبد الله علوان -ص٤٠ - ٤١ نشر دار السلام

(٣) كتاب اقامة الدليل على حرمه التمثيل - أحمد الغمارى ص ٦ .

(٤) فقه الدعوة والإعلام - د/ عمارة نجيب - ص ٢١٥ - ٢١٦ - دار المعارف الرياض .

كذلك اعتمادا على أنه أول ما نشأ كان شعاراً تعبديا للكفار وقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن التشبه بهم وتقليدهم .

٣- وقد ذهب البعض إلى اباحته بشروط خاصة ، وتحريم أنواع منه كتمثيل الأنبياء والصحابة [١] .

وما نراه أن التمثيل يمكن استخدامه كوسيلة دعوية بعد أن يهذب وتجتنب محظوراته ، فهو عندئذ وسيلة هامة تصل جدواها إلى أعماق المجتمع ، وقد كانت هناك بعض العروض التاريخية للسيرة النبوية فى روايات سينمائية [٢] وهى وان كانت بعض المحظورات فى بعض المشاهد لو استعيض عنها بغيرها لما كان هناك اعتراض ، وفى بعض المسلسلات الدينية إذا كان هناك مشهد يتطلب وجود النبى أو الصحابة واستعيض براو يروى أقوال النبى وأفعاله مما يجعل أحداث القصة متواليه [٣] ..

وخاصة اذا وجدت مؤسسة اسلامية للإشراف على القصة المراد تمثيلها تمثيلاً وتصويراً واخراجاً ..

---

(١) من رأوا هذا : الشيخ صالح الفوزان - الشيخ صالح اللحيدان - الشيخ محمد صالح العثيمين والشيخ عبد الله علوان (نقله عنهم كتاب البيان المفيد فى حكم التمثيل والأناشيد - عبد الله السليمانى) .

(٢) مثل فيلم : هجرة الرسول ، وظهور الإسلام وسائر الأفلام التى تعرض تاريخ الدعوة الإسلامية .

(٣) مثل : مسلسل محمد رسول الله وبعض المسلسلات التليفزيونية التى تعرض فى المناسبات المختلفة .

المبحث الخامس

التبليغ بالعمل والحركة (القدرة الحسنة)

ويعبر عن هذه الوسيلة بالقدوة الحسنة فإن الداعى الناجح هو الذى يصدق فعله قوله ويجسد دعوته القولية إلى فعل وحركة وكيان مادى ملموس محسوس ، فالداعى عندما يأمر بالإنفاق فى سبيل الله مثلا ، مستخدماً فى ذلك شتى أساليب الترغيب والترهيب وغيرها من الأساليب ، فان أبلغ دعوة أن يبدأ بنفسه ويتصدق بما تجود به نفسه فيحاكيه الحاضرون ويسلكون مسلكة ، ولنا أن نقيس على هذا المثال غيره كصلة الرحم وبر الوالدين والتواضع ، والإحسان إلى الجار ، فاذا دعا مسئ إلى الإحسان فإن دعوته تبوء بالفشل غالباً لأن فعله هدم قوله وأحبط عمله الدعوى .. وقد يتحلى الداعى بهذه المكارم والسلوك الحسن كما أمره الله فينقل عنه ويتبع دون كلام منه ..

والرسول صلى الله عليه وسلم بسنته الفعلية أعطانا نموذجاً رائعاً للتبليغ بالفعل بجانب القول ، فالأصل فى الفعل أن يطابق القول ، والقول يشرح الفعل ، وعلى ذلك فإن القدوة الحسنة من الوسائل الدعوية المؤثرة إيجابياً ، وان الإسلام قد انتشر فى كثير من بلاد الدنيا بالقدوة الحسنة ، فسلوك المسلمين وسيرتهم الطيبة كانت تجذب غير المسلمين إلى الإسلام وتحملهم على اعتناقه لما رأوه من سلوك المسلمين وأسلوب تعاملهم بالرفق واللين والحلم والأمانة ..

أ- والرسول صلى الله عليه وسلم اتخذ من الحركة بياناً لبعض المعانى عندما جمع بين القول والحركة فقال : " أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا ، وأشار

بالسبابة والوسطى وفرج بينهما " (١) فالإشارة هنا مبينة لمدى قرب كافل اليتيم من النبى صلى الله عليه وسلم وصحبته اياه فى الجنة .

ومن ذلك قوله : " المؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً ، وشبك بين أصابعه" (٢) ، فالتشبيك بين الأصابع بيان لمدى ارتباط المسلم بأخيه وإعانته إياه وتعضيده ومساندته فى شدائد الحياه ... فهذه كلها وسائل حركية لتبليغ الدعوة وتقريب المعنى .

ب- ومن الوسائل العملية : تغيير المنكر وإزالته ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من رأى منكم منكار فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان " (٣) فالنبى صلى الله عليه وسلم قد أمر بازالة المنكر وتغييره باليد ، هذا إن استطاع الداعى ذلك بدون أية مشاجرات أو مشاحنات مع مرتكبه أو مرتكبيه ، والا فله يستعين بغيره من ذوى السلطة فى التغيير بالقوة ، والاستعانة بالغير إحدى وسائل التبليغ أيضاً - حتى لا تحدث الفوضى الاجتماعية وتنشأ العدوات والبغضاء وينتشر الشقاق فى المجتمع فإن التغيير باليد غالبا من سلطة الحكام ، وللداعى رفع الامر اليهم والاستعانة بهم .

والحديث المذكور جمع بين وسيلتين : القول والفعل ، فالقول نهى عن المنكر والفعل هو تغييره وإزالته ، وهناك فرق لطيف بين النهى عن المنكر ، وتغييره ذكره

---

(١) رواه البخارى عن سهل بن سعد - كتاب الأدب - باب فضل من يعول يتيما .

(٢) رواه البخارى كتاب الأدب عن أبى موسى - باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضاً .

(٣) رواه مسلم - كتاب الايمان عن أبى شريح الخزاعى - باب كون النهى عن المنكر من الايمان .

الشيخ / على محفوظ بقوله : " وفرق بين تغيير المنكر وبين النهى عنه ، فإن النهى عن الشئ يكون قبل فعله والا كان رفعا للواقع " أى أن التغيير بعد الوقوع ، فإن وجدت شخصا يغش اللبن مثلا وجب عليك تغيير ذلك ومنعه بالفعل إن إستطعت لأن الاستطاعة هنا شرط بالنص فان لم تقدر فعليك التغيير باللسان ... " (١) .

(١) هداية المرشدين - على محفوظ .

المبحث السادس

الجهاد وسيلة للدعوة

من الوسائل الفعالة والهامة الجهاد فى سبيل الله ، واعداد الجند كمقاتلين ودعاة ، والمجاهد المسلم يخرج بماله ونفسه وسلاحه وله أمل واحد هو أعلاء كلمة الحق ونصرة دين الله تعالى وقد أمر الله تعالى به فى العديد من المواضع فى القرآن الكريم ، فقال تعالى : ﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر أسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز ﴾[١] ، وقال تعالى : ﴿وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ، واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ، ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين ، فإن إنتهوا فإن الله غفور رحيم ﴾[٢] .

وقد أمر سبحانه وتعالى بإعداد العدة لصد أعداء الدعوة عنها وتخويف الخارجين عليها فقال تعالى : ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وماتنفقوا من شئ فى سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون ﴾ [٣] إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة الداعية إلى الجهاد فى سبيل الله والقتال من أجل كلمة الحق .

---

[١] الحج أيه (٣٩) .

[٢] البقرة من (١٩٠ - ١٩٢) .

[٣] الانفال (٦٠) .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " انتدب الله لمن خرج فى سبيله لا يخرجه إلا جهاد فى سبيلى وتصديق برسولى فهو على ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى مسكنه الذى خرج منه نائلاً مانال من أجر أو غنيمة " (١) ... ويقول : "من مات ولم يغز، ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق " (٢) ويقول كذلك : " لغدوة فى سبيل الله أو روحه خير من الدنيا ومافيها " (٣) فالجهاد شرع فى الإسلام لإعلاء كلمة الله وإعزاز دينه ليس عن طريق العدوانية وإزهاق الأنفس وإنما كقوة مساندة للدعاة فى تبليغ الدعوة ، فهو لإزالة العقبات من طريق الدعاة بالقوة أما عند الدعوة فينحى المقاتلون ويقدم الدعاه ويعرضون الدعوة بشتى الأساليب وإيراد مختلف أنواع الأدلة لإزالة ماقد تعلق بعقول المدعوين من الشبه والمغالطات وبعد قيام الدعاة المجيدين بهذه المهمة تكون الحرية المطلقة فى الاتباع والاستجابة ﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء الله فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ (٤) و﴿ لا أكراه فى الدين ﴾ (٥) فأهداف الجهاد فى الإسلام تنحصر فى :

أ- نشر الدعوة وإيصال نور الحق إلى كل مكان .

ب- حفظ الأمان والاستقرار للمسلمين فى الأزمنة التى يسود فيها منطق القوة .

---

(١) رواه مسلم عن أبى هريره - كتاب الجهاد - باب فضيلة الجهاد والخروج فى سبيل الله بلفظ (تضمن)

(٢) مسلم - الجهاد - باب من مات ولم يغز - بسنده عن أبى هريره .

(٣) رواه مسلم - كتاب الجهاد - باب فضل الغدوة والروحة فى سبيل الله بسنده عن أبى هريره .

(٤) الكهف من آيه (٢٩) .

(٥) البقرة من آية (٢٥٦) .

جـ- تخويف أعداء الله الظاهرين والمستورين ، وإرهاب المتآمرين على الدعوة والإسلام والمسلمين .

د - التمكين للمسلمين فى الأرض وإقامة الدين والانتفاع بما أنعم الله عليهم من ثروات ومصادر رزق طبيعية والاستغناء بها عن الغير ، لأن عدم إكتفاء المسلمين ذاتيا يجعل العالم الاسلامى مقهورا لغيره ممن يتحكمون فى مصيره عن طريق لقمة العيش .

هـ- والغاية الكبرى من الجهاد أن تكون كلمة الله هى العليا ، فهى تتويج لكل أعمال الجهاد ، واتقاء الفتنة فى الدين .

والإسلام لم ينتشر بحد السيف كما يدعى البعض ، وبنظرة عابرة فى نظام الجهاد الاسلامى نلمس من الوهلة الأولى أن الغاية منه إزالة العوائق من طريق الدعوة وأن فيه العديد من الجوانب الانسانية المشرقة التى لا يوجد لها نظير فى النظم العسكرية المعاصرة مثل :- تحريم السرقة والنهب والغلول - تحريم الخيانة والغدر بالعهود ، وتحريم المثلة وهى تمزيق الجثة بعد قتلها وتشويهها - وتحريم قتل الأطفال والنساء غير المقاتلين وتحريم قتل الشيوخ والمرضى والعجزة وهذا كله متضمن فى وصايا النبى صلى الله عليه وسلم إلى المجاهدين فى الغزوات ، وقد طبق هذا عمليا فى غزواته ، وكذلك الخلفاء فى الفتوحات الإسلامية لسائر البلاد ، ويرى الفقهاء أكثرهم ان دعوة أهل البلد إلى الإسلام مقدمة على غزوهم ، ولابد أن تبلغهم الدعوة فإذا رفضوها قوتلوا إن كان الرفض عنادا والا أزيلت شبهاتهم (١)

والله تعالى بعد الأمر بالدعوة وذكر أساليب تبليغها يتحدث عن الجهاد يقول تعالى : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن

---

(١) انظر : الاحكام السلطانية للماوردى ص ٤٦ - ط. دار الكتب العلمية - لبنان .

إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ، وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ﴾ (١) .

يقول البيضاوى : " لما أمره بالدعوة وبين له طرقها أشار إليه وإلى من يتبعه بترك المخالفة ومراعاة العدل مع من يناصبهم ، فإن الدعوة لا تنفك عنه من حيث إنها تتضمن رفض العادات وترك الشهوات والقدح فى دين الأسلاف والحكم عليهم بالكفر والضلال ، وقيل : إنه عليه الصلاة والسلام لما رأى حمزة وقد مثل به فقال : " والله لئن أظفرنى الله بهم لأمثلن بسبعين مكانك " فنزلت فكفر عن يمينه ، وفيه دليل على أن : المقتص له أن يماثل الجانى وليس له أن يجاوزه .... (٢) .

فعدل المسلم يتحقق حتى فى أشد الظروف وأحكمها ، وما حدث لحمزة رضى الله عنه كان فى غزوة أحد وكان ضمن سلسلة جهاد النبى ضد أعداء الإسلام إلا أن الله تعالى يوصى بالعدل وعدم التجاوز فى القصاص من القاتل .... فهذا هو الجهاد فى الإسلام تشريع إنسانى وقوة مساندة للدعوة شرعة الله تعالى إحقاقا للحق وإزهاقا للباطل ، ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ....

أساليب أم وسائل ؟ :

هناك بعض الباحثين من علماء الدعوة (٣) ذكر بعض أشكال التبليغ مثل : القسم القرآنى - المثل القرآنى - والجدل القرآنى - والقصة القرآنية ... ويتحدث عن مفهوم كل منها ، وما فيها من جوانب فنيه فى إبلاغ الدعوة ، ويبرز مافى كل

---

(١) النحل آية (١٢٥ - ١٢٦) .

(٢) أنظر : تفسير البيضاوى جـ١ .

(٣) حيث يذكر أغلب من يكتبون فى الدعوة الوسائل متداخله فى الاساليب فيذكرون أن الجدل مثلا وسيلة ، أو أن القسم القرآنى وسيلة وهكذا ، والبعض يقع فى الخلط بين الوسائل والأساليب .

منها من هذه الجوانب مع العرض الجيد والاستشهاد لها من القرآن الكريم ، ويذكر عند كل منها أنه وسيلة للدعوة ، فالجدل وسيلة للدعوة ، والقصة وسيلة للدعوة ، والقسم وسيلة للدعوة وهكذا ... فهل نعتبر هذه الاشكال الدعوية : وسائل ، أو أساليب دعوية ؟

وأرى أنه لا إشكال فى الموضوع إذا نظرنا إلى كل منها باعتبارات مختلفة ...

أ- فباعتبار إيراد كل منها بالقول واللسان ، فهى وسائل قولية يسمعها المدعو وينتفع بها فهى موجهة إلى عقله أو قلبه .

ب- وباعتبار أثرها الذى تحدثه فى النفس بعد سماعها وتوجهها إلى عقل المدعو أو قلبه ، وهل ماحدث منها أثر عقلى أو عاطفى ، بعد ذكر كل منها ؟ وهل اقتنع المدعو بتحكيم عقله ، أو أقلع عن المخالفة بسبب الخوف أو الطمع فى الثواب ..... بهذا الاعتبار وبتوجهها يمكن إعتبارها أساليب دعوية عاطفية أو عقلية .

سيادة الوسائل القولية :

لو تأملنا جميع الوسائل القديمة والمعاصرة وأحدث وسائل الاتصال لوجدنا أن القاسم المشترك فى الجميع هو القول ، فالخطبة والدرس والمحاضرة والندوة والمجادلة والمناظرة كلها وسائل قولية (مسموعة) ، وباعتبار الكتابة تدوينا للأقوال يقرؤها المدعو فالكتب والرسائل والصحف والمجلات والنشرات والدوريات كلها أقوال مكتوبة ....

وأن قارئها يحول الخط المكتوب إلى لفظ مسموع بقراءته .

والإذاعة وشرائط الكاسيت ، والتليفزيون وشرائط الفيديو كلها لأقوال مسجلة مسموعة كالأذاعة وشريط الكاسيت ، أو مسموعة مرئية كالتليفزيون وشرائط الفيديو .

وهناك بعض الكتاب فى علم الدعوة يعتبرون فى الوسيلة صورة تلقى المدعو بها فقد يكون فردا ، أو جماعة ، فيقسمون الوسائل إلى فردية ، وإلى جماعية ... وأعتقد أن هذا مرتبط بنوع الوسيلة فالخطبة والندوة والدرس والمحاضرة عادة توجه إلى جمع من الناس ، والاذاعة والشرائط المسجلة بنوعيها والتليفزيون كلها موجهه إلى جمع ولكن لا يضمهم مكان واحد .

بينما نجد أن الرسالة أو الكتاب قد يكون وسيلة فردية حيث ترسل أو تهدى إلى شخص غالبا .

مجالات الدعوة :

لا نعنى هنا الموضوعات ولكن أماكن الالتقاء بالمدعوين وذلك مثل : المساجد والمدارس - والجامعات - والنوادى - والمعسكرات - والمستشفيات - والمعاهد والمستوصفات - وغيرها من الأماكن التى تضم المدعوين وعن طريق الصحف والمجلات والإذاعات والأشرطة ، فاتسع النطاق وتعددت المجالات فشملت المنزل والسيارة .... وغير ذلك .

هل إنتهت وسائل الدعوة ؟ :

لم تنته بعد وسائل الدعوة بعد وهى متجددة فى كل عصر بتقدم العلم والتكنولوجيا والتقنيات الحديثة ، وما ذكرناه على سبيل المثال لا الحصر ، والأهم من كل ذلك هو مستخدم الوسيلة إنه الداعى الذى يعد إعداد جيدا - ليحمل الدعوة إلى المدعوين فى كل مكان ، ويحسن استخدام الوسائل المتاحة له ويحسن توظيفها لصالح دعوته ، وقد قال تعالى : ﴿ ويخلق مالا تعلمون ﴾ (١) هذا ويجب إعداد الدعاه بما يتناسب مع التقدم التكنولوجى فى وسائل الاتصال والتبليغ الحديثة المعاصرة (٢) .

---

(١) سورة النحل من آية (٨) .

(٢) ويتم ذلك عن طريق عقد دورات تدريبية للدعاة تتولى الإشراف عليها المؤسسات الدعوية التى تضع خطة التدريب لتبليغ الدعوة محلياً وعالمياً .

الفصل الرابع

أصناف المدعوين

المبحث الأول

أهمية معرفة الداعى بالمدعوين

المبحث الثانى

إعتبارات فى تقسيم المدعوين

المبحث الثالث

أقسام المدعوين باعتبار العقيدة

المبحث الأول

أهمية معرفة الداعى بالمدعوين

إن المدعو هو المقصود بالدعوة حيث يوجه إليه الداعى دعوته والناس كلهم ليسوا على درجة واحدة فى الإدراك أو التعقل ، وكذا فى الفهم ودرجاته ، وتغلب جانب العقل على القلب أو العاطفة على العقل ، فما يصلح خطاباً لفرد قد لايجدى مع آخر وما يؤثر فى فرد قد لايؤثر فى جماعة ، وما يثمر مع جماعة ، قد لايكون له أدنى أثر ولاتجنى منه أدنى ثمرة مع جماعة مغايرة وهكذا ... فإن لكل مدعو فرداً كان أو جماعة مؤثرات فى تكوين شخصيته كالعوامل الوراثية ، أو البيئية ، والاجتماعية ، ولذلك فإن الداعى الحصيف الحاذق هو الذى يلم بحال مدعوية من حيث الطباع ، وتأثير البيئة وما تشبع به من عادات وتقاليد اجتماعية ، ومدى إدراكاته العقلية ، وثقافته العلمية بحيث يضع كل هذا فى اعتباره عند دعوته وحتى لايخاطب مدعوية بما لايفهمون أو بما يبعد عن مداركهم وتصوراتهم ، أو يخاطبون بأقل مما يقتنعون به وفى كل الحالات لاينتظر أثراً من دعوتهم .

ولأهمية هذه النقطة وضرورة إحاطة الداعى بمدعوية فإن الله تعالى كان يختار كل رسول من بين قومه ليكون على علم ودراية بأحوالهم فينجح فى دعوتهم إلى الله تعالى ، ويظهر ذلك جلياً فى حديث القرآن عن رسالات الرسل السابقين حيث يستهل ذلك بوصف الرسول بالأخوة للمرسل إليهم ، فيقول تعالى عن نوح عليه السلام ﴿ كذبت قوم نوح المرسلين ، إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون﴾ (١) وتتدرج الآيات فتخبر عن هود ، فيقول ﴿ كذبت عاد المرسلين ، إذ قال لهم أخوهم

---

(١) الشعراء (١٠٥ - ١٠٦) .

هود ألا تتقون﴾ (١) ويقول عن صالح : ﴿ كذبت ثمود المرسلين ، إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون ﴾ (٢) ويقول عن شعيب فى موضع آخر : ﴿ وإلى مدين أخاهم شعيبا ، قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولاتبخسوا الناس أشياءهم ولاتفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين ﴾ (٣) .

فالتعبير بلفظ الأخ فيه إشارة إلى إحاطة الرسول بأحوال مدعوية لوجوده بينهم ونشأته فيهم ، ويذكر البيضاوى فى تفسير أخاهم : " المراد بالأخ الواحد منهم كقولهم : يا أخا العرب للواحد منهم " (٤)

وفى المعجم : " الأخ ومؤنثه أخت هو المشارك الآخر فى الولادة من الأبوين أو من أحدهما ويطلق على المشارك فى الرضاع ، كما يطلق على كل مشارك فى القبيلة أو فى الدين ، أو فى صنعة أو معاملة أو مودة أو ما شابه ذلك .. " (٥) ورسول الله موسى عليه السلام كان عالما بأحوال فرعون وقومه حيث نشأ بينهم وتربى فيهم ، فلبث فيهم من ولادته إلى بداية شبابه : ﴿ قال ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين ﴾ (٦) فقد قيل : إنه لبث فيهم ثلاثين سنة ، ثم

---

(١) الشعراء (١٢٣ - ١٢٤) .

(٢) الشعراء (١٤١ - ١٤٢) .

(٣) الأعراف (٨٥) .

(٤) تفسير البيضاوى جـ ١ .

(٥) معجم ألفاظ القرآن ص ١٥ .

(٦) سورة الشعراء (١٨) .

خرج إلى مدين عشر سنين ، ثم عاد يدعوهم إلى الله ثلاثين سنة ثم بقى بعد الغرق خمسين [١] وخليل الرحمن إبراهيم عليه السلام نشأ بين قومه وقد دعا أباه وأهل بلدته وأنكر ماهم عليه من عبادة الأصنام ، والكواكب ، ورسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ، ورغم عموم رسالته وختمها الرسالات إلا أنه بدأها فى مكة وكان من أعلم الناس بأحوالهم وما هم عليه من أخطاء وما ألفوه من عادات الجاهلية وتقاليدها ، ويقول تعالى : ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم ﴾ أى من جنسكم ويقول : ﴿ هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وأن كانوا من قبل لفى ضلال مبين ﴾ [٢] .

وعلى هذا فإنه يمكننا القول بأن الدعاه لابد أن يكونوا على علم تام بأحوال المدعوين حتى يستطيعوا ابلاغهم الدعوة بطرق يفهمونها لاتصادم مشاعرهم ومعتقداتهم فى أول طريق الدعوة ، وعندئذ تصادف منهم الدعوة قبولاً وتصديقاً فيتحولون من الباطل إلى الحق ويخرجون من الظلمات إلى النور [٣] .

وقد حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يتلقى الناس دعوته بالقبول فأوصى بخطابهم بما يفهمونه وتدركه عقولهم باختيار الأسلوب الدعوى المناسب لكل مدعو كما أنه صلى الله عليه وسلم كان كلامه فصلاً يفهمه كل من يسمعه [٤] .

---

(١) انظر : البيضاوى جـ٢ ص١٥٢ .

(٢) سورة الجمعة (٢) .

(٣) انظر فصل أساليب الدعوة من هذه الدراسة .

(٤) رواه الترمذى كتاب المناقب .

فكان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تفهم عنه .. [١] وقد روى قوله : ﴿ أنزلوا الناس منازلهم ﴾ وأمر بمخاطبتهم على قدر عقولهم وهذا سر تنوع أساليب الدعوة من حكمة إلى موعظة إلى جدال بالتى هى أحسن مراعاة لحال من توجه إليه الدعوة .

نطاق الدعوة الإسلامية :

إن ميدان الدعوة إلى الله واسع ومتعدد ، لأن دعوة الإسلام دعوة عالمية عامة لجميع البشر ليس محدودة بزمان ولامكان ولاجنس بشرى معين دون جنس ، بل الكل مخاطب بأحكام الشريعة ومدعو إلى التزامها والعمل بما فيها ، وهذا مفهوم من قول الله تعالى : ﴿ وما أرسلناك الا رحمة للعالمين ﴾ [٢] ومن قوله : ﴿قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً ﴾ [٣] وقوله : ﴿ وما أرسلناك الا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لايعلمون ﴾ [٤] ، وقد تحدث النبى صلى الله عليه وسلم عن رسالته فقال : " كان كل نبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة .." [٥] فنطاق الدعوة هو جميع سكان الكرة الأرضية من البشر ، وهم جميعاً مدعوون ومخاطبون بالدعوة . وبالطبع فإن البيئات متنوعة ومتباينة ، فمنها المدن بما فيها من حضارات ، والقرى بما فيها من فطرية وبساطة ، ومنها العمرانية والصحراوية ، والحارة ، والباردة ، والمعتدلة ، ولكل بيئة أثرها فى

---

(١) رواه البخارى عن ابن عمر - كتاب العلم - ومسلم كتاب الذكر .

(٢) سورة الأنبياء آية (١٠٧) .

(٣) سورة الأعراف آية (١٥٨) .

(٤) سورة سبأ آية (٢٨) .

(٥) رواه البخارى - كتاب التيمم ، والدارمى فى كتاب الصلاة .

طباع أهلها وتشكيل الأطر المرجعية لدى كل منهم (١) ، ولكن بيئة عادات وتقاليد وطقوس خاصة بها تعود عليها السكان فيها وألفوها والداعى إلى الله مطالب بتوجيه دعوته إلى كل هؤلاء الأصناف ، ولذا فإننا سنصنف المدعوين وفق بعض الاعتبارات التى قد تساعد فى تعريف الداعى بأهم ركائز دعوته لهم .

---

(١) انظر : مقدمة ابن خلدون

المبحث الثاني

اعتبارات في تصنيف المدعوين

ينقسم المدعوين إلى أصناف وفق اعتبارات مختلفة قد تؤثر في نفسياتهم ومدى استجابتهم للدعوة .

أ- أصناف المدعوين باعتبار البيئة الإجتماعية :

وهؤلاء ينقسمون إلى بدو ، وحضر ، ونعني بالبدو هنا أهل البوادي بأعماق الصحراء وهؤلاء عادة ما تكون طباعهم شديدة وجافة ، وقد أكسبهم ذلك شدة الحياة الصحراوية وما يعانونه من صعوبة في العيش وبعدهم عن وسائل الترفيه في الحياة المنزلية ، فسلوكهم أقرب إلى الفطرية ، وهؤلاء يحتاجون إلى طريقة متميزة في الدعوة بالاعتماد على ما فيهم من صفات حميدة وخلال كريم وإذكاء هذا فيهم ليشق الداعي في نفوسهم طريقا لدعوته ، ويحرص على عدم المصادمة بما هم عليه من عادات وتقاليد وعلاقات قبلية ، وإظهار الاحترام والود ، ويمثل هذا يعامل أهل القرى والأرياف إلا أنهم قد يكونون أكثر ليونة وفطرية من أهل المجتمعات الصحراوية البدو الرحل ، وذلك كمجتمعات الفلاحين حيث تكون الدعوة بينهم خصبة ، إلا أنك قد ترى فيهم بعض العادات والتقاليد التي قد تخالف تعاليم الإسلام ، فادعهم بطريقة لا تصادم معتقداتهم حتى تتمكن دعوتك من قلوبهم وعندئذ يغيرون هم ماهم فيه .

وأما أهل الحضر : فهم سكان المدن العمرانية المزودة بوسائل الراحة والترفيه يعيشون حياة مستقرة بها بعض مظاهر التكنولوجيا والتقدم منهم الصناع والموظفون بالمصالح الحكومية ، وأصحاب المهن المختلفة كالأطباء والمهندسين ، وأغلب من فيها لديهم قسط من الثقافة ولديهم قابلية للاقتناع بالعقل والمنطق

والأدلة الشرعية وجدوى الأساليب الدعوية ، والداعى مطالب بتقدير هذه الأمور فى عرض الدعوة .

ب- أصناف المدعوين باعتبار المكانة الاجتماعية :

ونعنى بهذا تقسيما آخر هو وجود طبقتين فى المجتمع : حكاما ومحكومين رؤساء ومرؤسين ، رعاة ومرعيين ، وكما يفهم من لفظ الحاكم أو الملك أو الرئيس بأنه من يتولى أمر دولة من الدول ، فإننا نسحب هذا المعنى على كل من يتولى أمر جماعة صغيرة كانت أو كبيرة ، فرؤساء الإدارات ومديروها يمثلون طبقة الحكام ، والرجل فى بيته حاكم لأسرته ، وجميع المرؤسين : العاملون بأية ادارة أو وزارة أو هيئة أو مصلحة كلهم يدخلون فى نطاق المحكومين ، وتتسع مسئولية المسئول حسب ما يدخل تحت رعايته ... فهو مسئول عن الجميع ، فمثلا مسئولية المدرس فى الفصل عن تلاميذه تقل عن مسئولية ناظر المدرسة عن المدرسين والطلاب ، ومسئولية الناظر تقل عن مسئولية مدير الإدارة التعليمية التابعة لها المدرسة لأنه مسئول عن طلاب ومدرسى ونظار وإداريى جميع المدارس التابعة له ، ومسئولية مدير الإدارة التعليمية تقل عن مسئولية مدير المنطقة التعليمية الذى تقل مسئوليته عن مسئولية الوزير المسئول عن التعليم بالدولة ككل ، وهذا الوزير المسئول عن التعليم فى دولة ما ، يشاركه وزراء آخرون فى قطاعات أخرى غير التعليم وكل منهم مسئول عن قطاع وزارته وما يندرج من كليات وجزئيات ومسئول عن كل هذه القطاعات وكل من هؤلاء تقل مسئوليته عن مسئولية الحاكم أو الرئيس المسئول عن الدولة ككل بجميع وزاراتها وقطاعاتها وما يحدث فيها ، فنجد أن المسئولية تتسع وتزيد تبعا لما يندرج تحت رعاية المسئول من أفراد وإدارات وقطاعات .

كل فرد حاكم ومحكوم : وهذه حقيقة لا ينكرها الا مجادل مكابر ، وايضاح ذلك من خلال المثال الذى سقناه من مجال التعليم - ويقاس عليه غيره - كما يلى :

المدرس : حاكم على طلابه ، محكوم لناظر المدرسة ، والناظر حاكم على مدرسين محكوم لمدير الادارة التعليمية ، ومدير الادارة حاكم على نظار المدارس ، ومحكوم لمدير المنطقة التعليمية وهكذا ... فكل بالنسبة لمن تحته حاكم ، ولمن فوقه محكوم وهكذا تتدرج القاعدة إلى أن نصل إلى الوزراء فكل منهم بالنسبة لوزارتهم وما يتولونه حاكم وبالنسبة لرئيس الدولة محكوم ، وهو - أى رئيس الدولة - بالنسبة لكل الدولة وما فيها من سكان وادارات ووزارات ومصالح حاكم ، وبالنسبة لله تعالى محكوم - وكما يطالب وزراءه والادارات التابعة بتنفيذ قراراته ، فهو أيضا مطالب بتنفيذ أوامر الله تعالى والدعاة إلى الله يحملون الدعوة إلى كل الناس وهم مبلغون عن الله دينه ، فيدخل الحكام والمحكومون معا فى نطاق الدعوة ولكن مع انزالهم منازلهم وحفظ مكانتهم وبمخاطبتهم بما يليق بهم من الاحترام والشجاعة الأدبية ... وهذا التقسيم قد عبر عنه القرآن بالملأ ويريد بهم الحكام ، والعامة وهم المحكومون وقد توجد منهم معارضات للدعوة حرصا على منصب أو خوفا على سلطان أو جاه ، يقول تعالى ، حاكيا عن قوم نوح : ﴿ فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشرا مثلنا وما نراك أتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادى الرأى وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين ﴾ (١) فالملأهم أشراف القوم ووجوههم ، وسموا بالملأ لأنهم يملئون العيون أو لامتلائهم يحتاج اليه ... " (٢) أما الأراذل : فهم يراد بهم فى الأية من اتصف بالخسة والضعة والدونية " (٣) .. وفرعون مع موسى كان مع حاشيته ملأ قومه ، وبقية بنى اسرائيل عوامهم .. وهكذا يمكن أن يصادف

---

(١) سورة هود (٢٧) .

(٢) معجم ألفاظ القرآن الكريم ص ٦٢٨ .

(٣) انظر : المعجم ، وتفيسر البيضاوى جـ ١ .

الداعى هذا الصنف فى أماكن دعوته فالعمد ومشايخ البلاد والقرى ومسئولو الإدارات يندرجون تحت هذا التقسيم .

وعلى الداعى ألا يقع فى الخلط فى هذه المسألة عندما يوجه الدعوة ، فعليه أن يراعى أنه يخاطب مسلما ، أما حديث القرآن فهو عن ملأ من الكفار ولكل أسلوب فى خطابه ودعوته ..

جـ – أصناف المدعوين باعتبار استجابتهم للدعوة :

وهذا التقسيم ليستفيد منه الداعى فيعلم أنه يدعو أناسا مختلفين فى عقولهم ومداركهم وعلى ذلك فإن استجابتهم للدعوة تختلف سرعة وبطءا ، وانعداما فإذا دعا إلى أمر ما وطبق فيه كل القواعد التبلغية فى المنهج والأساليب المتبعة ، والوسائل المستخدمة ، فلا يلزم على ذلك أن يستجيب له جميع المدعوين بل سيجد منهم عددا قليلا جدا قد يستجيب لدعوته .

وقد تتأخر استجابة الجزء الآخر منهم بعض الوقت ربما لعدم فهمهم الدعوة أو الاستفسار عن بعض الأمور التى قد تخفى عليهم ، وقد يكون التردد هو السبب إلا أنهم وبإصرار الداعى وصبره عليهم وزيادة الإيضاح لهم فى موضوع الدعوة والحرص على مشاعرهم وتنمية جوانب الخير فيهم قد يستجيبون له بعد جهد ومشقه ، والرسول صلى الله عليه وسلم قد صادف ذلك فى دعوته وبالطبع ليس هذا لأنه لم يستطع إيضاح الدعوة أو استخدام الأساليب ولكنها طبيعة البشر وتفاوت الإدراك واختلاف الفهم ..

فكان من مدعوية من كان سريع الاستجابه أو متوسطها أو بطيأها ، فمن النوع الأول : سريع الاستجابة ابو بكر الصديق ، وخديجة بنت خويلد ، وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين ، وكذا كل السابقين إلى الإسلام ، فلم يكن هناك ما يرددهم أو يؤخرهم عن الاستجابة .

ومن النوع الثانى : متوسط الاستجابة : كعمر بن الخطاب ، وحمزه بن أبى طالب ، فقد تأخر إسلامهم قليلا عن السابقين .

ومن النوع الثالث : بطىء الاستجابة : كأبى سفيان ، وزوجته هند ومن أسلم فى وقتهم ...

وهناك من انعدمت استجابتهم بدافع الحقد والغيرة والحسد كمن بقى على عقيدته من اليهود والنصارى وغيرهم ممن لم يؤمنوا به .

فالداعى عليه أن يثابر ويدعو ويصبر فى دعوته حتى يتم الله له ما أراد من إرشاد الناس إلى الحق والصواب واستجابتهم لدعوته ... كما لا ينبغى له أن يتوقع الاستجابة التامة والتأييد الكامل لما يقول ، بحيث إذا وجد إعراضا من بعض المدعوين يئس من أول محاولة على الطريق وانصرف .. فعليه أن يتوقع العقبات فى الطريق وعليه الصبر عليها حتى تزال . والله تعالى يحكى وصية لقمان لابنه ، فيقول : ﴿ يابنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ﴾ (١) فطريق الدعوة ليس مفروشا بالورود بل قد يكون مليئا بالأشواك ...

د – **أصناف المدعوين باعتبار العقيدة :**

وهذا الاعتبار من أوسع الاعتبارات فمن الممكن أن يكون كل صنف من الأصناف داخلا فى هذا التقسيم ، وينقسم المدعوون بهذا الاعتبار إلى قسمين رئيسين هما : مسلمون – كافرون ، والداعى يتعامل مع كل صنف منهما بإختيار الأساليب الملائمة له . وهذا ما سيتضح فى المبحث التالى .

---

(١) سورة لقمان آية (١٧) .

المبحث الثالث

أقسام المدعوين بإعتبار العقيدة

(١) المسلمون

وهم المقرون بعقيدة التوحيد المقيمون الأركان المؤدون لها كاملة وأقروا برسالة التوحيد ولهم أقسام :-

أ- المسلم السابق بالخيرات ، الملازم عباده الله ، المواظب على الطاعات ثبت نفسه على طريق الهدى يحل الحلال ويحرم الحرام ، ويراقب ربه فى عبادته وسائر معاملاته وعلاقاته بالآخرين ، متخلق بأخلاق الا سلام ، من الخوف من الله تعالى والطمع فى ثوابه ، رحيم بمن يتعامل معهم رفيق بهم ، محسن إلى جيرانه يطيع الله فيهم إن عصوا الله فيه ، فهوا المسلم الحق الذى وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : " المسلم أخوا المسلم لايظلمه ولايسلمه ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة " (١) .

إنه المسلم الكامل ، الذى يئس الشيطان من غوايته حيث قال : ﴿ رب بما أغويتنى لأزينن لهم فى الأرض ولأغوينهم أجمعين ، إلا عبادك منهم المخلصين ، قال هذا صراط على مستقيم ، إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين ﴾ (٢) فهذا المؤمن من عباد الله المخلصين الذين لاسلطان لإبليس اللعين

---

(١) الحديث رواه البخارى - باب المظالم - ومسلم كتاب البر - وأبو داود فى الأدب .
(٢) الحجر آيات (٣٩ - ٤٢) .

عليهم لامتلاء قلوبهم بالإيمان ونور الطاعات ، وانشغال أعضائهم وجوارحهم بالعبادات ، وتلبسهم بها ، فسدت جميع مداخل الشيطان إلى قلوبهم .

ب- المقتصدون : وهم أغلب المسلمين جمعوا بين الحسنات والسيئات وخلطوا عملا صالحاً وآخر سيئاً ، يخطئون ويتوبون ، يسيئون ويندمون ، يذنبون ويستغفرون ، يقرون بعقيدة التوحيد ويؤمنون بالرسالة ، ويقرون بسائر أركان الإسلام من صلاة وزكاة وصيام وحج ، ولكن قلوبهم لها بالدنيا تعلق فتقع منهم بعض الذنوب من نوع الصغائر ، اذا ذكروا ، ذكروا ، واذا دعوا أجابوا ، ولكن قد يتسلل الشيطان إلى قلوبهم فيشغلهم عن طاعة حان وقتها كالصلاة ، أو زكاة حان وقت إخراجها ..... وهكذا ..... فهم لاينكرون الصلاة ولا وجوبها ، وكذلك الزكاة وسائر الأركان ، وقد تقع منهم بعض الأخطاء فى حق من يتعاملون معهم من سائر المجتمع كالوقوع فى الغيبة أو النميمة ، أو الإساءة إلى الجار ، ومثل ذلك ... ولكن هذا النموذج من المسلمين إذا دعى ونبه إلى خطئه فإنه يستجيب ويعود نادماً تائباً وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما يقول : " كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون" (١) والله تعالى بفضله ورحمته يقبل التوبة عنه ، وفى الحديث القدسى : " .. ياعبادى إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفرونى أغفر لكم ..." (٢) وهذا الصنف كما أشرنا هو غالبية الأمة .

جـ- الظالمون لأنفسهم: أى المسيئون دائماً المسرفون فى الذنوب المعنون فى المعاصى والمخالفات ، هانت عليهم كبائر الذنوب ففعلوها ، وداوموا عليها حتى ألفوها ، فامتزجت المعاصى بجوارحهم واختلطت بدمائهم ، ففسقوا عن أوامر الله وخالفوه فكانوا ظالمين لأنفسهم بمعاصيهم .

---

(١) رواه الترمذى - باب القيامة ج ٤٩ .

(٢) رواه مسلم - كتاب البر جـ صـ ٥٥ .

ومع ذلك فإن فى قلوبهم ركيزة يدعون انطلاقاً منها ، فهم مؤمنون بالله ورسوله وعقيدتهم فى قلوبهم ، إلا أنها لم تقترن بالعمل لتقوى به ، وربما أجدت معهم أساليب الدعوة وعظا وجدلا وتعليماً بالحكمة ، وقد يجدى معهم ترهيبهم من النهايات الشديدة القاسية ، والوصول إلى سن الهرم والعجز والضعف وانهم كانوا صبية صغاراً فصاروا شباباً يا فعا يتمتع بالقوة التى لم تقترن بشكر مانحها ... وهكذا .

وهذا التقسيم للمسلمين أشارت اليه آية كريمة ، يقول الله فيها : ﴿ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ، فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير ﴾ (١) وقيل فى تفسير الآية الكريمة " .. فمنهم ظالم لنفسه بالتقصير فى العمل به ، ومنهم مقتصد يعمل به فى غالب الأوقات ، ومنهم سابق بالخيرات يضم التعليم والإرشاد إلى العمل ، وقيل : الظالم الجاهل ، والمقتصد المتعلم ، والسابق العالم ، وقيل الظالم المجرم ، والمقتصد الذى خلط الصالح بالسئ ، والسابق الذى ترجحت حسناته بحيث صارت سيئاته مكفره " (٢) .

(٢) الكافـــرون

وهم الصنف الثانى من المدعوين باعتبار العقيدة ، ومع أن الكفر كله ملة واحدة إلا أن هنا أفراداً منهم تحت هذا الوصف باعتبار سبب الكفر ، فهناك الكافر المنكر للوحدانية فيعبد مع الله غيره من الأصنام والأوثان وسائر خلقه ، وهناك من ينكر الرسالة ويشك فيها كأهل الكتاب الذين يؤمنون بوجود الله ولكن قد يشركون

---

(١) فاطر (٣٢) .

(٢) تفسير البيضاوى جـ ٢ ص ٢٧٣ .

معه غيره كالنصارى واليهود ، ويتوقفون عن الإيمان بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم حقداً وحسداً مع بشارة كتبهم به ، ومن الكفار من أنكر كل هذا فانكر الدين كله وأنكر وجود الله ، والنبوات والآخرة ونسبوا وجود الكون إلى فعل الطبيعة ، ومنهم من ادعى عدم صلاحية الدين فى الوقت الحاضر للتطبيق والعمل به ، أو من يرى فصل الدين عن الحياة وحصره بين جدران المعابد ومن هؤلاء الملاحدة : العلمانيون ، والوجوديون والشيوعيون وغيرهم ممن تقوم معتقداتهم على إنكار الدين مطلقاً .

ولذا فإنه يمكننا تقسيم الكفار إلى :

أ- المشركين الوثنيين : والمشرك هو الذى أشرك مع الله غيره فى العبادة وقيل فى معنى الوثن : إنه التمثال يعبد ، مما يتخذ من الخشب أو الحجارة أو الذهب أو الفضة ، وقد يقال لما يعبد من غير التماثيل ، وأصل ذلك أن يقال وثن الشئ أى أقام وثبت ، ولما كان الوثن من شأنه أن يثبت فى مكانه الذى ينصب فيه سمى وثناً (١) ، فكل ما عبد غير الله وثن ، وما عبد مع الله إشراك به سبحانه وتعالى .. وتحت هذا النوع تندرج الكثير من الفرق التى تعبد غير الله ، معه أو بدونه، والوثنى هو من تدين بعبادة الأوثان .

ب- أهل الكتاب : ويراد بهم اليهود والنصارى وهم أكبر فرق أهل الكتاب وأشهرها ، وهم كفروا بالرسالة فلم يؤمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسموا أهل كتاب نسبة إلى كتبهم السابقة .... وقد وقع كثير منهم فى الشرك والوثنية .. إلا أنهم دخلوا مع الكافرين رغم أن لهم كتاباً أو كتبا سابقة لعدم استجابتهم لرسول

---

(١) معجم ألفاظ القرآن ص ٧١٠ .

الله محمد صلى الله عليه وسلم مع تبشير كتبهم به وانتشار خبرة بينهم قبل بعثته ، إلا أنهم مع علمهم بالحق كتموه : ﴿ الذين آيتناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ﴾ (١) ويقول تعالى : ﴿.. الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصررهم والأغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون ﴾ (٢) وهؤلاء يدعون إلى التوحيد وتصديق رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم والإذعان لما جاء به .

جـ - الملاحدة : الأصل فى الالحاد هو الميل عن الحق ويراد به الطعن فى الدين ، والملحد هو الطاعن فى الدين وهذا من أخطر الأصناف لأنه أنكر الدين كله جملة وتفصيلاً ، ونسبوا خلق الكون ووجوده إلى الطبيعة ولايؤمنون بغيب فإنكروا كل ما لاتدركه حواسهم وقد أشار القرآن إلى أساس معتقداتهم الباطله عندما قال: ﴿ وقالوا ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون ﴾ (٣) يريدون : ما يهلكنا إلا مرور الزمان وهو فى الأصل مدة بقاء العالم من دهره إذا غلبه ﴿ وما لهم بذلك من علم ﴾ أى نسبة الحوادث إلى

---

(١) سورة البقرة آية (١٤٦) .

(٢) سورة الأعراف آية (١٥٧) .

(٣) سورة الجاثية آية (٢٤) .

حركات الأفلاك وما يتعلق بها على الإستقلال ، أو إنكار البعث أو كليهما (١) فهم نسبوا وجودهم وموتهم إلى حركات الأفلاك والطبيعة ، وبهذا قال أغلب الملاحده فى العصر الحديث حيث يرون أن الإلحاد هو الإيمان بأن سبب الكون يتضمنه الكون فى ذاته وأن ثمة لاشئ وراء هذا العالم كالشيوعية التى تقوم على إنكار وجود الله ، وسائر الغيبيات ، والداروينية ، والوجودية وأغلب العلمانيين (٢) .

وقد ذهب البعض إلى اعتبار المنافقين من أصناف الكافرين ، وأرى أنهم ليسوا صنفاً قائماً بذاته ، لأن مفهوم النفاق هو إظهار الإسلام والعمل بأعماله وإبطان الكفر وأصل الكلمة نفاق اليربوع وهو أن يخرج من حجر يستره يسمى النافقاء ، وذلك إذا قصد من حجره الظاهر ، فأطلق النفاق من هذا على فعل من يدخل الإسلام ثم يخرج منه من غير الوجه الذى دخل فيه .. والنفاق فى معنى إظهار الإسلام وإبطان الكفر من الكلمات الإسلامية ، وقد أعتمدت على معنى قديم (٣) .

إذا فالنفاق هو إظهار الإسلام وإضمار الكفر ، وقد يكون المنافق مشركاً وثنياً أو منكراً كتابياً ، أو ملحداً دهرياً ولكنه يخاف أن يظهر كفره وحقده فيتظاهر بأنه مسلم وقد كان المنافقون يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقرون أمامه بأنه رسول الله وهم أشد الناس كفرا به وحقداً على دعوته ، يقول تعالى : ﴿ إذا

---

(١) أنظر : البيضاوى جـ ٢ ص ٣٨٩ .

(٢) لمزيد من المعلومات عن فريق الملاحدة الحديثة - انظر : الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة - اصدار الندوة العالمية للشباب الإسلامى سنة ١٩٧٢ م - الرياض . وكتاب الملل والنحل للشهرستانى ، والفصل لابن حزم .

(٣) أنظر : معجم ألفاظ القرآن ص ٦٧٧ .

جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله . والله يعلم انك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون . اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعلمون ﴾ (١) فهم كاذبون كثيرو الحلف فإن المريب يكاد يقول خذونى ، فلو كانوا صادقين فلماذا التأكيد باليمين ، وقد كانوا يشاركون المسلمين فى الصلاة ولكنهم فى كسل شديد لعدم يقينهم فيقول تعالى : ﴿ إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسإلى يراءون الناس ولايذكرون الله الا قليلاً ﴾(٢) فهم ليسوا صنفاً بذاته وإنما يدخل فيهم كل الأصناف وهم خطر شديد على المسلمين لذلك فضح أمرهم القرآن ليحذر منهم الرسول صلى الله عليه وسلم ويحذر المسلمون من نماذجهم على مدى الزمان .. لأنهم أعداء يتظاهرون بأنهم أصدقاء ، كافرون يرتدون ثياب المؤمنين أصحاب قبعات يلبسون عمائم الشيوخ .

وهؤلاء الكافرون منهم من هو كافر أصلى أى ورث الكفر عن آبائه وأجداده ونشأ فى أسرة كافرة تربى فيها على أخلاق الكفر ، وتشبع عقله وروحه بالمعتقدات الباطلة أو كافر مرتد : يعنى أن كفره سبق بإيمان ، فكفره حديث وقد يكون بسبب شبهه باطله أو غواية مضللة عرضت له من أحد شياطين الإنس أو الجن فانزلق إلى الكفر بسببها .

ولكل منهما أسلوب دعوى يناسبه حيث إن دعوة الأصلى ومناقشته فيما ألفه وتربى عليه تختلف عن دعوة المرتد الذى تزال شبهته ويصحح معتقدة ، بما يلائمه .

وقد تضمن القرآن سوراً مسماة بأنواع المدعوين وأصنافهم فهناك سورة المؤمنون وسورة المنافقون ، وسورة الكافرون ، وتقسيمات المؤمنين والكافرين معلومة كذلك من خلال آيات القرآن ، وبجانب سورة المنافقين فقد تحدثت آيات

---

(١) المنافقون (١ ، ٢) .

(٢) النساء (١٤٢) .

عديدة فى سياقات قرآنية متعددة عن صفات المنافقين وتميز سلوكهم تحذيرا للمسلمين منهم ومن كيدهم .

ولكل منهم أسلوب دعوة يناسبه على نحو ما سيأتى بيانه .. (١)

***

(١) فى مناهج دعوة غير المسلمين .

الفصـــل الخامس

نمازج تطبيقية لبيان أهمية المناهج الدعوية فى تبليغ الدعوة

نماذج قرآنية :

المبحث الأول

وقفات فى دعوة نوح عليه السلام

المبحث الثانى

وقفة أمام حوار إبراهيم عليه السلام مع قومه

المبحث الثالث

رؤية دعوية شاملة لقصة سيدنا موسى عليه السلام

ثانياً :- نماذج غير قرآنية :

المبحث الرابع

داع يزيل مخالفة شرعية لدقته فى وضع خطته الدعوية

المبحث الخامس

داع يخفق فى ازالة مخالفة شرعية لعدم تخطيطه لدعوته

تمهيـــــد

لما كان القرآن الكريم هو مصدر الدعوة كدين وتبليغ ، كان حوار الرسل مع أقوامهم ركائز تستنبط منها قواعد المنهج الصحيح للتبليغ الذى يحتذيه الدعاة فى دعواتهم ليلاقوا النجاح المنشود .

ولذا فإن هذا الفصل معقود إن شاء الله لبيان نماذج من دعوات بعض الرسل من خلال القرآن الكريم فى صورة وقفات للتأمل فى المنهج والأساليب المتبعة فى تنفيذه مع إبراز خطوات التبليغ كما بينها كتاب الله ونعرض فى هذه النماذج القرآنية طرفا من قصة نوح عليه السلام من خلال سورة نوح ، وطرفا من قصة خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام وقد وقفنا امامهما وقفة تأمل سريعة وبينا فى كل منهما المنهج الذى اتبعه منهما والأساليب التى استخدمها فى دعوته وكذلك ما اعتمد عليه من وسائل التبليغ . كما عرضنا لقصه سيدنا موسى عليه السلام مع فرعون ووقفنا امامها وقفه شاملة حيث استعرضنا أحداثها من منظور دعوى شامل - وهى فى موضوعنا نموذج لدراسة القصص القرآنى من زاوية فقه الدعوة وأسس التبليغ وإعداد الدعاة .

أولا : نماذج قرآنية

المبحث الأول

وقفات فى دعوة نوح عليه السلام

لو تأملنا نجد أن سيدنا نوحا عليه السلام بين دعوته ووضح الغاية منها ، وهى توحيد الله عز وجل ، وهذه خطوة أولى فى منهج الدعوة فإن الدعوة إلى الله يجب أن تكون على بصيرة وعلم بالمدعو اليه : ﴿ قال يا قوم أنى لكم نذير مبين ، ان اعبدوا الله واتقوه وأطيعون ﴾ (١) وفى موضع آخر يقول : ﴿ اعبدوا الله مالكم من إله غيره ﴾ (٢) .

وبين أنه قد استمر على الدعوة ، ونوع أساليبها وتحرى جميع المناسبات والأوقات فيها ، فيقول : ﴿ .. إنى دعوت قومى ليلا ونهاراً فلم يزدهم دعائى إلا فرارا ، وإنى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا صابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً ، ثم إنى دعوتهم جهاراً ، ثم إنى أعلنت لهم وأسررت لهم إسراراً ﴾ (٣) .

فنفهم من ذلك الاستمرار على الدعوة من قوله : "كلما" التى تفيد تكرار الفعل والشرط ، فقد كان يدعو فى كل وقت فى الليل والنهار أى أنه كان يتحين

---

(١) نوح (٢ ، ٣) .

(٢) الأعراف (٥٩) .

(٣) نوح من آية (٥-٩) .

المناسبات والظروف الملائمة سواء فى الليل أو النهار، ويعلن ويسر، فاتبع العديد من الوسائل لتبليغهم الدعوة .

كما نوع أساليب الدعوة : فتارة يرغبهم فى الإيمان عن طريق ربطه بسعة الرزق ورغد العيش وإرسال السماء عليهم بالبركة فيقول : ﴿ فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً ، ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً ﴾ (١) .. وتارة أخرى يخاطب عقولهم بلفت أنظارهم إلى مظاهر القدرة الإلهية ، والنعم التى يرفلون فيها فيقول : ﴿ ما لكم لاترجون لله وقارا، وقد خلقكم أطوارا ، ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا ، وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً ، والله أنبتكم من الأرض نباتاً ثم يعيدكم ويخرجكم إخراجاً ، والله جعل لكم الأرض بساطاً لتسلكوا منها سبلا فجاجا..﴾(٢)

فهذه النعم التى يحسونها ويتمتعون بها ، ومظاهر قدرة الله تعالى فى خلقها وإحكامها ، من خلق أطوار الإنسان من نطفة إلى علقه إلى مضغة ، وخلق السموات السبع ورفعها بغير عمد ، والشمس والقمر، وخلق الأرض ، وأخرج منها الرزق والحياة ويسر فيها السبل والفجاج .. وتلك النعم وغيرها كثير لاتحصى ولاتعد : ﴿ وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها ﴾ (٣) .. أيعقل أن تكون من صنع أصنامكم التى تعبدونها ؟ إن خالقها إله قادر حى عليم بحاجات خلقه ، فلا يعقل أن يكون ذلك كله من صنع جمادات عاجزة ، إذ كيف يمنح الحياة من كان جامداً ، ويرفع السماء

---

(١) نوح (١٠ - ١٢) .

(٢) نوح (١٣ - ٢٠) .

(٣) إبراهيم من آية (٣٤) .

من كان عاجزاً ، وينبت النبات فى الأرض ويجعلها تهتز وتربو من كان ميتاً .. إن هذا تنكيس للعقل البشرى ..

وعلى ذلك وبعد هذا العرض يمكننا حصر منهج نوح عليه السلام فى دعوته فى النقاط التالية :-

١. تحديد الغاية من التبليغ بدقة ووضوح أمام المدعوين .
٢. الاستمرار على التبليغ ، وتحين جميع الأوقات المتاحة والأحوال المناسبة .
٣. الاعتماد على الأساليب المناسبة من مخاطبة العواطف بإثارتها تارة ، والعقول بتحكيمها تارة أخرى عن طريق لفت الأنظار إلى مظاهر القدرة الإلهية فى الخلق عن طريق المشاهدة والتأمل .

فهذه خطوات منهج نوح فى دعوته كما فى سورة نوح ، ولكل رسول فى حواره مع قومه منهج وخطوات يتبعها فى تبليغه دعوته إلى قومه كما أنه يتبع أسلوباً معيناً يراعى فيه حال المدعو من حيث البيئة التى يدعى فيها ، والإطار المرجعى الذى عاش فيه وكيانه الشعورى من حيث حدة الطبع وشدة الانفعال وسرعة الاستجابة الانفعالية ومسلماته العقدية والبناء على أساسها الهيكل الدعوى .

ويبرز استخدام نوح عليه السلام الأساليب المتنوعة والوسائل المختلفة لتحقيق خطوات هذا المنهج ليصل إلى غايته المرجوة من هداية قومه وارشادهم إلى طريق الحق ونبذ عبادة الأصنام :

- فقد اتبع أسلوب الموعظة لتلين قلوبهم ويسمعو دعوته فيقول : ﴿ ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ﴾ (١) فيظهر خوفه عليهم من عذاب الله ، وإشفاقه عليهم من المصير الذى ينتظرهم إن هم ظلوا على عنادهم معه وإمعانهم فى رفض دعوته .

- ومن لطفة معهم فى المعاملة والحوار أنه قابل سفههم وصلفهم وعتوهم بالحلم واللطف ولم يرد عليهم الإساءة بمثلها ، فعندما يرد عليه الملأ برميه بالضلال قائلين: ﴿ أنا لنراك فى ضلال مبين ﴾ (٢) يكتفى بالرد عليهم بنفى الضلال عن نفسه فيقول ﴿ .. ياقوم ليس بى ضلاله ولكنى رسول من رب العالمين ، أبلغكم رسالات ربى وأنصح لكم وأعلم من الله مالا تعلمون ﴾ (٣) ولم يوغر اتهامهم له بالضلال صدره منهم بل حلم بهم وصبر عليهم .

واذا كان المدعوون قد سئموا طول مدة الدعوة فإن نوحا عليه السلام لم يسأم ولم يمل منهم ويؤكد ذلك لهم بأنه لم يسألهم أجراً على دعوته وإنما يطلب الأجر من الله وهذا دليل إخلاصه فى دعوته وأنه صاحب عقيدة ورسالة ، يقول تعالى :

﴿واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبر عليكم وتذكيرى بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لايكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إلى ولاتنظرون ، فإن توليتم فما سألتكم عليه من أجر إن أجرى إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين ﴾ (٤) .

---

(١) الأعراف (٥٩) .

(٢) الأعراف (٦٠) .

(٣) الأعراف (٦١ ، ٦٢) .

(٤) يونس (٧١ ، ٧٢) .

- ويرد نوح عليه السلام على ما أثاروه من الشبه والاعتراضات حتى لاتبقى لهم حجة ، ومن هذه الشبه : أن أتباعه من الفقراء والأراذل فعندما يقولون له : ﴿ ما نراك إلا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادى الرأى وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين ﴾ (١) .

يرد عليهم : ﴿ قال يا قوم أرأيتم ان كنت على بينه من ربى وآتانى رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون ، وياقوم لا أسألكم عليه مالا أن أجرى إلا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا إنهم ملاقو ربهم ولكنى أراكم قوماً تجهلون ، وياقوم من ينصرنى من الله إن طردتهم أفلا تذكرون ﴾ (٢) .

ومن شبههم أيضاً رميه بالبشرية اعتقاداً منهم فى أن الرسل لابد أن يكونوا ملائكة وهذه الشبهة قد تعرض لها رسل الله جميعاً ، وقد رد القرآن على الشبهة بشقيها (٣) فى سورة الأنعام : ﴿ وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لاينظرون ، ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون ﴾ فإن طاقة البشر لاتحتمل رؤية الملك على صورته فلابد أن يأتى الملك فى صورة رجل ليستطيعوا رؤيته ولوقع اللبس والتكذيب كذلك ، وبالتأمل نجد أن نوحاً عليه السلام قد صبر على عناد قومه وتلطف معهم وتحمل أذاهم بالقول والفعل وقد

---

(١) هود (٢٧) .

(٢) هود (٢٨ - ٣٠) .

(٣) يريد لو أنزل الله ملائكة لقضى أمر اهلاكهم حيث لايطيقون رؤيتهم وأنه لو أنزل ملائكة فلابد أن يكونوا فى صور رجال ولوقع اللبس عليهم ولعادوا إلى نقطة البدء وهى التكذيب .

استخدم معهم الأساليب المتنوعة من الموعظة والجدل والحوار كما رد على شبههم التى أثاروها .

كما نلاحظ أنه تدرج معهم فى التبليغ فيبدأ بإظهار الخوف عليهم تأليفاً لقلوبهم ﴿ إنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ﴾ إلى أن ينتهى بالدعاء عليهم ﴿ رب لاتذر على الأرض من الكافرين دياراً ﴾ (١) وبينهما لقى من الأهوال ما لقى .

وهذا درس لكل داع إلى الله أنه لابد من رسم خطة دعوية لتبليغ دعوته ، واستخدام الأساليب المتنوعة المناسبة لدعوية والصبر على تحقيق غايته لتكمل الهداية وينال الأجر.

---

(١) نوح آية (٢٦) .

المبحث الثانى

وقفة أمام حوار إبراهيم عليه السلام مع قومه

كانت لخليل الرحمن إبراهيم عليه السلام مواقف دعوية عديدة مع قومه عبدة الأصنام (١) وعبدة الكواكب (٢) ، والنمروذ مدعى الألوهية (٣) ومنكرى البعث (٤) .. وسوف نسوق نموذج حواره مع عبدة الكواكب :

ينقل القرآن عن إبراهيم كلامه مع أبيه : ﴿ وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناماً آلهة انى أراك وقومك فى ضلال مبين ﴾ فهذه مواجهة صريحة بالحقيقة دون مواربة ولامجاملة وبأسلوب مباشر حيث وصف لهم ما هم عليه من عبادة الأصنام .

وعندما باشر دعوة عبدة الكواكب والنجوم اتبع معهم خطة ورسم منهجاً يدعوهم على أساسه ، يقوم على :

أ- مجاراة الخصم فى معتقده واظهار التسليم بقوله .

ب- التشكيك فى المعتقد ثم هدمه .

جـ- الاستدلال على بطلان المعتقد بالواقع الملموس الذى لايحتمل المراء .

ولما كانوا يسلمون بعبادة الكواكب جاراهم على ما هم عليه :

أ- يقول تعالى : ﴿ فلما جن عليه الليل رأى كوكباً ﴾ رأى نجما يلوح فى ظلام الليل فأظهر فرحة بظهوره حيث إنه سعيد " مجاراة لخصمه" ففرح به عباد

---

(١) من مواضع ذكر القصة : الأنبياء من (٥١ - ٦٩ ، مريم من (٤١ - ٥٠) ، الشعراء من (٦٩ - ٨٨) .

(٢) حواره مع عبدة الكواكب : الأنعام (٧٥ - ٧٩) .

(٣) الحوار : البقرة (٢٥٧) .

(٤) البقرة (٢٦٠) .

الكواكب ، ولكن لم يلبث الكوكب إلا أن أفل وغاب ، فقال إبراهيم : ﴿ لا أحب الآفلين ﴾ فهذا الكوكب قد أفل وغاب ، وهل يغيب الرب ، ومن أدعو إذا غاب ؟ وإلى من أتوجه اذا غاب ؟ ومن يرعى عباده إذا غاب ؟ لا أحب أن يغيب الرب فلهذا فإن عبادته باطله ..

ب- ويتدرج فى الحوار : ﴿ فلما رأى القمر بازغاً ، قال هذا ربى ﴾ فإن نوره أكثر وضوءه أقوى ، يهتدى به السارى فى ظلام الليل الحالك ، وقال : ﴿ هذا ربى ﴾ مجاراة لعبدة القمر ، لكنه لم يلبث حتى غاب واختفى عندئذ صاح إبراهيم محتجا : أين الرب الذى رأيت وأعجبنى نوره حيث أهتدى به ، إنه قد غاب ، فبنور من أهتدى ؟ وكيف يعجز هذا الرب عن هدايتى بنوره فى ظلام الليل ، ولاينبغى أن يغيب الرب عن عباده ، ولاينبغى أن يقصر عن هدايتهم ، وعند غيابه من سيهديهم ويرشدهم : ﴿ لئن يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين ﴾ إذ كيف أعبد غير قادر وغير موجود ، ولذا فإن عبادته باطله ..

جـ- ويتدرج فى الحوار مرة أخرى بعد أفول كل من الكوكب ضعيف الضوء والقمر الأقوى منه ، إلى أن أشرقت الشمس بضوئها الوهاج الحار الذى يكاد يخطف الأبصار ، فهى قوية ساطعة حارة فينبغى أن تكون أثبت وأبقى ، فأظهر فرحة مجاراة لعابديها ﴿ فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر ﴾ أى أكبر من السابقين فلما أفلت وغابت ، ولم تظل باقية تلبى حاجات عابديها ومقدسيها .. وغابت كغيرها ولم تستطع البقاء ، أعلن أن عبادتها باطلة كغيرها وأن عبادة هذه الأوثان شرك ﴿ فلما أفلت قال يا قوم إنى برئ مما تشركون ﴾ فألزمهم بأن هذه الكائنات لم تبزغ ، ولم تأفل بإرداتها الخاصة ، ولابقوتها الذاتية إذ لو كان الأمر إليها ويخضع لإرادتها لاختارت البقاء والدوام لعابديها لإجابة دعائهم وقبول عباداتهم ، ولكن هناك قوة عظمى هى التى نظمت ظهورها وغيابها ، وسيرت

أفلاكها ، وعاقبت بين الليل والنهار ، ان ما رآه إبراهيم وأوقف عليه قومه وسلموا له ولم يجدوا سبيلاً لمعارضته إلا مكابرة وعنادا ، هو مظهر من مظاهر القدرة الإلهية التى تجعلنا نسلم بالعبادة والطاعة لله وحده ونبرأ من عبادة غيره ، ولذا فقد عرض إبراهيم نتيجة حواره معهم بتوجيههم نحو عبادة إلاله الواحد خالق السموات والأرض ، مسير الكواكب والأفلاك فقال : ﴿ إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين ﴾ أى مخلصاً فى عبادته لا اشرك به أحداً من خلقه . فالشمس والقمر كلها آيات من آيات قدرته وليست معبودات : ﴿لاتسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن إن كنتم اياه تعبدون ﴾ (١) .

وهكذا يصل ابراهيم عليه السلام إلى النتيجة التى يرجوها من إثبات بطلان عبادة هؤلاء القوم وترجيهم إلى عبادة الله جل وعلا .

وعلى هذا يمكننا إبراز منهج ابراهيم عليه السلام فى الدعوة على نحو ما يلى :

١. مجاراة الخصم فى معتقده مع التظاهر بالتسليم بصحة المتعقد عنامـا نطـق بلسانه فقط " هذا ربى " موافقة ظاهرة للخصم .

٢. التشكيك فى ربوبية هذه المعبودات ثم بيان بطلان عبادتها بالدليل المحسوس الذى لا يستطيع الخصم المجادلة فيه وهو الأفول والغياب الذى أدركه الجميع بحواسهم .

٣. التدرج فى الإبطال حتى بدأ بالأقل ثم بالأكبر فالأكبر ، إذ لو أبطل مثلا عبادة الكوكب لقال عباد القمر : إن معبودنا لا يغيب ، ومنه إلى الشمس ، ولم يقل له أى من المدعوين شيأ فى هذه القضية . فكانت كلها حلقات فى سلسلة واحدة متصله .

---

(١) سورة فصلت من آية (٣٧) .

بعد ثبوت بطلان عبادتها بالدليل المحسوس ، وصل إلى نتيجة هى أن المعبود هو الله تعالى .

ووجه لزوم هذه النتيجة :

١. إن البزوغ والأفول ، والحضور والغياب ، والنور والظلمة أمور متغيرة فهى حادثة أى كانت غير موجودة ثم وجدت ، فالكوكب مثلا كان غير موجود ثم وجد ، (بزغ) وعندما أفل أى غاب انعدم ولم يصر موجودا ، وكذا القمر كان غائبا (غير موجود) ثم ظهر ، ثم غاب بعد أن ظهر ، وهكذا فى الشمس .

٢. وهذه الأمور المحدثة لابد لها من محدث قادر مدبر لشئون الكون عليم بحاجات الخلق .. ، ولما لم يجرؤ أحد على ادعاء هذا الأمر لنفسه لشعور الإنسان بالعجز والقصور عن كثير من الأمور .

٣. فوصلنا إلى نتيجة هى أن المظهر والمغيب ، والذى أظهر الكوكب ثم غيبه ، وأطلع القمر ثم محقه ، وأشرق الشمس ثم غيبها هو خالقها وبارئها وبارئ كل الخلق انه الله رب العالمين فاطر السموات والأرض .

الأسلوب : نجد أن إبراهيم عليه السلام عندما طبق خطوات منهجه اتبع فى ذلك الأسلوب العقلى المعتمد على الحوار وإلزام الحجة للخصم ، فهو عقلى مبنى على التأمل .

الوسيلة : لقد اعتمد إبراهيم فى عرض دعوته على المدعوين على وسيلة اللقاء الشخصى المباشر مع مدعويه ، وهذا فى أغلب دعوات الرسل باستثناء نبى الله سليمان الذى عرض دعوته على بلقيس بارسال كتاب إليها مع الهدهد يدعوها

للإسلام ﴿ اذهب بكتابى فألقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون ﴾ (١) ...

وهذا المنهج هو الذى تعوده ابراهيم عليه السلام دائما :

ففى موقف آخر : يشكك فى المعبودات ويبين عجزها عن تلبية حاجات العابدين يقول تعالى : ﴿ واتل عليهم نبأ ابراهيم ، إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون ، قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين ﴾ (٢) يسألهم عن معبوداتهم ليس جهلا منه بالجواب وإنما تقريرا لهم ، فيجيبون بفخر أنهم يعكفون على عبادة الأصنام .... وهنا يبدأ ابراهيم معهم مرحلة التشكيك فى الأصنام فيقول :

أ - ﴿ قال : هل يسمعونكم إذ تدعون ، أو ينفعونكم أو يضرون ﴾ وهم كانوا عالمين بأن تلك الأصنام لا تسمع ولا تضر ولا تنفع فهى عاجزة عن ذلك تماما فأجابوا إجابة لا يقبلها طفل صغير : ﴿ قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون ﴾ (٣) أى انهم فى مجمل ردهم أقروا ولو بالعقل بأنها لا تضر ولا تنفع وعللوا عبادتهم لها لا بنفعها لهم أو ضرها بهم وإنما سيرا على ما كان عليه الآباء ، ولو وجدوا ما يجيبون به غير سلب القدرة عن المعبودات لأجابوا ...

ب- وهنا يعلن ابراهيم تبرأه من معبوداتهم ، وبيان صفات إلهه الذى يدعوهم إلى عبادته قال : ﴿ أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فانهم عدولى الا رب العالمين ﴾ ثم بين صفات معبوده : ﴿ ... الذى خلقنى فهو يهدين ، والذى هو يطعمنى ويسقين ، وإذا مرضت فهو يشفين ، والذى يميتنى ثم يحيين ، والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين ، رب هب لى حكما وألحقنى

---

(١) النمل (٢٨) .

(٢) الشعراء (٧١) .

(٣) الشعراء (٧٤) .

بالصالحين﴾[١] فكيف تعبدون الآلهة العاجزة وتتركون عبادة الله القادر ؟ فالأولى بالعبادة هو الخالق الهادى الرازق القادر لا تلك الأصنام العاجزة الجامدة .

وعلى نفس الدرب كان تكسير الأصنام لبيان عجزها عن الدفاع عن نفسها أو رد من قام بتحطيمها فيحكى القرآن :

﴿ وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين . فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون . قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين . قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم . قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون . قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم . قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون . فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون . ثم نكسوا على رءوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون . قال أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئا ولا يضركم . أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون ﴾ [٢] .

فبعد مناقشة إبراهيم لهم فى أمر آلهتهم أراد أن يعطيهم درسا عمليا فى بطلان عبادتهم ، واتبع الخطوات التالية :-

١. تحطيم الأصنام وتكسيرها إلا الصنم الكبير الذى علق الفأس فى عنقه .
٢. لما سألوه عن الفاعل ، وهو بالطبع غير الآلهة ، فلم يتوقعوا مثلا أن معركة قامت بينهم كانت نتيجتها ما رأوا لعلمهم بأنها لا تتحرك ولا تدفع عن نفسها ، وهى عاجزة تماما .
٣. أجابهم عن سؤالهم : بل فعله كبيرهم هذا ، ومع أنه الكبير فلم يخطر ببالهم أنه هو الفاعل ، ثم أكمل بقوله : ﴿ فاسألوهم إن كانوا ينطقون ﴾ وهو بهذا وضعهم

---

(١) الشعراء (٧٨ - ٣٨) .

(٢) الأنبياء (٥٧ - ٦٧) .

فى موقف لا يحسدون عليه ، حيث ألزمهم الحجة ، ويخرجون معترفين بما حاولوا إخفاءه والمكابرة فيه .. ﴿ ثم نكسوا على رؤسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون .. ﴾

٤. وهنا وصل إلى ما يريد من إنكار عبادتهم فقال : ﴿ أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم ، أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون ﴾ ، فهذا منهج واضح بين فى إلزام الحجة وإقامة الدليل على صحة الدعوى ، ودحض الأباطيل بالحوار العقلى المتزن .

* * *

المبحث الثالث

سيدنا موسى عليه السلام

(رؤية دعوية شاملة)

أرسل الله سيدنا موسى عليه السلام إلى فرعون الطاغى المتجبر ليدعوه إلى الإيمان بالله وتوحيده ليخلص بنى إسرائيل من ظلمه وطغيانه حيث استعبدهم وأذلهم فاستحيا نساءهم وذبح أبناءهم وفرق بينهم .

وقد تحدث القرآن الكريم عن القصة [(١)] مبرزا ما فيها من العبر والعظات والقواعد والتوجيهات التى تفيد الدعاة إلى الله فى عملية تبليغ الدعوة والنجاح فى تحقيق أهدافهم ، لذا فأننا نقف أمام هذه القصة متأملين لإبراز معالمها الدعوية وبالذات ما يتعلق بمنهج التبليغ وأساليب تطبيقه مع بيان ملاءمة تلك الأساليب لطبيعة المدعوين ، وهم فى القصة بنو اسرئيل ، وسيكون حديثنا مقصوراً على ماورد من القصة فى سورة الإعراف [(٢)] ، وطه [(٣)] ، والشعراء [(٤)] ، والقصص [(٥)] ، وذلك

---

(١) ذكرت اطراف من قصة موسى عليه السلام فى سور عديدة من القرآن وهى : البقرة ، والمائدة ، والإعراف ، ويونس ، وإبراهيم ، والإسراء ، والكهف ، وطه ، والشعراء ، والنمل ، والقصص ، وغافر ، والدخان ، والنازعات ، مختلفة إيجازا واطنابا .

(٢) الإعراف من آية (١٠٣ - ١٧١) .

(٣) طه من آية (٩ - ٩٨)

(٤) الشعراء من آية (١٠ - ٦٨) .

(٥) القصص من آية (٣ - ٤٢) .

لاستيعاب هذه السور اغلب مراحل القصة ، كما أننا سنأخذ منها بقدر ما يخدم موضوعنا إن شاء الله ، وذلك فى النقاط التالية :

١- إعداد موسى عليه السلام وتهيئة لحمل الرسالة :

أ- هيأ الله لموسى عليه السلام ان ينشأ ويتربى فى قصر فرعون عندما خافت عليه أمه أن يذبحه فرعون كما ذبح غيره من الأطفال الذكور من بنى إسرائيل ، لإخبار الكهنة له بأن نهاية وزوال ملكه سيكون على يد رجل من بنى إسرئيل ، وللخوف الشديد الذى تملك من قلب أم موسى يحقق الله لها آية من آياته الدالة على قدرته وإرادته بأن يتربى فى قصر عدوة وتحت رعايته ، وأمام عينها ، وترضعه لتشبع أمومتها ، فيقول تعالى : ﴿وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعية ، فإذا خفت عليه فألقية فى اليم ولاتخافى ولاتحزنى إنا رادوه اليك وجا علوة من المرسلين . فالتقطة آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ، إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين . وقالت امرأه فرعون قرت عين لى ولك لاتقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً وهم لايشعرون﴾ (١) فقد أمرها الله أن ترضعه وتلقيه فى النيل بعد أن تضعه فى تابوت ، ونهاها عن الخوف عليه فى مستقبل أيامه ، والحزن على فراقه أو فقده ، وبشرها برده إليها عاجلاً لترصعه فى قصر فرعون ، وجعله من المرسلين ، وبشارتها بأنه سيكون مرسلاً فيها إشارة إلى نجاته من ذبح فرعون له فى طفولته كغيره وذلك زيادة اطمئنان لها ، وقد ألقى الله محبته على آل فرعون فأحبه كل من رآه وبالذات امرأة فرعون المؤمنة التى تحركت فيها مشاعر الأمومة والتبنى واعتبرته قرة عين لها ولفرعون ، وعلى هذا نجا من القتل وعاش فى قصر فرعون وامتن الله على موسى عليه السلام بالقاء المحبة عليه لنجاته ، فيقول : ﴿ وألقيت

---

(١) القصص (٧ - ٩) .

عليك محبة منى ولتصنع على عينى ﴾[١] فقد قيل فى معناه : زرعت محبتك وأنت صغير فى قلوب الناس بحيث لايكاد يصبر عنك من رآك ، ولذلك أحبك عدو الله فرعون وآله ، " ولتصنع على عينى" أى ألقيت عليك محبة آل فرعون ليتعطف عليك ولتربى بالحنو والشفقه بمراقبتى وحفظى [٢] وقد حرم الله عليه المراضع فلم يقبل ثدى أى منهم حتى يعود إلى أمه ويرد إليها ليتربى ويترعرع بين حب امرأه فرعون وحب إمه ، ويقول تعالى : ﴿ وقالت لأخته قصية فبصرت عن جنب وهم لاتشعرون . وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون . فرددناه إلى أمه كى تقر عينها ولاتحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لايعلمون ﴾[٣] إى أن الله حرم عليه المراضع من قبل أن تتبعه أخته ، فلما رأت عدم قبوله لثدى أية مرضعه تقدمت ناصحة لهم بأن تأتى لهم بمرضعة يقبل ثديها فتكفله وهم أى أهل البيت يعنى المرضعة لناصحون غير مقصرين فى إرضاعه وتربيته ، وهنا تحققت البشارة الأولى : ﴿ إنا رادوه إليك ﴾ ولما رد إليها قرت عينها بولدها ، ولم تحزن بفراقه ، وليقر فى قلبها أن وعد الله لايتخلف .

وكان كل ذلك إعداداً لموسى عليه السلام ليكون على علم بطبيعة مدعويه فى المستقبل القريب عندما ينبأ ويرسل إلى فرعون ، فقد هيأ الله المربية الفاضلة المؤمنة امراة فرعون ، والمرضعة الحانية أمه التى ولدته وقد ربى تربية عالية على حسب التقاليد بواسطة رجال الدين والكهنة ولعل سؤالايرد على الذهن : ولماذا الكهنة ؟ والجواب واضح جلى ، وإنما ذلك ليكون على علم بمواطن زللهم ومغالطتهم الفكرية والعقدية - وهذا مع ما آتاه الله من الحكمة .

---

(١) طه من آية (٣٩) .

(٢) انظر " دعوة الرسل إلى الله تعالى" - محمد احمد العدوى - ص ٢٣٩ .

(٣) القصص (١١ - ١٣) .

وقد تدرج سيدنا موسى عليه السلام فى المعرفة والتلقى ، فعندما بلغ أشده آتاه الله العلم والحكمة ، وعن هذه المرحلة من النضج يقول الله تعالى : ﴿ ولما بلغ أشدة واستوى آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزى المحسنين ﴾ (١) يقول البيضاوى : " ولما بلغ أشده - أى مبلغه الذى لايزيد عليه نشؤه وذلك من ثلاثين إلى أربعين سنة وأن العقل يكمل حيئذ روى أنه لم يبعث بنى الأعلى رأس الأربعين سنه ، واستوى قدة أو عقله آتيناه حكما وعلماً أى نبوءه وعلما بالدين ، أو علم الحكماء والعلماء وسمتهم قبل استنبائه ، فلا يقول ولايفعل ما يستجهل فيه ، وهو اوفق لنظم القصة لأن استنباءه بعد الهجرة فى المراجعة " (٢) فعندما كملت قواه العقلية والجسمية آتاه الله الحكمة والعلم النافع ، ولعل ذلك لتحصين عقله من مغالطات الكهنة الذين كان يتلقى العلم عنهم فى القصر - وهذا فى نظرى هو المناسب للمقام لأنه تربى وصنع على عين الله ورعايته وحفظه ومن حفظ الله له صيانه عقله وقلبه من الضلال والمغالطة ، كما صان جسده من القتل وروحه من الإزهاق .

ومن تهيئة الله لموسى عليه السلام : أن جعل أسبابا تؤدى إلى خروجه من مصر إلى مدين ، عندما دخل المدينة التى كان يسكنها فرعون وقيل إنها كانت على بعد فرسخين من مصر وقيل هى : عين شمس فوجد فيها رجلين يقتلان أحدهما من شيعته والآخر عدوله ، فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه لينصره عليه فوكز موسى الذى هو عدوله فمات الرجل بسبب وكزة موسى له فى صدره بمجمع كفه . فخاف كشف أمره وأصبح خائفاً يترقب إلى أن جاءه رجل ينصحه بأن يخرج من المدينة لأن الملأ يأتمرون لقتله ويحكى القرآن لنا ذلك فيقول : ﴿ ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتلان هذا من شيعته وهذا من

---

(١) القصص آية (١٤) .

(٢) انظر البيضاوى جـ ٢ ص ١٨٨ .

عدوه فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين . قال رب إنى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له إنه هو الغفور الرحيم . قال رب بما أنعمت على فلن أكون ظهيراً للمجرمين . وأصبح فى المدينة خائفاً يترقب فإذا الذى استنصره بالأمس يستصرخه قال له موسى إنك لغوى مبين . فلما أن أراد أن يبطش بالذى هو عدو لهما قال ياموسى أتريدأن ان تقتلنى كما قتلت نفساً بالأمس إن تريد إلا أن تكون جباراً فى الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين . وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إنى لك من الناصحين . فخرج منها خائفاً يترقب قال رب نجنى من القوم الظالمين ﴾ (١) والأرجح أن ذلك كان قبل النبوة خلافاً لمن رأى انه كان بعدها كالبيضاوى (٢) لأن ذلك هو الأوفق لسياق القصة وترتيبها ، وليس فى الآيات ما يدل على أنها كانت بعد النبوه (٣) وما ذلك كله إلا أسباباً هيأها الله ليخرج إلى مدين ليتلقى نوعاً آخر من التدريت والإعداد لحمل الرسالة ، ولو لم يكن الأمر كذلك فما الداعى لخروجه وتركه قصر فرعون ؟ لابد أن يكون السبب قوياً يدفعه إلى الخروج دفعاً بعد أن ندم على ما كان منه ، ومغفرة الله له .

ب- بعد أن خرج موسى من المدينة خائفاً يترقب - بعد معاشرته فرعون والقبط وبنى اسرائيل وعرف طباعهم وأحاط بأحوالهم ووضع يده على ضلالهم ومغالطتهم

---

(١) القصص من آية (١٥ - ٢١) .

(٢) يرى البيضاوى أن قتل موسى للقبطى كان بعد النبوه اى بعد الوحى اليه ويعلق بقوله : ولايقدح ذلك فى عصمته لكونه خطأ . (انظر جـ ٢ ص ١٨٩) .

(٣) انظر : دعوة الرسل إلى الله تعالى - محمد احمد العدوى - ص ٢٦٧ وانظر : قصص الأنبياء - عبد الوهاب النجار - ص ١٩٧ ط العالمية للتوزيع .

فى الأقوال والأفعال وصار من الناحية الدعوية على علم بمدعوية-توجه إلى مدين[(١)] وجد جماعة من الرعاة يسقون أغنامهم من بئر وقرب هذه الجماعة وجد امرأتين تبعدان أغنامهما عن البئر فسألهما موسى عليه السلام لماذا لايتركان الأغنام لتشرب ، قالتا لانسقى أغنامنا حتى ينتهى الرعاة من سقى أغنامهم أولاً ، لأنهم أصحاب القوة القادرون على رفع غطاء البئر الثقيل الذى يحتاج لرفعه عدد من الرجال الأشداء ، وهما لارجال معهما وأبوهما شيخ كبير[(٢)] فلما انتهى الرعاة سقى موسى لهما أغنامها ورفع الغطاء وحده بما منحه الله من قوة ، وعادت المرأتان بأغنامها إلى الأب الشيخ المسن فلما سألهما عن سبب تبكيرهما بالعودة بالغنم أخبرتاه بأمر موسى وما كان منه ، فأرسل الشيخ إليه إحداهما فجاءته تمشى على استحياء قائله : ﴿ إن أبى يدعوك ليجزيك أجرما سقيت لنا ﴾[(٣)] وذهب موسى معها وتبعها فلما رأى منها عقبها طلب منها أن تسير خلفه وتوجهة إلى الطريق ، إلى أن وصل إلى الأب وقص عليه حكايته فطمأنه قائلا : ﴿ لا تخف نجوت من القوم الظالمين ﴾[(٤)] وانتهى اللقاء بالاتفاق مع موسى عليه السلام أن يعمل أجيرا عنده فى رعى الغنم وأجرته أن يزوجه إحدى ابنتيه والمدة من ثمانى إلى عشر سنوات وقبل موسى قائلا : ﴿ ايما الأجلين قضيت فلا عدوان على والله على

---

(١) تقع مدين حول خليج العقبه شمال الحجاز وجنوب فلسطين من شمال شبة جزيرة سيناء وهى الأن منطقة نويبع .

(٢) يذكر البعض ان ابا الفتاتين وصهر موسى هو شعيب علية السلام ، ويرى آخرون انه "يثرون" ابن اخى شعيب ، ويرى البعض انه يثرون ولكن ليس ابن اخى شعيب (انظر تفصيل الأقوال فى قصص الانبياء - عبد الوهاب النجار ص ٢٠٢) .

(٣) القصص من آيه ٢٥

(٤) القصص آيه ٢٥

ما نقول وكيل ﴾ (١) وقصة اللقاء مذكوره فى سورة القصص (٢) والذى ينبغى إبرازه فى ذلك أن الله هيأ لموسى أن يعمل فى رعى الغنم لما فى ذلك من تدريب على رعاية أمته وحفظ مصالح قومه ودفع ما يضرهم عنهم وتحقيق حاجاتهم وقبل كل ذلك لتعويده الصبر على إساءاتهم والعفو عن زلاتهم ليحقق هدف دعوته وهو العيش الهادى والرزق الرغد ، ونعم الله تعالى ، وذلك كله فى ظل الإيمان بالله تعالى وعبادته بعد الخلاص من فرعون وجبروته وظلمه .

وفعلا تدرب موسى عليه السلام على الصبر والفطنه والمحافظه على الأرواح بحسن رعايته للغنم وقيامه بواجب تلك الرعاية خير قيام .

وبعد فترة العمل المتفق عليها عاد موسى مع زوجته إلى مصر بعد أن قضى الأجل الأكبر حيث رعى الغنم عشر سنوات ، وترك له صهره نتاجها .

٢- عودته إلى مصر والوحى إليه وإرساله إلى فرعون :

وفى طريق العودة إلى مصر وفى الليل وبينما كان يرعى غنمه ومعه امرأته ضل الطريق فى ليله باردة وأراد أن يورى نارا فصلد زنده وضل بالنار وبينما هو على هذه الحال رأى نارا من بعيد ﴿ فقال لأهله امكثوا إنى آنست نارا لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى ﴾ (٣) وقد كانوا فى حاجة إلى الدفء فى تلك الليلة شديدة البرد فقال : ﴿ لعلى آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون ﴾ (٤) وكما كانوا فى حاجة إلى الدفء بالنار فقد كانوا فى حاجة إلى من يهديهم

---

(١) القصص ٢٨

(٢) قصة وصول موسى إلى مدين وقضاء الاجل سورة القصص من ٢٢ - ٢٨

(٣) طه آية ١٠

(٤) القصص من آية ٢٩

ويرشدهم لأنهم ضلوا الطريق ، وكان قد وافى وادى طوى وفيه الطور ، ولدله ولد فى ليله شاتية مظلمة مثلجة وكانت ليلة جمعة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته إذ رأى النار فقال لأهله امكثوا أى أقيموا مكانكم إنى آنست نارا أى أبصرتها إبصارا لاشبهة فيه ،(لعلى آتيكم منها بقبس) يشعله أو جمرة ﴿ أو أجد على النار هدى ﴾ هاديا يهدينى الطريق ..

أ - الوحى إليه ، ومكونات دعوته :

لما سار موسى إلى مكان النار وجدها نارا بيضاء تتقد فى شجرة خضراء كما فى قوله تعالى : ﴿ فلما أتاها نودى من شاطئ الواد الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن ياموسى إنى أنا الله رب العالمين ﴾ (١) أى ناداه من جانب الوادى مما يلى الجبل عن يمينه من ناحية الغرب كما قال تعالى : ﴿ وما كنت بجانب الغربى إذ قضينا إلى موسى الأمر ﴾ (٢) فهذا مما يرشد إلى أن موسى قصد النار إلى جهة القبلة والجبل الغربى عن يمينه والنار وجدها تضطرم فى شجرة خضراء فى لحف الجبل مما يلى الوادى " (٣) وفى هذا المقام المبارك يكون الوحى إلى موسى عليه السلام ، حيث يسمع نداء ربه جل وعلا :﴿ يا موسى إنى أنا ربك فاخلع ما عليك أنك بالوادى المقدس طوى ﴾ (٤) قيل : لما نودى ، قال : من المتكلم قال : " إنى أنا الله " فوسوس إليه إبليس لعلك تسمع كلام شيطان فقال : أنا عرفت أنه كلام الله بأنى أسمعه من جميع الجهات ، وبجميع الأعضاء والمعنى : إنى أنا الله الذى يخاطبك ويكلمك ، ثم يأمره قائلا " فاخلع نعليك .. لأنهما كانا

---

(١) القصص من آية ٣٠

(٢) القصص ٤٤

(٣) تفسيرا من كثير حـ٣ صـ٣٩١

(٤) طه ١٢

من جلد نجس غير مدبوغ لحمار، وقيل لأن المقام مقام تواضع وأدب ، ولذلك طاف السلف حافين "[١] وقد علل الأمر بقوله : ﴿ إنك بالواد المقدس طوى ﴾ [٢] ونفذ موسى أمر ربه وأنصت ليتلقى ما يوحى إليه من ربه فى هذا المكان الطيب والمقام المبارك

دعوة موسى عليه السلام :

أوحى الله إلى موسى عناصر دعوته ومكوناتها وما سيدعو إليه قومه فيقول تعالى : ﴿ وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى . إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى . إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى . فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى ﴾ [٣] ، فما تضمنته هذه الآيات هو صلب دعوة موسى عليه السلام وأسس العقيدة اليهودية كما أوحاها إلى موسى لا بعد ما عبثت بها ايدى اليهود ، وهى :

١. التوحيد : " اننى أنا الله لا إله إلا أنا .." فهذه دعوة إلى الإيمان بأنه لا إله إلا الله فلا خالق إلا هو، ولا معبود سواه وكل المعبودات دونه باطلة ، وهو ما جاء به كل رسل الله .

٢. العبادة : والأمر بالعباده وإقامة الصلاة ، وتقرير التوحيد هو منتهى العلم ، والأمر بالعبادة كمال الفعل ، وأقر الصلاة بالأمر لأنها تذكر المعبود وشغل القلب واللسان تذكرة سبحانه وتعالى .فالعبادة لله وحدة لانه هو الواحد الخالق الرازق لا إله إلا هو ثمره ونتيجه للإقرار بتوحيد الربوبية : ياتى توحيد الألوهيه فاعبدنى واقم الصلاة لذكرى " فهو وحده الحقيق بالعبادة دون سواه .

(١) انظر تفسير البيضاوى حـ٢ ، وتفسيرا من كثير حـ٣

(٢) طه ١٢

(٣) طه من ١٢ - ١٦

٣. الايمان باليوم الآخر: وهذا تقرر في قوله تعالى : ﴿ إن الساعة آتيه أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى ﴾ والمراد إخفاء وقتها فعلمها مما استأثر الله بعلمه ، وما يحدث فيها من بعث وحشر وحساب وثواب وعقاب مما يجب الإيمان به ، وبالتالي العمل بمقتضى هذا الإيمان من الاستعداد لها بالعمل الصالح والإيمان بالله وعبادته واتباع أوامره واجتناب نواهيه ، لأن الإيمان الصادق يقتضى العمل الصالح .

هذا ما أوحاه الله إلى موسى عليه السلام وأمره بتبليغه إلى فرعون الذى جاوز الحد فى الطغيان والإلحاد ، لتخليص بنى اسرائيل منه ومن ذل العبودية لـه فأصبح موسى عليه السلام عالما بدعوته وبما سيقوم بالدعوة إليه من العقيدة العبادة ، وعلى بصيرة من أمره ، وهذا ما يجب على الدعاة معرفته والإلمام به ، وأن يتشبعوا بدعوتهم بحيث تصير جزءاً من تكوينهم ووجدانهم حتى يستطيعوا إقناع غيرهم بها فإن فاقد الشئ لا يعطيه .

ب- تزويده بأدله الإقناع من البراهين والمعجزات :

وقد علم الله أن فرعون عنيد متكبر متجبر فزود موسى عليه السلام بالآيات والمعجزات التى تدل على صدقه فى دعوى النبوة والرسالة ، فزوده بمعجزتى العصا التى تتحول بقدرة الله تعالى إلى حية تسعى ، وثعبان مبين ، واليد التى يدخلها تحت إبطه فتخرج ببيضاء منيرة من غير مرض أو علة لتكونا برهانين لموسى أمام فرعون يؤيد انه فى دعوته ، وفى ذلك يقول الله تعالى : ﴿ وما تلك بيمينك ياموسى قال هى عصاى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى ولى فيها مآرب أخرى قال ألقها يا موسى فألقاها فإذا هى حيه تسعى . قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى . واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى . لنريك من آياتنا

الكبرى ﴾ (١) فقد سأله الله عما فى يمينه استفهاما يتضمن استيقاظا لما يريه فيها من العجائب ويجيب موسى عليه السلام مبيناً فوائد عصاه : أتوكا عليها اى اعتمد عليها إذا أعييت أو وقفت على رأس القطيع وأهش بها على غنمى أى واضبط الورق بها على رءوس غنمى ، والمآرب الأخرى الذى أشار اليها موسى عليه السلام كثيره منها ما ذكره البيضاوى " أنه كان أذا سار ألقاها على عاتقه فعلق بها أدواته وعرض الزندين على شعبتيها ، وألقى عليها الكساء واستظل به وإذا قصر الرشاء وصله بها ، وإذا تعرضت السباع لغنمه قاتل بها - ويستطر دمعقبا بقوله : وكأنه صلى الله عليه وسلم فهم المقصود من السؤال أن يذكر حقيقتها ومايرى من منافعها حتى إذا رآها بعد ذلك على خلاف تلك الحقيقه ووجد فيها خصائص أخرى خارقه للعادة مثل أن تشتغل شعبتاه بالليل كالشمع وتصيران دلوا عند الاستسقاء وتطول بطول البئر وتحارب عنه إذا ظهر عدو وينبع الماء بركزها وينضب بنزعها وتورق وتثمر إذا اشتهى ثمرة ، فركزها على ان تلك آيات باهرة ومعجزات قاهرة أحدثها الله فيها لأجله وليست من خواصها ..."(٢) فإن الأمور الخارقه المذكورة معجزات واعانات له والمفروض أنها اكتسبتها بعد الوحى تصديقاً له وعونا فى دعوته كما فى تعريف المعجزة ، ويعقب ابن كثير على تفسيره (مآرب اخرى) بمنافع اخرى قائلاً :وقد تكلف بعضهم لذكر شىء من تلك المآرب التى ابهمت فقيل كانت تضىء له بالليل ، وتحرس له الغنم إذا نام ويغرسها فتصير شجرة تظله وغير ذلك من الأمور الخارقه للعادة ، والظاهر أنها لم تكن كذلك ولو كانت كذلك لما استنكر موسى عليه السلام صيرورتها ثعبانا مما كان يجعله يفر

---

(١) طه من اية ١٧ - ٢٣

(٢) البيضاوى حـ٢ صـ ٤٥

منها هارباً (١) والنفس تميل إلى قول ابن كثير لأن خوف موسى منها عندما صارت ثعباناً يدل على أنه لم يعهد فيها هذه الأمور الخارقة قبل ذلك ، ولأنه لو عهد منها ذلك ما شعر بالخوف حتى ولى مدبراً ولم يعقب كما فى قول الله تعالى : ﴿وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبراً ولم يعقب ، ياموسى أقبل ولاتخف إنك من الآمنين﴾(٢) ومعنى " ولى مدبراً ولم يعقب" أى ولم يكن يلتفت لأن طبع البشرية ينفر من ذلك ، حتى أمنه الله بقوله : أقبل ولاتخف إنك من الآمنين - وهذا أمر ، ونهى ، وإخبار ، الأمر بالإقبال لانعدام الخوف ، والشعور بالأمان وهذا صادر ممن يقول للشىء كن فيكون عاد موسى إلى موقفه الأول آمنا .

ثم أمره الله تعالى بإدخال يده إلى جناحه لتخرج بيضاء مشعه من غير سوء فقال : ﴿ واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى لنريك من آياتنا الكبرى ﴾ (٣) ويقول : ﴿ اسلك يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم إليك جناحك من الرهب فذنك برهانان من ربك إلى فرعون وملائه إنهم كانوا قوما فاسقين ﴾ (٤) والمراد اضمم يدك إلى جناحك أى كفك تحت عضدك ، وذلك أن موسى عليه السلام كان إذا ادخل يده فى جيبه ثم اخرجها تخرج تتلأ لأ كانها فلقه قمر ، وتخرج بيضاء من غير سوء اى من غير برص ولااذى ومن غير شين (٥) وقوله : ﴿ واضمم اليك جناحك من الرهب ﴾ أى من الفزع او الرعب أو مما حصل لك من خوفك من الحية ، والظاهر أن المراد أعم من ذلك وهو أنه أمر عليه السلام إذا خاف

---

(١) انظر ابن كثير جـ٣ صـ١٤٥ .

(٢) القصص (٣١) .

(٣) طه (٢٣) .

(٤) القصص (٣٢) .

(٥) تفسير ابن كثير جـ٣

من شيء أن يضم إليه جناحه من الرهب وهو يده فإذا فعل ذلك ذهب عنه ما يجده من الخوف [١] .

مكانه معجزتي العصا واليد في دعوة موسى : أشار إلى ذلك المولى جل وعلا ، مبينا أهما دليلان وبرهانان لفرعون على صدق موسى عليه السلام في دعوته إلى الله ، وأنه مبلغ عن ربه أرسله بالتوحيد الخالص والعقيدة الصادقة لتخليص بني إسرائيل من الذل والهوان الذي حل بهم بفسوق فرعون وملائه وطغيانهم ، فقال تعالى : ﴿ فذانك برهانان من ربك إلى فرعون وملائه إنهم كانوا قوماً فاسقين ﴾ اشارة إلى العصا واليد (برهانان) أي حجتان وبرهان [٢] أرسلك بهما الله إلى فرعون وملائه إنهم كانوا قوماً فاسقين فكانوا أحقاء بأن يرسل إليهم ، وهذان أي العصا واليد دليلان قاطعان على قدرة الفاعل المختار وصحة نبوة من جرى هذا الخارق على يديه ، أمام فرعون وملائه الخارجين عن طاعة الله المخالفين لأمره ودينه [٣] .

وفي هذا توجيه لكل داع إلى الله أن يعضد دعوته بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة من العقل والنقل ليكون قوياً في مواجهة خصومه واضحاً أمام مدعويه .

جـ- أمر الله موسى عليه السلام بالذهاب إلى فرعون :

بعد تزويد موسى بالأدلة والبراهين على صدق نبوته امره الله تعالى بأن يتحمل ما أوحى إليه من العقيدة والعبادة إلى فرعون داعياً إياه إلى الإيمان بالله وتحرير بني

---

(١) انظر البيضاوي وابن كثير.

(٢) البرهان هو الحجة البينة الفاصلة ، وعند المناطقة : قياس مؤلف من مقدمات يقينيه ، وعند الرياضيين : ما يثبت قضية من مقدمات مسلم بها (المعجم الوسيط) .

(٣) تفسير ابن كثير مع تصرف شديد .

إسرائيل من الذل والهوان فقال تعالى ﴿ اذهب إلى فرعون إنه طغى ﴾ (١) والطغيان هو مجاوزة الحد حيث إنه عصى وتكبر، والمعنى : أي اذهب إلى فرعون ملك مصر الذي خرجت فاراً منه وهارباً فادعه إلى عبادة الله وحده لاشريك له ، ومره فليحسن إلى بنى إسرائيل ولايعذبهم فإنه قد طغى وبغى وآثر الحياة الدنيا ونسى الرب الأعلى (٢) وقد بين الله تعالى صورة طغيانه وبغية بقوله : ﴿ إن فرعون علا فى الأرض ، وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيى نساءهم إنه كان من المفسدين ﴾ ويبين كذلك الغاية من الدعوة والغرض من الرسالة فيقول : ﴿ ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمه ونجعلهم الوارثين . ونمكن لهم فى الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون ﴾ (٣) ولقد كان فرعون مثلاً من أمثلة الاستبداد وعنوانا للظلم واستعباد الناس وقدوة سيئة فى الشر ، فأول شيء حدثنا الله عن فرعون : إنه علا فى الأرض وتجاوز فيها الحد وطغى ولم تكن سيرته فى الحياة سيرة عباد لله طائعين بل سيرة متجبرين ، وثانيها : أنه جعل أهلها شيعا وأحزاباً يستعين ببعضهم على بعض ويذل بكل حزب ما عداه من الأحزاب ، ويذلهم جميعاً بعضهم ببعض ويأمنهم جميعاً بواسطة ذلك التحزب الذى غرسه فيهم حتى إذا تحرك حزب لمناوأته قام حزب آخر ليدافع عنه لامحبه فيه بل أرضاء لشهوة الحزبية وهذا هو أسلوب الاستعمار فى البلاد التى احتلها ، وثالثها : من أخلاق فرعون أن يستضعف طائفة منهم وهى الطائفة التى ليس فيها من المناعة الخلقية ما يحول بينها وبين المستبد وقال : (يستضعف طائفة منهم) ولم يقل (يستضعفهم) ليعلم أن الضعف

---

(١) طه (٢٤) .

(٢) تفسير ابن كثير جـ ٣ .

(٣) القصص (٤ ، ٦) .

الخلقى إذا حل بقوم لم يعمهم جميعهم بل يحل بطائفة منهم ، وكذلك رجال الاستعمار وأذنا بهم يستضعفون طائفة من الأمة – ولاتخلو الأمة من ضعفاء – فيغرونها بالمال تارة والمنصب تارة أخرى ليضموها إليهم ، حتى إذا اخذت الأمة تطلب حقها وتذود عن حياضها قامت لها تلك الطائفة فوقفت فى سبيلها وحالت بينها وبين ما تريد (١) .

ورابعها : ادعاء الألوهية ودعوة قومه لعبادته ، قال تعالى : ﴿ فحشر فنادى فقال انا ربكم الأعلى فأخذه الله نكال الآخرة والأولى ﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿ وقال فرعون يأيها الملأ ما علمت لكم من إله غيرى فأوقد لى ياهامان على الطين فاجعل لى صرحاً لعلى أطلع إلى إله موسى وإنى لأظنة من الكاذبين ﴾ (٣) وهذا محض عناد ومكابره فإنه عندما لم يستطع أن يعارض دلائل موسى عليه السلام توجه إلى بطانته بقوله هذا ﴿ ما علمت لكم من إله غيرى ﴾ وقد نفى بذلك أى إله سواه كما تضمن إثبات إلهية نفسه ، ولم يرد فرعون أنه خلق السموات والأرض والجبال والبحار وذوات الناس فإن العلم بامتناع ذلك من أوائل العقول (٤) فمن كل ما سبق نرى أنه بلغ ذروة الطغيان والكفر فعم الفساد وانتشرت الفوضى ، واستشرى الفساد السياسى والاجتماعى والعقدى – وكان فضل الله فى إرسال موسى عليه السلام لإصلاح هذه الفوضى برد الناس إلى ربهم للاحتماء بجنابه سبحانه وتعالى بعبادته وتوحيده واتباع أوامره واجتناب نواهيه ، وقد اتضح ذلك جليا فى تحديد الهدف الرئيسى من دعوة موسى عليه السلام لفرعون فى قول الله تعالى : ﴿ ونريد

---

(١) دعوة الرسل إلى الله تعالى – محمد احمد العدوى (٢٦٤) .

(٢) النازعات (٢٣ : ٢٥) .

(٣) القصص (٣٨) .

(٤) انظر دعوة الرسل إلى الله (٢٧٢) .

أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمه ونجعلهم الوارثين . ونمكن لهم فى الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون ﴾ والغاية هى تحرير المستضعفين الذين أذلهم فرعون واستحيا نساءهم وقتل أبناءهم ، وإعادة الوحدة والترابط إلى المجتمع بجمعه على كلمة سواء وعقيدة واحدة وعبادة إله واحد قادر ، والتمكين والسيادة لايتحقق إلا بالعودة إلى عبادة الله العزيز الحكيم - الذى يعز عبادة ويعلى شأنهم ويرفع رايتهم ويعلى كلمتهم ، فكانت رسالة موسى ودعوته وكل ما كان من أمره فى نجاته من ذبح فرعون له ، والتربية فى قصره ، والخروج إلى مدين ثم العودة إلى مصر كان كل ذلك لتحقق منه الله وفضله على بنى إسرائيل بتحريرهم من ذل عبوديتهم لفرعون .

د - موسى عليه السلام يطلب الوسائل المعينة فى الدعوة :

لما أمر الله موسى عليه السلام بالذهاب إلى فرعون لأنه طغى وبغى ، وقد عاش كليم الله فى قصر فرعون طفولته وصدر شبابه ، ويعلم كل شىء عنه من العناد والطغيان والكبر ، ولجاجه وجد له ومغالطاته ، لذلك سأل موسى ربه بعض المعينات والوسائل التى تساعده فى عرض دعوته وتحمل عناد فرعون وجد له فطلب من الله عدة أمور ، فقال : ﴿ رب اشرح لى صدرى . ويسر لى أمرى ﴾ شرح الصدر بمعنى توسعته فقد كان عليه السلام عصبياً شديد الانفعال ولعلمه بما عليه فرعون من العناد الذى قد يضيق معه الصدر تبكذيبه فى دعوته ، ولما أمره الله بخطب عظيم وأمر جسيم سأله أن يشرح صدره ويفسح قلبه لتحمل أعبائه والصبر على مشاقه ، والتلقى لما ينزل عليه ويسهل الأمر له بإحداث الأسباب ورفع الموانع (١) .

---

(١) انظر تفسير البيضاوى جـ ٢ صـ ٤٦ .

وفى موضع آخر يبين موسى عليه السلام ان تكذيبهم له قد يضيق صدره فيحبس لسانه عن النطق ، فيقول الله عنه : ﴿ قال رب إنى أخاف أن يكذبون . ويضيق صدرى ولاينطلق لسانى فأرسل إلى هارون . ولهم على ذنب فأخاف أن يقتلون﴾[١] فقد رتب موسى عليه السلام استدعاء ضم أخيه إليه على أمور ثلاثة : خوف التكذيب ، ضيق القلب انفعالا عنه - عن التكذيب - وازدياد الحبسة فى اللسان بانقباض الروح إلى باطن القلب عند ضيقه بحيث لاينطلق لأنها إذا اجتمعت مست الحاجة إلى معين يقوى قلبه وينوب منابه متى تعتريه حبسة حتى لاتختل دعوته [٢] وهذا ما بينته آيه سورة القصص إذ يقول : ﴿ وأخى هارون هو أفصح منى لساناً فأرسله معى ردءاً يصدقنى إنى أخاف أن يكذبون ﴾ [٣] أى معيناً يصدقنى بتخليص الحق وتقرير الحجة وتزييف الشبهة ، فهذه وسيلة الاستعانة بالغير فللداعى أن يستعين فى دعوته بمن يأنس فيه قبولاً لدى المدعو ليصل الداعى بدعوته إليه ثم يدعو الله تعالى بحل عقده لسانه : ﴿ واحلل عقده من لسانى يفقهوا قولى . واجعل وزيراً من أهلى هارون أخى اشد به أزرى واشركه فى أمرى ﴾ [٤] وقد روى أنه كان فى لسانه رثه لما روى من حديث الجمرة ويروى أن يده احترقت وأن فرعون اجتهد فى علاجها فلم تبرأ ، ولما دعاه قال : إلى أى رب تدعونى ؟ قال إلى الذى أبرأ يدى وقد عجزت عنها ، وروى عن بعضهم : أنما لم تبرأ يده لئلا يدخلها مع فرعون فى قصعة واحدة فتنعقد بينهما حرمه المؤاكله ، وقيل : إن العقده ذهب

---

(١) الشعراء (١٢ : ١٤) .

(٢) السابق صـ ١٥١ .

(٣) القصص (٣٤) .

(٤) طه (٢٧ : ٣١) .

بعضها لقوله ﴿ ولايكاديبين ﴾ (١) وقيل : ذهبت كلها لقوله تعالى : ﴿ قد أوتيت سؤلك ياموسى ﴾ (٢) . وقوله : ﴿ واجعل وزيراً من أهلى ﴾ أى اجعل مساعداً ومعينا لى على ما كلفتنى به ، ولفظ " الوزير" من الوزر بكسر الواو ، لأنه يتحمل عن الملك أوزاره ومؤنه ، أو من " الوزر " بفتح الواو والزاى بمعنى الملجأ والمعتصم لأن الملك يعتصم برأية ويلجئ إليه أموره ، أو من المؤازرة وهى المعاونة (٣) ويروى القرطبى أن موسى عليه السلام عندما كان فى حجر فرعون ذات يوم وهو طفل فلسمه واخذ بلحيته فنتفهافقال فرعون لآسية : هذا عدوى فهات الذباحين فقالت آسية : على رسلك فإنه صبى لايفرق بين الأشياء ، ثم أتت بطستين فجعلت فى إحداهما جمرا وفى الآخر جوهراً ، فأخذ جبريل بيد موسى فوضعها على النار حتى رفع الجمرة ووضعها فى فيه على لسانه فكانت تلك الرته وروى أن يده احترقت وأن فرعون اجتهد فى علاجها فلم تبرأ" (٤) ولذلك بحث موسى عن الوسيلة المعينة فدعا الله أن يرسل إلى أخيه لفصاحته وسلامة نطقه .

هـ - إعادة الأمر لهما بالذهاب إلى فرعون :

بعد أن أجاب الله موسى على ما طلبه وأعطاه سؤله " قال قد أوتيت سؤلك يا موسى" يؤكد عليه وأخيه الأمر بالذهاب بالآيات والأدلة إلى فرعون مع إرشادهما إلى الأسلوب الأمثل فى بدء الدعوه وأول الحوار ، فيقول سبحانه : ﴿ اذهب أنت وأخوك بآياتى ولاتنيا فى ذكرى . اذهبا إلى فرعون إنه طغى فقولا له قولاً لينا لعله يتذكر أو يخشى . قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى . قال لاتخافا

---

(١) الزخرف من آية (٥٢) .

(٢) طه (٣٦) .

(٣) انظر تفسير الكشاف جـ ٢ صـ ٥٣٥ .

(٤) النازعات (١٨ ، ١٩) .

إننى معكما أسمع وأرى ﴾ (١) فهذا هو أمر الله تعالى لهما بأن يذهبا إلى فرعون بما زودهما الله من معجزات وبراهين دالة على صدق دعوتهما ، وأن يقولا له قولا لينا فيه رفق واستمالة لقلبه إلى الحق وذلك مثل قوله : ﴿ هل لك إلى أن تزكى . وأهديك إلى ربك فتخشى ﴾ (٢) فإن هذا الأسلوب دعوة فى صورة عرض ومشورة ، حذرا أن تحمله الحماقة على أن يسطو عليكما ولعل هذه الطريقة فى عرض الدعوة تجعله أن يتذكر نعم الله عليه ويخشى غضبه فيؤمن بالدعوة ويستجيب لداعى الإيمان(٣) وعندما ابديا مخاوفها من طغيان فرعون ﴿ إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى ﴾ أى لا ينتظر إلى تمام الدعوة وإظهار المعجزة فيعجل علينا بالعقوبة بسبب الاستكبار والخوف على الملك والسلطان ، يعدهما الله بالحفظ والنصر والتأييد بقوله إننى معكما أسمع وأرى مايجرى بينكما وبينه فأحدث فى كل مايصرف شره عنكما ويوجب نصرتى لكما ، وهنا توجه موسى وهارون إلى فرعون بعد أن أخذا بكل الأسباب على رجاء أن يذعن للدعوة ويستجيب لهما ، وفى هذا ملمح طيب لكل واعظ وداع إلى الله وهو أن يتجه إلى المدعو وفى قلبه رجاء وأمل للاستجابة أما إذا يئس وانقطع رجاؤه فى المدعو فلن يستطيع أن يقومه بوعظ ولا دعوة ، وليس موعوظا أشر من فرعون مدعى الألوهية ، ومع ذلك ذهبا إليه على رجاء أن يتذكر أو يخشى .

---

(١) انظر القرطبى جـ ٦ صـ ٣٢ ، ٤٢ ط الشعب .

(٢) طه ٤٢ : ٤٦ .

(٣) البيضاوى مع تصرف شديد

٣- ذهاب موسى وهارون إلى فرعون وحوراهما معه :

بعد أن أصبح موسى على علم وبصيره بدعوته ، ذهب إلى فرعون حاملا إليه دعوة الحق ، مزودا بالأدلة والبراهين وشتى الوسائل المعينة له والتى منحها الله بسؤاله إياها ، فكان موسى عليه السلام واضحاً فى عرض دعوته بلا مداراة ولا مناورة ، فقال : ﴿ .. يافرعون إنى رسول رب العالمين . حقيق على ألا أقول على الله إلا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معى بنى إسرائيل ﴾ (١) .

ويقول تعالى فآتياه فقولا أنا رسولا ربك ، فأرسل معنا بنى إسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآيه من ربك والسلام على من أتبع الهدى (٢) ﴿ فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين . ان أرسل معنا بنى إسرائيل ﴾ (٣) فالدعوة هنا واضحة فقد وضحا فيها : أ- أن مرسلهما هو الله ولا يبلغان عنه سبحانه الا الحق .

ب- وأن عليه أن يترك بنى إسرائيل ليؤمنوا بالله يتحرروا من ذل استعباده لهم لأن الحقيق بالعبادة هو الله سبحانه لا غيره ، فكان موسى عليه السلام عارفا بهدف دعوته موضحا إياه من أول خطوة فى عرضها ، كما تضمنت الدعوة إيضا التوحيد فى قوله " إنى رسول من رب العالمين " وهى أن للعالمين جميعهم ربا واحدا كما تضمنت عقيدة الرسالة المؤيدة منه تعالى بالعصمة فى التبليغ ، وعلم من هذا أن موسى عليه السلام قد بلغ فرعون وملأه أصول الايمان الثلاثة : التوحيد والرسالة ، والبعث والجزاء ، ورتب على ذلك قوله إن أرسل معى بنى إسرائيل أى بإطلاقهم من أسرك وعتقهم من رق قهرك ليذهبوا معى إلى دار غير دارك ويعبدوا فيها ربى وربك ، فكان جواب فرعون على هذه الدعوة المتواصعة أن قال : ﴿ إن

---

(١) الاعراف ١٠٤ ، ١٠٥

(٢) طه ٤٧

(٣) الشعراء ١٦ ، ١٧

كنت جئت بآيه فأت بها أن كنت من الصادقين ﴾ (١) وكان هذا شكا من فرعون في مجيئه بالآيه ، ثم شك في صدقه فيما يخبر به عن الله تعالى "(٢) .

أ- الحوار في موضوع الدعوة : بعد أن دعا موسى فرعون إلى الإيمان بالله لم يستجب فرعون للدعوة وأخذ يجادله في دعوته ، وقد رد عليه السلام كل ماسأل عنه ، وفيما يلي حديث القرآن عن هذه المحاورات :

ففي سورة طه : ﴿ قال فمن ربكما ياموسى . قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى . قال فما بال القرون الأولى قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى . الذى جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من بنات شتى كلوا وارعوا أنعامكم إن في ذلك لآيات لأولى النهى . منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تاره أخرى . ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى ﴾(٣) .

وفي الشعراء ﴿ قال ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين . وفعلت فعلتك التى فعلت وأنت من الكافرين . قال فعلتها إذا وأنا من الظالمين ، ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما حكما وجعلني من المرسلين . وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بني إسرائيل . قال فرعون ومارب العالمين . قال رب السموات والأرض ومابينهما ان كنتم موقنين قال لمن حوله ألا تستمعون . قال ربكم ورب آبائكم الأولين . قال إن رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون . قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون . قال لئن اتخذت إلها غيري لأ جعلنك من المسجونين . قال

---

(١) الأعراف ١٠٦

(٢) أنظر دعوة الرسل إلى الله تعالى - محمد أحمد العدوى ص١٨٢

(٣) طه ٤٩ / ٥٦

أولو جئتك بشئ مبين . قال فأت به إن كنت من الصادقين﴾ (١) فنجد أن فرعون يسأل موسى عن ربه بقوله : فمن ربكما ياموسى ويقوله : ﴿ ومارب العالمين﴾ فيكون جوابه عن ذلك بمظاهر القدرة الإلهية فى الخلق والإبداع ، ﴿ قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى ﴾ أى أعطى خليقته كل شئ يحتاجون إليه ، وأعطى كل شئ صورته وشكله الذى يتوافق مع المنفعة المرجوة منه كإعطائه العين الشكل والهيئة التى تجعلها صالحة للإبصار وكذلك الأذن جعل هيئتها صالحة للسمع ... وفى عالم الحيوان نجد هذا له يدان ، وهذاله جناحان ، وذاك طويل اليد قصير الرجل ، والآخر طويل الرجل قصير اليد ... حسب طريقته فى الحياة التى يمارسها والبيئة التى يعيش فيها .. وهذا كله يدل على حكمة الخالق وقدرته فى خلقه وأن الكون لم يخلق عبثا أو مصادفة وإنما صنع حكيم عليم ، (ثم هدى) أى عرفه كيف يعيش وينتفع بما خلقه الله عليه .

وفى موضع آخر يسأله بقوله : " وما رب العالمين " فيكون جوابه : رب السموات والارض ومابينهما ومتبدعة ، فيلتفت فرعون إلى ملائه مظهرا العجب من إجابة موسى قائلا : ألا تستمعون ؟ لكن موسى عليه السلام يستمر فى الجواب قائلا : ربكم ورب آبائكم الأولين " أى حين لم يكن فرعون موجودا ولا معبودا ، ولكن فرعون يقول للملإ : إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون " لأنه جاءنا بشئ لا نعرفه ولا نقره ، وهذه طبيعة العتاه المتجبرين إذا لم توافق الدعوة أهواءهم اتهموا الداعى بالسفة أو الجنون وقلة العقل لكن موسى يكمل بيان دعوته ﴿ رب المشرق والمغرب ومابينهما إن كنتم تعقلون ﴾ فنلاحظ فى إجابة موسى فى المقامين أنه ركز على إبراز قدرة الله تعالى وأنه سبحانه الحقيق بالعبادة وحده ، فهو جلت قدرته : رب

---

(١) الشعراء ١٨ - ٣١

السموات والأرض ومابينهما أى خالق جميع ذلك ومالكه والمتصرف فيه وإلهه لا شريك له هو الذى خلق الأشياء كلها العالم العلوى ومافيه من الكواكب الثوابت والسيارات المثيرات ، والعالم السفلى ومافيه من بحار وقفار وجبال وأشجار وحيوانات ونبات وشار ومابين ذلك من الهواء والطير ومايحتوى عليه الجو ، والجميع عبيد له خاضعون ذليلون ، وهو سبحانه خالقهم وخالق آبائهم الذين كانوا قبل فرعون وزمانه ، وهو رب المشرق والمغرب ومابينهما ، فهو الذى جعل المشرق مشرقا ، والمغرب مغربا ، وإن كان هذا الذى يزعم الألوهية صادقا فى زعمه ودعواه فليعكس فيجعل المشرق مغربا ، والمغرب مشرقا كقول الله تعالى ﴿ فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب ﴾ فى محاجه خليل الرحمن للنمرود وأما سؤال فرعون " ومارب العالمين " فلأنه كان يدعى الألوهية ويقول لقومه " ماعلمت لكم من إله غيرى " وكانوا يجحدون الصانع جل وعلا معتقدين أنهم لا رب لهم سوى فرعون ، فلما قال موسى : إنى رسول رب العالمين ، قال فرعون ومن هذا الذى تزعم إنه رب العالمين غيرى ، هكذا فسره علماء السلف وأئمة الخلف حتى قال السدى هذه الاية كقوله تعالى : " قال فمن ربكما ياموسى . قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى " ومن زعم من أهل المنطق وغيرهم أن هذا سؤال عن الماهية فقط غلط فإنه لم يكن مقرا بالصانع حتى يسأل عن الماهية بل كان جاحدا بالكلية فيما يظهر ، وإن كانت الحجج والبراهين قد قامت عليه .. لذلك كان الجواب بمظاهر القدرة الإلهية ... " (١) .

يقول القرطبى : " استفهمه استفهاما عن مجهول من الأشياء . قال مكى وغيره كما يستفهم عن الأجناس فلذلك استفهم بـ (ما) قال مكى وغيره وقد ورد استفهام بمن

---

(١) تفسير ابن كثير جـ٣ صـ ٣٣٢ بتصرف خفيف

فى موضع آخر – فأتى موسى بالصفات الدالة على الله من مخلوقاته ... وقد سأل فرعون عن الجنس ولا جنس لله تعالى لأن الأجناس محدثة فعلم موسى جهله فأضرب عن سؤاله وأعلمه بعظيم قدره الله تعالى التى تبين للسامع أنه لا مشاركة لفرعون فيها "(١) وموسى عليه السلام بدأ دعوة فرعون بالملاينة والملاطفة ، متخذا أسلوب التذكير بنعم الله تعالى وفضله على خلقه ، ولفت الأنظار إلى مظاهر القدرة الإلهية وحكمته البالغة فى الخلق والإيجاد وتخصيص كل مخلوق بما يلائم حياته والمنفعة المطلوبة منه كقوله تعالى : ﴿ الذى جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أوزاجا من نبات شتى . كلوا وارعوا أنعامكم إن فى ذلك لآيات لأولى النهى ﴾ (٢) وهذا الإله القادر الذى تتمتعون بفضله ونعمه هو الحقيق بالعبادة دون ماسواه .

ب– الحوار فى شخص الداعى : لما عرض موسى دعوته على فرعون بأن يطلق سراح بنى إسرائيل ويحررهم من ذل عبوديته وذلك بقوله : ﴿ أن أرسل معنا بنى إسرائيل ﴾ (٣) أى أطلقهم وخل سبيلهم حتى يسيروا معنا ، وكان فرعون قد استعبدهم أربعمائة سنة وكانوا وقتئذ ستمائة وثلاثين ألفا ، أثار فرعون شبهة تتعلق بموسى عليه السلام فقال : ﴿ ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التى فعلت وأنت من الكافرين ﴾(٤) أى أنت الذى ربيناه فينا وفى بيتنا وعلى فراشنا وأنعمنا عليه مدة من السنين ثم بعد هذا قابلت ذلك الإحسان

---

(١) تفسير القرطبى جـ٧ صـ ٤٨١٤ – ط الشعب

(٢) سورة طه ٥٣ ، ٥٤

(٣) الشعراء ١٧

(٤) الشعراء ١٨ ، ١٩

بتلك الفعلة أن قتلت رجلا وجحدت نعمتنا عليك ، ولهذا قال " وأنت من الكافرين " أى الجاحدين ، يقول القرطبى " من الكافرين أى فى قتلك القبطى إذ هو نفس لا يحل قتله ، أو من الكافرين بنعمتى عليك فى التربية والإحسان إليك ، أو من الكافرين فى إنى إلهك ، قال السدى : أو من الكافرين بالله لأنك كنت معنا على ديننا هذا الذى تعيبه "(١) ولعل فرعون أثار هذه الشبهة حول شخص موسى ليثبط همته ، ويثنيه عن دعوته ، أو ليكون ذلك سببا لعدم الاستجابة له وسماع ماجاء به لسبق نعمته علية كما يدعى ، وهذا قد يصادف بعض الدعاة فى حياتهم العملية إذا جاءوا لإزالة مخالفة أو تغيير منكر أو تقويم سلوك فى بلد نشأوا فيه ، وقد لا يعجب ذلك بعض القوم فيقولون على سبيل التقليل من شأنه : أليس هذا هو ابن فلان وفلانة الذى كان يعمل أبوه أجيراً عند فلان - وكنا نعطف عليه ونساعده؟ أيتعالى علينا ولا تعجبه عادتنا ... الخ وهنا على الداعى أن يستمر فى دعوته ، ولا يخرج عن الأسلوب الحسن فى معاملتهم ويصبر عليهم حتى يمن الله عليه بتحقيق غايته والهدف من دعوته .

رد موسى عليه السلام على الشبه : ويحكى القرآن رد موسى عليه السلام :

﴿ قال فعلتها إذا وأنا من الضالين ﴾ أى قبل أن يوحى إلى وينعم الله على بالرسالة، ويروى ابن كثير عن ابن عباس : من الضالين أى الجاهلين "(٢) وقيل " من الضالين أى الخاطئين لأنه لم يتعمد قتله ، أو من الذاهلين عما يؤول إليه الوكز لأنه أراد التأديب ، أو من الناسين ، من قوله تعالى : ﴿ أن تضل أحداهما ﴾ والمراد

---

(١) القرطبى جـ٧ صـ ٤٨١١ ط الشعب

(٢) أنظر تفسير أمن كثير جـ٣ صـ٣٣٢

بالضلال النسيان [١] وهذا من القتل شبه العمد فإن الوكز لايقتل غالبا إلا أن الله أراد أن يقرن وكزة موسى بموت القبطى ليكون سببا فى خوفه وخروجه كما بينا من قبل .

وقوله فى الرد : ﴿ ففررت منكم لما حفتكم فوهب لى ربى حكما وجعلنى من المرسلين . وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بنى إسرائيل ﴾ [٢] بيان لفرعون بأن تربية موسى فى قصره فى الصغر لا تمنع أن يبعثه الله إليه ودعوته إلى الله تعالى . فلا مانع أن يختص الله من يشاء بالفضل ، ويقول له : إن تربيتى عندك فى الصغر لا تطعن فى رسالتى ، ودعوتى لك إلى الله تعالى ، وهل وجود فضل على فى الصغر يمنعنى من تبليغ رسالة الله اليك ؟ وأى صلة بين هذه وهذه ؟ وهل دعوتك إلى الله كفران لنعمتك على وانا صغير ؟ "[٣] ، ثم يكر موسى على امتنانه عليه بالتربية فأبطله من أصله واستأصله من جذره ، وأبى أن يسمى نعمته إلا نقمة حيث بين أن حقيقة إنعامه عليه تعبيده بنى إسرائيل ، لأن تعبيدهم وقصدهم بذبح أبنائهم هو السبب فى حصوله عنده وتربيته فكأنه امتن عليه بتعبيد قومه إذا حققت . وتعبيدهم تذليلهم واتخاذهم عبيداً .. " [٤] فهو قد رباه وليدا ولكنه استعبد غيره ولذلك فأنها ليست بنعمة لأن الواجب كان ألا تقتلهم ولا تستعبدهم فإنهم قومى ، وقيل فيه تقدير إستفهام : أو تلك نعمة ... ؟ " [٥] يقول العدوى : وقد كان موسى فى هذه المحاجة شديد الذكاء حاضر البديهة ، لم يلبث فرعون أن يذكره بنعمة

---

(١) تفسير البيضاوى جـ٢ صـ ١٥٢

(٢) الشعراء ٢١ ، ٢٢

(٣) انظر دعوة الرسل إلى الله تعالى - العدوى - صـ ٢٥٦

(٤) انظر تفسير الكشاف جـ٣ صـ ١٠٩

(٥) تفسير القرطبى جـ٧ صـ٤٨١٢

التربية حتى عقبها موسى بنقمة التعبيد لنبى إسرائيل ، وحينما قال له : أتذكر نعمة التربية يرد عليه بقوله : أتذكر سبب هذه النعمة والظروف المحيطة بها وهل سلمت لك هذه المنة وحسبت لك فضلا ؟ مع أنك لم تقصد إليها وإنما قصدت إلى الشر فكان الخير "(١) وهذه اللون من الفطنة والذكاء مايجب أن يتحلى به الدعاه ويتصفون به حيث يستطيعون تقدير المواقف تقديراً سليما يخدم دعواتهم .

جـ - البراهين فى مواجهة التمادى فى الطغيان :بعد أن أجاب موسى كل معارضات فرعون ، وبين له صفات ربه الذى يدعو إليه ومظاهر قدرته فى الخلق والإبداع ، كان الأمر الطبيعى أن يرتدع فرعون ويعود إلى صوابه ويطلق سراح بنى إسرائيل من ذل عبوديته ليعبدوا جميعاً الله رب العالمين ، لكن الكبر والغرور حالا بينة وبين الإذعان ، ويصر على موقفه المتجبر الطاغى فيقول مهددا موسى وهارون عليهما السلام :﴿ قال لئن اتخذت إلها غيرى لأجعلنك من المسجونين . قال أولو جئتك بشئ مبين . قال فأت به إن كنت من الصادقين. فألقى عصاه فإذا هى ثعبان مبين . ونزع يده فإذا هى بيضاء للناظرين . قال للملأ حوله إن هــــذا لساحــر عليم ...﴾(٢) ويؤكد فرعون ألوهيتة المزعومة فيتوجه بالحديث إلى ملائه وحاشيته قائلا : ﴿ ... يأيها الملأ ماعلمت لكم من إله غيرى فأوقد لى ياهامان على الطين فاجعل لى صرحا لعلى أطلع إلى إله موسى وإنى لأظنه من الكاذبين ﴾(٣) فنجد فرعون يعدل عن المحاجة بعد أن انقطع إلى التهديد بالسجن وهذا ديدن المعاندين المحجوجين ، إذا عجزوا عن مقارعة الحجة بمثلها لجأوا إلى القوة والبطش وهذا

---

(١) دعوة الرسل إلى الله - العدوى - صـ ٢٥٦

(٢) الشعراء ٢٩ : ٣٤

(٣) القصص ٣٨

أقوى دليل على ضعف دعواهم وبطلانها ، إذ لو كان مايزعمون صحيحاً لا ستطاعوا إثبات ذلك بالعقل والحجة " (١) وهذا أيضا أسلوب خبيث فى تهديد القوم وحملهم على بقائهم على ماهم عليه ، وكأنه يقول لهم : ها أنذا أهدد ذلك الرسول بالسجن إذا هو اتخذ إلها غيرى ، ولابد له من أن يدع ذلك الإله الذى يدعوكم إليه ، ويتخذنى إلها ، وإذا كان موسى منهيا عن اتخاذ إله غير فرعون فكيف ببنى إسرائيل (٢) ويتمادى فرعون فى طغيانه وأمر هامان ببناء صرح له ليطلع على إله موسى ليصفى حساباته معه ، فيوجه فرعون كلامه إلى القوم متجاهلا الإله الذى يدعو إليه موسى وأنه سيتخذ الوسيلة للصعود إليه ، ولعله فهم من قول موسى : رب السماء والأرض ، أنه موجود فى السماء لأن العظيم القادر على العلو لا ينزل إلى أسفل ، وأوهم القوم أن الصعود إلى السماء أمر تناله قدرته وأمر هامان أن يطبخ له الآجر ويبنى له صرحا يأخذ فى السماء صعدا حتى ينالها ويطلع إلى إله موسى ، ثم أردف أن موسى كاذب فى أن له إلها سوى فرعون (٣) .

ويروى : "أن الله بعث جبريل عليه السلام عند غروب الشمس فضرب الصرح بجناحه فقطعه ثلاث قطع وقعت قطعة على عسكر فرعون فقتلت ألف ألف رجل ، ووقعت قطعة فى البحر ، وقطعة فى المغرب ولم يبق أحد من عمالة إلا قد هلك ويروى إيضا فى هذه القصة أن فرعون ارتقى فرمى بنشابة نحو السماء وأراد الله أن يفتنهم فردت إليه وهى ملطوخة بالدم فقال قد قتلت إله موسى ، فعندها بعث

---

(١) أنظر البيضاوى جـ٢

(٢) أنظر دعوة الرسل - العدوى - صـ٢٥٧

(٣) أنظر قصص الانبياء - عبد الوهاب النجار - صـ ٢٢٠

الله جبريل لهدمه" (١) ويعلق صاحب الكشاف على القصة بقوله : " والله أعلم بصحته" ويرويها القرطبي ويعلق نفس التعليق ، والقصة عموما تبين لنا مدى الغرور والكبر في نفس فرعون . على فرض صحتها - إلا أن القرآن سجل لنا بما لا يقبل الشك مدى حالة الطغيان والعتو والفساد التي كان عليها فرعون وملاؤه .

ولما تطور الحوار بين موسى وفرعون حتى وصل إلى هذه الدرجة قال له موسى: ﴿ أولو جئتك بشئ مبين ﴾ أي أتصر على موقفك هذا من دعوتي ولو جئتك بشيء يبين لك صدقي ، وأني مرسل إليك من الله رب العالمين ؟ ، ويرد فرعون على موسى قائلا : ﴿ فأت به إن كنت من الصادقين ﴾ أي إن كان معك شئ مبين فأت به وأظهره لي ، ويشتم من جواب فرعون أنه كان شاكا في أن موسى معه دليل وبرهان ومعجزة تبين صدقه حيث قال ﴿... إن كنت من الصادقين ﴾ في أن معك برهانا ، أو من الصادقين في دعوتك لي فإن مدعي النبوة لابد له من حجة ، وهنا يعرض عليه موسى عليه السلام معجزتي العصا واليد وظاهر الآيات أن كليم الله عليه السلام عرض معجزتيه مرتين : عرضها عرضا خاصا أمام فرعون وملائه ، وعرضا عاما أمام جميع الناس في مواجهة السحرة وكان التحدي الأعظم الذي كان تأييدا لموسى ونصراً له .

العرض الخاص للمعجزة ونتيجة : بعد أن طلب فرعون من موسى أن يأتيه بما يؤيده ويبين صدقه ... ﴿ فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين . ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين ﴾ (٢) فتحولت العصا بقدرة الله إلى ثعبان حقيقي لا شك في ثعبانيته يتحرك ويسعى ، ووضع يده في جيبه ثم نزعها فإذا هي بيضاء للناظرين بلا مرض ولا برص ... ولكن مع هذه البراهين يتمادى فرعون في تكذيب موسى عليه السلام

---

(١) أنظر تفسير الكشاف جـ٣ صـ ١٠٩ ، وتفسير القرطبي جـ٧ صـ ٥٠٠٤

(٢) الشعراء : ٣٢ - ٣٣

فيما جاء به .... ويقص علينا القرآن نتيجة هذا العرض ، بقوله : ﴿ قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك ياموسى . فلنأتيك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا أنت مكانا سوى . قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى ﴾ (١) ويقول تعالى : ﴿ قال للملأ حوله إن هذا لساحر عليم . يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحرة فماذا تأمرون . قالوا أرجه وأخاه وأبعث فى المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم . فجمع السحرة لميقات يوم معلوم . وقيل للناس هل أنتم مجتمعون لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين ﴾ (٢) إذا أسفر هذا العرض عن : تمادى فرعون وإمعانه فى تكذيب موسى واتهامه بالسحر ، وتحديد عرض عام ومواجهة التحدى الكبرى مع علماء السحر فى حضور الشعب ، وقد حدد موسى يوم الزينة ووقت الضحى من يوم الزينة حيث النور والضياء والوضوح الذى لا يتطرق معه شك فى رؤية المعجزات والبراهين .

٤- **المباراة الكبرى مع السحرة ونتائجها** : لما تم الاتفاق على موعد العرض العام والتحدى الكبير بين موسى وفرعون من ناحية ، وبينه وبين السحرة الذين دعاهم فرعون من ناحية أخرى كان الموعد يوم الزينة وكان يوم عيد من أعيادهم ومجتمعاً لهم ، وقيل يوم النيروز ، وأن يجتمع الناس (ضحى) هذا اليوم - أى من أول النهار فى وقت اشتداد ضياء الشمس فيكون الحق أظهر وأجلى ، ولم يطلب أن يكون ذلك ليلاً فى ظلام كيما يروج عليهم محالاً وباطلاً ، بل طلب أن يكون ذلك جهاراً نهاراً لأنه على بصيرة من ربه .. (٣) وفى الوقت المحدد اجتمع الناس وحضر السحرة

---

(١) طه ٥٧ - ٥٩

(٢) الشعراء ٣٤ - ٤١

(٣) انظر قصص الأنبياء - لابن كثير صـ ٣٢٤ - جـ١ دار عمر بن الخطاب للطباعة والنشر الاسكندرية .

العالمون بالسحر، وقالوا لفرعون ﴿ إن لنا لأجر إن كنا نحن الغالبين .قال نعم وإنكم لمن المقربين﴾(١) طلبوا الأجر من فرعون إن هم غلبوا موسى فأجا بهم إلى ما طلبوا وزاد عليه أن لهم مع ذلك الأجر المادى أجر أدبياً هو أن يكونوا من المقربين إليه فيجتمع لهم المال والجاه ، فهذا اغراء بالمال والمنصب ، وفيه دلاله على انتشار السخرة أى العمل بلا أجر.

موسى يدعو السحرة ويعظهم قبل المباراه :

ومع أن السحرة خصوم موسى لم ييأس من هدايتهم فوعظهم وحذرهم من مؤازرة الباطل وأهله فيقول لهم : ﴿ ويلكم لاتفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى ﴾ (٢) فلا تدعوا آياته ومعجزاته سحراً لأنكم إن فعلتم ذلك أهلككم الله بعذاب وخبتم فى حياتكم لأن هذه عاقبة المفترى ، وهو ظرف ينفع فيه الوعظ ويفيد فيه التذكير، ومع أنهم خصومه لم ييأس من ضمهم إليه .. (٣) وقوله تعالى ﴿ فتتنازعوا أمرهم بينهم ﴾ قيل فى معناه : إنهم اختلفوا فيما بينهم ، فقائل يقول : هذا كلام نبى وليس بساحر، وقائل منهم يقول : بل هو ساحر.. (٤) ، ثم يتوجهون إلى موسى بالسؤال من باب الأدب : ﴿ قالوا يا موسى إما أن تلقى وإما أن نكون أول من القى ﴾ فرد عليهم موسى : ﴿ بل ألقوا ﴾ مقابلة أدب بأدب وعدم مبالاه بسحرهم وإسعافا إلى ما أوهموا من الميل إلى البدء بذكر الأول فى شقهم .. ولأن يبرزوا أمامهم ويستنفذوا أقصى ما فى وسعهم ثم يظهر الله سلطانه فيقذف

---

(١) الإعراف (١١٣، ١١٤) .

(٢) طه (٦١) .

(٣) دعوة الرسل إلى الله تعالى – صـ ٢٤٦ .

(٤) قصص الأنبياء – ابن كثير.

بالحق على الباطل فيدمغه [١] وفى ذلك إشارة إلى أن الداعى عليه أن يعرف ما عند خصمه أولاً من شبهات على دعوته ، وما لديه من حجج ليرد عليها وفى حالة المجادلة على الداعى أن يسمع جميع ما عند الطرف الآخر ليكون الرد أشمل وأبلغ وقد لايتاح الكلام للداعى الا مرة واحدة ، فليقدم خصمه ليسمع منه ولتكون كلمته هى الكلمة الأخيرة والحاسمة فى موضوع الجدل ولذا قدم موسى عليه السلام السحرة عليه فألقوا ما معهم من سحر وكان عددهم كبيراً ، فقيل :إنهم كانوا ثمانين ألفا ، وقيل : كانوا سبعين ألفا وقيل بضعة وثلاثين ألفا ، وقيل تسعة عشر ألفا وقيل خمسة عشر ألفا وقيل اثنى عشر الفا [٢] وأيا كان العدد واخذنا الأقل من الأعداد المروية فموس بعصاه ومعجزته ، فى مواجهة اثنى عشر الفا من العصى والحبال التى يخيل لرائيها انها تسعى ، ويشعر موسى بالخوف لما رآه من هول الموقف وكثرة الثعابين ، وابتهاج فرعون بما رأى واليقين أن موسى مهزوم لامحالة ، واعتقد أنه غلبه بالسحر لكن الله تعالى يطمئن رسوله وكليمة ﴿ لاتخف إنك أنت الأعلى . وألق ما فى يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولايفلح الساحر حيث أتى ﴾[٣] وألقى موسى عصاه : ﴿ فإذا هى تلقف ما يأ فكون . فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون . فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين ﴾[٤] وعند تأمل الآيات نجد أن الله تعالى عبر عن عصى السحرة وحبالهم بأن سعيها متخيل من الرائين وليس سعياً حقيقياً عندما يقول تعالى : ﴿ قال بل ألقوا فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه

---

(١) تفسير البيضاوى جـ ٢ .

(٢) انظر قصص الأنبياء - ابن كثر صـ ٣٢٥ .

(٣) طه (٦٨ ، ٦٩) .

(٤) الإعراف من اية (١١٧ : ١١٩) .

من سحرهم أنها تسعى ﴾ (١) أى ظنها موسى أنها تتحرك وذلك أنهم لطخوها بالزئبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت فخيل إليه أنها تسعى وتتحرك ، يقول الكلبى : خيل لموسى أن الأرض حيات وأنها تسعى على بطنها (٢) ، وأما عصا موسى فهى متحركة بما وضع الله فيها من حياة وحركة ، فحركتها وسعيها حقيقة وليس خيالاً ولا وهماً ، وابتلاعها سحر السحرة حقيقة لاوهماً ، فإن الخيال وهم لايتعدى عقل المتخيل ، وفى المعجم الوسيط : "خيل إليه أنه كذا أى لبس وشبه ووجه إليه الوهم . وفى التنزيل : يخيل إليه من سحرهم انها تسعى" (٣) والسحر قد وقع على عيون الرائين ولم يحول الحبال والعصى حيات وثعابين تسعى ، ويقول تعالى : ﴿ قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم﴾ (٤) قيل : إن المراد أنهم أوقعوا فى خيال الناس أن لذلك السحر حقيقة فى الخارج مع أنه لم يكن إلا مجرد صنعة وخيال ، وقيل : إنها كانت عصيا مجوفه قد ملئت زئبقاً ، وكذلك كانت معمولة من جلد محشوة زئبقاً ، وقيل : ويحتمل أن يكون ذلك بحيله اخرى كإطلاق أبخرة أثرت فى الأعين فجعلتها تبصر ذلك (٥) وأيا ما قيل فالفرق بين المشهدين هو الفرق بين الحقيقة والخيال ، وبين الحق والباطل وبين المعجزة والبرهان والسحر والدجل .

---

(١) طه (٦٦) .

(٢) انظر البيضاوى جـ ٢ ، وتفسير القرطبى جـ ٦ صـ ٤٢٦٢ .

(٣) المعجم الوسيط جـ ١ صـ ٢٦٦ .

(٤) الإعراف (١١٦) .

(٥) انظر دعوة الرسل إلى تعالى - العدوى - صـ ١٨٤ .

انقلاب الحال فى هدف المباراة :

استعان فرعون بالسحرة للتغلب على موسى وهزيمته وتكذيبه فى دعوى النبوة والرسالة ، واستعان موسى بربه وخالقه الذى أرسله بالحق والبرهان ، هل ستكون الغلبه للمخلوق الضعيف ، أو للخالق القوى القادر ؟! إن من يتوكل على الله يكفه "أليس الله بكاف عبده" ؟ بلى . تمت المباراة واعتقد فرعون أول الأمر عندما رأى كثرة سحر السحرة أن موسى مهزوم لامحاله وابتهج لذلك وفرح لكن بهجتة لم تدم طويلاً فقد التقفتها عصا موسى كما التقفت عصى السحرة وحبالهم ، وشعر بخيبة الأمل تغزو قلبه وتطرد الفرحة المزيفة ، فمجرد أن رأى السحرة ما حدث أيقنوا أن موسى ليس ساحراً وإلا غلبوه بسحرهم ، فعلموا أن عصاه التى تحولت تحولاً حقيقياً معجزة من الله فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون ، ويتحدث القرآن عن موقفهم من موسى ودعوته فيقول : ﴿ وألقى السحرة ساجدين . قالوا آمنا برب العالمين . رب موسى وهارون ﴾ (١) ويقول ﴿ فألقى السحرة سجدا قالوا آمنا برب هارون وموسى ﴾ (٢) وقال : ﴿ فألقى السحرة ساجدين . قالوا أمنا برب العالمين . رب موسى وهارون ﴾ (٣) ولما رأى السحرة ما كان من أمر عصا موسى التى ابتلعت عصيهم وحبالهم أيقنوا أن ذلك آية من آيات الله ومعجزة من معجزاته فألقاهم ذلك على وجوههم سجدا لله توبة عما صنعوا وإعتابا وتعظيماً لما رأوا (٤) وأصبحوا مؤمنين بموسى وهارون وما جاءا به من الله رب العالمين الذى أرسلهما بالتوحيد والعبادة والعقيدة الحقة ليحرر بنى اسرائيل من ذل عبوديتهم لفرعون .

---

(١) الإعراف (١٢٠ : ١٢٢) .

(٢) طه (٧٠) .

(٣) الشعراء (٤٦ : ٤٨) .

(٤) تفسير البيضاوى جـ ٢ صـ ٥٢ .

ولما خاب هدف فرعون من المباراة وجمع الناس لذلك اختل توازنه وخرج على هدوئه فيسرف فى الاتهامات والتهديدات فتارة يقول : ﴿ إن هذا لمكر مكرتموه فى المدينة لتخرجوا منها أهلها ﴾ (١) وتارة أخرى يقول : ﴿ إنه لكبيركم الذى علمكم السحر ﴾ (٢) وقبل ذلك يصدر كلامه بمغالطة : ﴿ آمنتم له قبل آذن لكم ﴾ والمراد آمنتم له وربه قبل أن آذن لكم ، وهذا إنكار عليهم أى تعديتم وفعلتم ما أمركم به (٣) وفى هذا مغالطة واضحة فإذا كان موسى كبير السحرة فلماذا دعاهم فرعون ووعدهم بالأجر والقربى ولماذا لم يعرف ذلك مسبقاً مع أنه يدعى الألوهية ؟ وأبرز مغالطة وهى إنكاره عليهم لايمانهم بموسى قبل أن يحصلوا على إذن منه ، فهل كان سيأذن لهم إن طلبوا ذلك ؟ والجواب بالنفى طبعاً ، والا فلماذا توعدهم بالعذاب والويل ؟ .

ويحكى القرآن تهديداته الشديدة التى رتبها على إيمانهم بموسى عليه السلام : ﴿لأ قطعن أيدكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم أجمعين ﴾ (٤) ويقول : ﴿فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم فى جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذاباً وأبقى ﴾ (٥) ففرعون بهذا يتوعدهم بالتعذيب بتقطيع الأيدى والأرجل من خلاف وتصليبهم فى جذوع النخل إمعانا فى تعذيبهم والتنكيل بهم وهذه عودة إلى منطق القوة الغاشمة الذى يلجأ إليه المتجبرون عند فشلهم فى منطق العقل

---

(١) الإعراف من أية (١٢٣) .

(٢) طه من آية (٧١) .

(٣) انظر تفسير القرطبى جـ ٦ صـ ٤٢٦٤ .

(٤) الإعراف (١٢٤) .

(٥) طه من آية (٧١) .

والإقناع فالزج بالأبرياء فى السجون وتعذيبهم أسهل لدى العاجزين عن الحوار والإقناع من إيراد الأدلة وإقامة البراهين .

الإيمان فى مواجهة الطغيان :

أعلن السحرة إيمانهم برب العالمين رب موسى وهارون لعلمهم اليقينى بصدق موسى فى دعوى النبوة والرسالة ، وتمكن الإيمان من قلوبهم ، وتوعدهم فرعون بألوان العذاب والتنكيل بهم ليرجعوا عن موقفهم الإيمانى المؤيد لموسى وهارون صاروا مع موسى مؤيدين وقد جاءوا له معارضين ، وصاروا لفرعون خاذلين ، وقد جاءوا له مؤيدين مناصرين فانعكست الآية وانقلبت الموازين ، ولما هددهم وتوعدهم ردوا عليه رد المؤمن الواثق فى وعد ربه غير المبالى بما سيتعرض له من غضب الخلق ما دام قد نال رضا الخالق ، وبين القرآن ذلك : ﴿ قالوا إنا إلى ربنا منقلبون . وما تنقم منا إلا أن آمنا بأيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين﴾ (١) ويقول : ﴿ قالوا لاضير إنا إلى ربنا منقلبون . إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين ﴾ (٢) بل إنهم يعلنون صراحة عدم تأثرهم بتهديدات فرعون ، فعندما يقول لهم : ﴿ ولتعلمن أينا أشد عذاباً وأبقى ﴾ يردون عليه : ﴿ قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذى فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضى هذه الحياة الدنيا . إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى ﴾ (٣) فأى قوة تلك التى دبت فى قلوبهم

---

(١) الإعراف (١٢٥ - ١٢٦) .

(٢) الشعراء (٥٠ - ٥١) .

(٣) طه من أية ٧١ وأيه (٧٢ ، ٧٣) .

بإيمانهم؟ إنها قوة الإيمان التى تسمو بها النفس وتعلو الهمة حتى تصغر أمامها كل المصاعب .

يردون : لن تختارك على ماجاءنا به موسى من البينات والمعجزات الواضحات والذى فطرنا وخلقنا هو الحقيق بعبادتنا ، فاقض ماأنت قاضيه واحكم بما تريد فأنت تصنع ماتهواه وماتحبه فى الدنيا ، والآخره خير وأبقى لنا ، إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا من الكفر والمعاصى وماأكرهتنا عليه من السحر ومعارضة المعجزة والله خير ثوابا وأبقى عقاباً .(١)

ولو تأملنا موقف مباراه السحرة مع موسى عليه السلام لتبين لنا وعد الله تعالى : ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياه الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ﴾ (٢) وكذلك ينصر الله كل داع مخلص فى دعوته إلى يوم القيامة .

أ- فعندما عرض موسى معجزتى العصا واليد على فرعون أول الأمر اتهمه بالسحر واستشار ملأه فأشاروا عليه بأن يرجئه ويرسل فى طلب السحرة العلماء ليغلبوا موسى وينصروا فرعون ، وأرسل من ينادى فى البلاد ليجمع السحرة من كل مكان ، ودعا الناس ليشاهدوا المباراه وحضر جمع غفير ماكان موسى ليتوقع حضورهم وليعرفهم بدعوته ، لكن الله قبض فرعون بصلابة رأيه وإصراراه على كبره فبذل كل طاقاته وجند جميع إمكاناته ليحشر الناس ضحى يوم الزينة ، فوفر على موسى جهداً كبيراً فى تبليغ الدعوة ، فنفع فرعون الدعوة من حيث أراد ضرها .

ب- حضور السحرة العلماء إلى ساحة المباراه بعصيهم وحبالهم وإلقاؤهم مامعهم ثم تلقف عصا موسى كل ما صنعوا من كيد السحرة من الحبال والعصى ، وإصابتهم بالهزيمة المنكرة أمام الجمع الغفير من الناس كان نصرا عزيزاً لموسى

---

(١) انظر تفسير البيضاوى جـ٢

(٢) سورة غافر ٥١

علية السلام وإعلاء لدعوته أمام كل الحاضرين من سحرة وشهود ، مما جعل قبول دعوته أمراً ميسوراً وهذه إعانة له فى التبليغ .

جـ- بعد أن تبين للسحرة أن موسى عليه السلام ليس ساحراً وأنه نبى مرسل من عند الله وقد أيده بالمعجزات ، لم يكن موقفهم سلبياً فانسحبوا من أمامه يجرون أذيال الخزى والهزيمة ، وإنما كان موقفهم إيجابياً فخروا سجداً مقرين بإيمانهم به وتصديقهم له فى كل مادعا إليه ، بل ويعلنون تمردهم على فرعون رغم جبروته وقدرته على تنفيذ ماتوعد به ويستهينون بكل تهديداته .. وهم بهذا يتحولون من مناصرين لفرعون إلى مناصرين لموسى عليه السلام مؤيدين له ، فهزم فرعون من حيث توقع النصرة ، وازداد موسى إيمانا بوعد الله له ﴿ لا تخف إنك أنت الأعلى ﴾ وهذا شأن دعوات الحق والخير يحققها الله بتأييده وتهيئة الأسباب لنصرها وعلو أمرها ، وظهور شأنها .

الملأ يحرضون فرعون على موسى ومن آمن معه : بعد هذا الموقف الإيجابى من السحرة وإعلانهم الإيمان بالله واتباع موسى وهارون عليهما السلام ، لجأ الملأ من قوم فرعون إلى تأليب فرعون على موسى وشيعتة فقالوا لفرعون : أتترك موسى وقومه ؟ وهم الذين تبعوا السحرة فى الإيمان ليفسدوا فى الأرض وليتركك وآلهتك كالشئ المهمل فيظهر للمصريين عجزك ، يستفزون بذلك الأسلوب فرعون المستبد ليحول بين بنى إسرائيل وبين موسى إما بحبسه وإما بقتله ، وهم يقلبون الحقائق فى قولهم ﴿ليفسدوا فى الأرض ﴾ حيث يعدون دعوة موسى إلى التوحيد وإنقاذ الناس من ظلم فرعون وبطشه إفسادا فى الأرض وبالتإلى يعدون ماهم عليه من باطل وفساد إصلاحاً وهذا ديدين الممالئين للظالم يرضون شهوته لانتفاعهم

بسلطانه وظلمه واستبداده يسمون الإصلاح فسادا ، والدعوة إلى الحق تهريجاً. (١)
ويحكى لنا القرآن ذلك فيقول : ﴿ وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الأرض ويذرك وآلهتك ، قال سنقتل أبناءهم ونستحى نساءهم وإنا فوقهم قاهرون . قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ﴾ (٢) فكأن فرعون يريد إنه سيحول بين موسى وبين الشعب من طريق إبادته ، وذلك بأن يقتل أبناء المؤمنين ويستبقى نساءهم وأنه كان يفعل ذلك من قبل ويبين أن ذلك ميسور له وسهل عليه لأنه فوقهم بالسلطان والنفوذ مستعل عليهم بالغلبة فلا يستطيعون إفساداً فى الأرض ولا إخراج بنى إسرائيل من تعبيد فرعون ، ويقول ابن كثير : الظاهر أن فرعون صلب السحرة وعذبهم ، وقال ابن عباس : كانوا من أول النهار سحرة ، فصاروا من آخره شهداء بررة . (٣)

٥- <u>خروج موسى بقومه ومطاردة فرعون لهم</u> : لما توعد فرعون موسى بالقتل وتقتيل أبناء من آمن به واستحياء نسائهم أوحى الله إلى موسى أن يخرج بهم ليلاً ليخلصهم من بطش فرعون معلما إياهم أنهم متبعون ، ويقول تعالى : ﴿ وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادى إنكم متبعون ﴾ وكان ذلك بعد سنين أقامها بين أظهرهم يدعوهم إلى الحق ويظهر لهم الآيات فلم يزدهم إلا عتوا وفساداً ، وقوله : (إنكم متبعون) أى يتبعكم فرعون وجنوده وهو علة الأمر بالإسراء ، أى أسر بهم حتى إذا اتبعوكم مصبحين كان لكم تقدم عليهم بحيث لا يدركونكم قبل وصولكم إلى البحر بل يكونون على أثركم حين تلجون إلى البحر فيدخلون مدخلكم فأطبقه

---

(١) أنظر دعوة الرسل - صـ ١٨٩

(٢) الاعراف ١٢٧ ، ١٢٨

(٣) انظر قصص الانبياء - ابن كثير صـ ٣٣١

عليهم فأغرقهم (١) ونفذ موسى ماأمره به ربه فخرج بقومه ليلاً فلما عرف فرعون بسراهم ﴿ فأرسل فرعون فى المدائن حاشرين . إن هؤلاء لشرذمة قليلون . وإنهم لنا لغائظون وإنا لجميع حاذرون ﴾(٢) أرسل جندة وعساكره ليتبعوهم ويبحثوا ، قائلاً لقومه : إن هؤلاء لشرذمة قليلون - يدعى أنهم قلة مع أنهم كانوا ستمائة وسبعين ألفا ، والشرذمة هى الطائفة القليلة ، وإنهم يفعلون مايغيظنا ، وعلينا جميعاً الحذر واستعمال الحزم فى الأمور ، والتيقظ فى شأنهم لفرط عداوتهم واستصرخ فرعون قومه واستغاث عشيرته وبعث فى مدائن ملكه من يحشرون الناس إليه ويجمعونهم حوله ليكونوا تحت أمره قائلين فى دعوتهم : ﴿إن هؤلاء لشرذمة قليلون﴾ يريدون حزب موسى الذى آمن به بقية السحرة ، وإنهم مع قلتهم لغائظون لنا ، وإننا جميعاً لحذرون من ظفرهم بنا ، وانتصارهم علينا " (٣) إن ماحدث لفرعون بإيمان السحرة بموسى كان أمراً عظيماً فقد كان مدعاه لافتضاح أمره لأنهم كانوا علماء لهم قيمتهم وكان لإيمانهم ضجة كبرى ، هذا إضافة إلى خروج موسى بقومه وإرساله جندة يبحثون عنهم ويعلن إنهم يغيظونه ، وإنه مع قومه حذرون من إنتصارهم عليهم وكل هذه مخاوف وانفعالات تنم عن ضعف داخلى وشعور بالعجز فأين هيلمان الآلوهية وادعاء الربوبية ؟ مع قلة قوم موسى ، وكثرة ماعند فرعون من الجند والملك الذى تباهى به ﴿ أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون ﴾ (٤) يعنى إنهار النيل ومعظمها أربعة أنهر : نهر الملك ، ونهر طولون ، ونهر دمياط ، ونهر تنيس تجرى من تحت قصرى أو أمرى أو

---

(١) تفسير البيضاوى جـ٢ صـ ١٥٥

(٢) الشعراء ٥٣ : ٥٦

(٣) انظر البيضاوى جـ٢ ، ودعوة الرسل إلى الله صـ ٢٧٨

(٤) الزخرف ٥١

بعد يدى فى جناتى (١) أين كل هذا مع فرار شرذمة قليلة من ظلمه ؟ لقد تجلت أمامنا حقيقة هامة على الدعاه أن يعوها تماماً وهى ان ماقاله فرعون من كلمات تدل على مخاوفه وعجزه تمثل سلطان الحق على الباطل ، كما تدل على أن أنصار الحق على قلتهم قذى فى أعين حزب الشيطان وشجى فى حلوقهم لا يهدأ لهم بال مع وجودهم ، ولا يستريح لهم ضمير مادموا فيهم ، وهى آيه كبرى من آيات الله فى الحق والباطل ستبقى ببقاء السنين .. "(٢).

انتصار الحق زوال الباطل : خرج فرعون وجنوده لمطاردة موسى ومن آمن معه للفتك بهم والقضاء عليهم ولكن الله تعالى يأبى إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ، وترسم لنا آيات القرآن بأسلوب إخاذ قصة هذه المطاردة ، فيقول تعالى : ﴿فأتبعوهم مشرقين . فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون قال كلا إن معى ربى سيهدين . فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم . وأزلفنا ثم الآخرين وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخرين إن فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين . وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾ (٣) فقد خرج فرعون وجنده عند شروق الشمس لحرصهم على إدراك موسى وقومه إلى أن وصلوا إليهم وقاربوهم وتراءى الجمعان أى جمع موسى وجمع فرعون وقال أصحاب موسى إنا لمدركون أى سيدركنا فرعون وجنده لكن موسى الواثق فى وعد ربه يرد قائلاً : كلا أن معى ربى سيهدين إلى سبيل النجاة من هؤلاء العتاه لأنه هو الذى أمرنى بالهجرة ، وأوحى الله إلى موسى أن يضرب

---

(١) انظر تفسير البيضاوى جـ٢ صـ ٣٧٤ ودعوة الرل صـ ٢٧٨

(٢) دعوة الرسل إلى الله - العدوى صـ٢٥٨

(٣)) الشعراء ٦٠ : ٦٨

بعصاه البحر فضربه موسى فانفلق البحر فكان كل فرق كالجبل العظيم فى علوة ، وقرب الله الآخرين وهم قوم فرعون من بنى إسرائيل وضمهم إلى بعضهم حتى لا ينجو منهم أحد ، وأنجى الله موسى ومن معه أجمعين ثم أغرق الآخرين من فرعون وجنوده (١) وروى ابن كثير أن فرعون لما غرق وجعلت الأمواج تخفضه تاره وترفعه تاره أخرى كان بنو إسرائيل ينظرون إليه وإلى جنوده ماذا أحل الله به وبهم من اليأس العظيم والخطب الجسيم ليكون أقر لأعين بنى إسرائيل وأشفى لنفوسهم ، فلما عاين فرعون الهلكة وأحيط به وباشر سكرات الموت أناب حينئذ وتاب وآمن حين لا ينفع نفسا إيمانها . (٢)

إيمان فى غير وقته وتوبه مردودة : لما وصل فرعون إلى هذه المرحلة وأدرك أنه هالك لا محالة وأن جنده وملكه لا نفع لهم ، أعلن إيمانه بالذى آمن به بنو اسرائيل ونجوا بسبب إيمانهم به واتباعهم رسوله موسى عليه السلام .

ويقول تعالى : ﴿ وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنوا إسرائيل وأنا من المسلمين . آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آيه كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون ﴾ (٣) ويبين الله تعالى فى هذه الآيات أن فرعون وجنده لم يخرجوا وتابعوهم من أجل المصالحة على البقاء ويضعوا حلاً لهذه الخصومة الجائرة وإنما تابعوهم للبغى والعدوان ، وعندما غرق الباغى عرف أن هناك قوة فوق قوته وجبروتا يتضاءل معه جبروته ، وهناك وقد أحاطت به أسباب الهلاك ومقدمات الموت يؤمن بالإله الذى آمنت به بنو

---

(١) دعوة الرسل - صـ٢٥٩

(٢) قصص الانبياء - ابن كثير صـ ٣٥٥

(٣) يونس ٩٠ - ٩٢

إسرائيل ويؤكد ذلك الإيمان بقوله ﴿ وأنا من المسلمين ﴾ فيرد الله عليه بقوله : آلان؟ أى تؤمن الساعة فى وقت الاضطرار حين الجمك الغرق وأيست من الحياه ؟ فينكر الله عليه الإيمان القهرى ويريه أنه لا قيمة له وتلك أسبابه ، إنما الإيمان الذى ينفع صاحبه هو الإيمان الذى صدر من صاحبه وهو مختار طامع فى الحياه آمل فيها.(١) فهو قد آمن طلبا للنجاة فقط وليس لاستقرار عقيدة التوحيد فى قلبه فقد رأى بنى إسرائيل قد نجوا بإيمانهم ، فضم نفسه إليهم بالإيمان بالإله الذى أنجاهم لينجيه معهم ، فإنه لم يقل : آمنت بالله رب العالمين ، وإنما أمنت بالذى نجى بنى إسرائيل من الغرق .

وقوله سبحانه ﴿ فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية ﴾ أى ننقذك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا ليراك بنو إسرائيل ولتكون علامة لمن وراءك من بنى إسرائيل إذ كان فى نفوسهم من عظمته ماخيل إليهم أنه لا يهلك حتى كذبوا موسى عليه السلام حين أخبرهم بغرقه إلى أن عاينوه مطروحاً على ممرهم من الساحل ، وهو آيه على قدرة الله تعالى وزوال الباطل مهما كانت قدرته وإمكاناته وجبروته .

******

(١) دعوة الرسل - صـ ٢٢٩

(الفقة الدعوى فى قصة موسى عليه السلام)

****

فى هذه القصة المباركة الكثير من فقه الدعوة وقواعد التبليغ التى تعتبر زاداً للدعاه إلى الله ليحققوا الغاية من دعوتهم ويصلوا إلى أهدافهم ، ويخرجوا بمدعويهم من ظلمات المعاصى إلى نور الحق والإيمان ، وهذه طبيعة القصص القرآنى بصفة عامة ، لذلك سنعتبر هذه القصة نموذجاً لاستنباط أبرز القواعد الدعوية وأصولها كدين مبلغ وعقيدة يدعى إليها ، وكفن تبليغ ونشر وحث على اتباع الهدى والحق ...

١- **الإعداد الدعوى** : والمقصود إعداد الشخص حامل الدعوة ومبلغها ليكون أهلا لتبلبغها إلى الناس حيث يصادف نماذج مختلفة من الطباع والميول والسلوك والعقول فلابد أن يسع كل هؤلاء بخلقه وعلمه ، وهذا لن يتحقق إلا إذا كان عالما بمدعويه يعرف ميولهم وعاداتهم وتقاليدهم ، ومواطن الخطإ والزلل عندهم ، وأسباب ماهم عليه من ضلال - لذلك هيأ الله الأمر لموسى عليه السلام ليحيط علماً ببيئة المدعو وطباعه ، وما هو عليه من مغالطات العقيدة وانحراف السلوك وتحقق ذلك فعلاً عندما تربى عليه السلام فى قصر فرعون وتلقى العلم عن الكهان بالقصر فعرف كل شئ عن ضلالهم وانحرافهم وإذا كان الطفل يتأثر بالتربية والبيئة فى التنشئة الاجتماعية ، إلا أن موسى عليه السلام قد صانه الله تعالى عن ذلك فهو القائل مخاطباً موسى عليه السلام : ﴿ ... ولتصنع على عينى ﴾ أى لتتربى ويحسن إليك وأنا راعيك ومراقبك وحافظك من كل زيغ وضلال ، ولما استوى عقله آتاه الله حكما وعلما وكان هذا صونا لقلبه وعقله وحفظا لفطرته .

ولما خرج موسى إلى أرض مدين والتقى بالشيخ الكبير وأبرم معه عقد عمل يقوم بمقتضاه على رعى الغنم لمدة ثمانى سنوات أو عشر – كان هذا تدريباله عليه السلام على الفراسة فى معرفة حاجات الرعية وسياسة الناس وقد يستنكر البعض أن يكون رعى الغنم تدريبا على سياسة البشر، ولكننا إذا أمعنا النظر فيما يقوم به الراعى من ملاحظة أغنامه ، وحفظها ومنعها من البعد عن القطيع مخافه الذئب عليها ، والصبر على تكرار وشرودها منه وإعادتها مرات ومرات دون ملل ، والنظر إليها فيعرف المريضة والعطشى ، والجائعة وتوفير الكلإ والماء لها ، وهذا هو المطلوب بصورة أو بأخرى فى سياسة الناس ، لو تأملنا هذا العمل لما كان هناك مجال للاستنكار، والداعى عليه أن يكون متدربا على معرفة ماعليه المدعو من حالة نفسية وعقلية وأن يختار له الطريقة التى تناسبه فى الدعوة والأسلوب الذى يلائم حاله وهذا يحتاج إلى فراسة خاصة من الدعاه .

ومن إعداد الداعى : تعريفه الهدف من دعوته ومكونات الدعوة وعناصرها والعلم بالدعوة من أهم مراحل الإعداد ، وإلا كان الداعى كحاطب بليل يدعو إلى مالا يعرف ، أو مالا يفهم ويقول تعالى معلما سيد الخلق صلوات وتسليماته عليه : ﴿ قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيره أنا ومن أتبعنى ﴾ (١) وهذا ماتحقق لموسى عليه السلام بالوحى إليه ذى طور سيناء عندما خاطبة ربه : ﴿ وأنا أخترتك فاستمع لما يوحى . إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى . إن الساعة آتيه أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بماتسعى . فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى ﴾ (٢) عرف موسى عليه السلام من خلال ماأوحى إليه عقيدة التوحيد ، والعبادة ، واليوم الآخر وهذه ركائز سعادة المجتمعات .

---

(١) يوسف من آيه ١٠٨

(٢) طه ١٣ : ١٦

كما عرف موسى هدف دعوته وهو تحرير بنى إسرائيل من ذل فرعون واستعباده لهم وأن الطريق إلى ذلك هو الإيمان بالله لأن العبودية لله والذل لجلاله سبحانه ، تكسب العبد عزة وكرامة وقوة روحية وجسدية ، وماكان من نجاة موسى من الذبح ، وتربيته فى قصر فرعون ، وذهابه إلى مدين إلا لتحقيق هذا الهدف والوصول إلى تلك الغاية .

تزويد الداعى بالادله والبراهين لإثبات صحة مايدعو إليه : وقد وضح ذلك عندما ابتدأ الله موسى بالسؤال لبيان معجزتى العصا واليد فقال له بعد مأوحى إليه بعناصر الدعوة : ﴿ وماتلك بيمينك ياموسى ﴾ ليزوده بمعجزة العصا التى تحولت بقدرة الله ثعباناً ، ومعجزة اليد التى يخرجها من جناحه بيضاء من غير سوء ، وهذان دليلان على صدقه فى دعوته أمام فرعون ، كما قال تعالى :﴿ فذانك برهانان من ربك إلى فرعون وملائه إنهم كانوا قوما فاسقين ﴾ [(١)] ... وهذا يبين لنا أن على الداعى أن يزود نفسه بالعلوم المساعدة على الجدل والحوار للوصول بالبرهان العقلى إلى الحق ، وأن يحمل من الأدله مايلائم أحوال مدعويه ومكاناتهم ، مع قوة صلتة بالله وحسن توكله عليه .

الاستعانة بوسائل إضافية : مع أن الله زود موسى بالبرهانين إلا أن موسى يطلب من الله العون والمساعدة فيطلب منه : شرح صدره ، وتيسير أمره ، وأن يرسل معه أخه هارون لأنه أكثر فصاحة منه فى الكلام ، ويطلب كذلك حل عقدة لسانه ليفقه فرعون وقومه مايقوله موسى عليه السلام ﴿ قال رب أشرح لى صدرى ويسر لى أمرى واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى. واجعل وزيرا من اهلى . هارون أخى [illegible] أزرى وأشركه فى أمرى ﴾ [(٢)] [illegible] موسى عليه السلام حتى يستطيع إفهام

(١) القصص ٣٢

(٢) طة ٢٥ : ٣٢

المدعو وتوصيل الدعوة إليه طلب عده وسائل : العون من الله وقبل كل شئ ، حل عقدة لسانه التى تعوق طلاقته فى الكلام فإن المقام مقام حوار وأخذ ورد خاصة وأنه يعرف ماعليه فرعون من طغيان ، والاستعانة بأخيه هارون ليقوى به فى الدعوة ولفصاحته ، ويقال إن هارون عليه السلام كان بنو إسرائيل يميلون إليه أكثر من موسى فاستعان به لوجاهته عندهم ، وفى هذا بيان أن من وسائل الدعوة الاستعانة بالغير للوصول إلى المدعو فلا يضير الداعى أن يستعين بصديق أو قريب المدعو لدعوته عن طريقه .

وبهذا يكون قد تم الاعداد والاستعداد ثم تأتى المواجهة .

المواجهة ومنهج الدعوة : لما وصل موسى إلى فرعون عرض عليه الدعوة بوضوح كامل ، وكان ذلك وفق خطوات حوارية محسوبة وفى مكانها من الدعوة .

١- بين له ان الذى أرسله هو الله رب العالمين : ﴿ ... إنا رسول رب العالمين ﴾ (١) أى الذى أرسلنا إليك هو الله رب العالمين وخالقهم وبين المطلوب منه :﴿ أن أرسل معنا بنى إسرائيل ﴾ (٢) ﴿ ...... فأرسل معنا بنى إسرائيل ولا تعذبهم﴾ .

٢- لما اثار فرعون شبهات رد عليها موسى وفندها له : الشبهة الأولى: الاتهام بحب الزعامة والرئاسة ﴿ قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء فى الأرض وما نحن لكما بمؤمنين﴾ (٣) وموسى عليه السلام لم يهتم بالرد على هذه الشبهة لأنها تتعلق بمستقبل دعوته ، وأثبتت الأيام كذبها

---

(١) الشعراء من آيه ١٦

(٢) الشعراء ١٧

(٣) طه من آيه ٤٧

، لأنه يدعو إلى الله لتخليص بنى إسرائيل وليس طلبا للرئاسة أو الزعامة ، والشبهة الثانية : المن عليه بنعمة تربيته وإيوائه فى قصر فرعون ، ومقابله هذه النعمة بالنكران والجحود عندما قتل القبطى ورد موسى على هذه الشبهة ، كما ذكر القرآن ﴿ قال ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين . وفعلت فعلتك التى فعلت وأنت من الكافرين . قال فعلتها إذا وأنا من الضالين . ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكماً وجعلنى من المرسلين . وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بنى إسرائيل ﴾ (١) فهذا رد من موسى على الشبهة بشقيها . وهذه الشبهات تتعلق بشخص الداعى .

٣- الحوار فى موضوع الدعوة ، وهو الإيمان بالله ، فأخذ فرعون يسأل عن هذا الإله الذى أرسل موسى تجاهلا أو تهكما وكان موسى عليه السلام يرد كل تساؤل بما يلائمه ويناسبه ، يتساءل فرعون ﴿ ومارب العالمين ﴾ فيجيب موسى : ﴿ رب السموات والأرض ومابينهما إن كنتم موقنين ﴾ عندما يلتفت فرعون إلى الملإ مستنكراً مايقول موسى ويقول لهم : ﴿ ألا تستمعون ﴾ يضيف موسى عليه السلام : ﴿ قال ربكم ورب آبائكم الأولين ﴾ ويزيد الأمر ويخرج إلى الاتهام بالجنون فيقول فرعون : ﴿إن رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون ﴾ ورد موسى : ﴿ قال رب المشرق والمغرب ومابينهما إن كنتم تعقلون ﴾ وبتأمل هذا الحوار نجد فيه تدرجاً وتناسبا بين السؤال والجواب ، فالرد عن : ومارب العالمين ﴾ فيه لفت لأنظارهم إلى مظاهر قدرته فى الخلق والإبداع وإن كانوا محققين فى الاشياء متأملين لها لعلموا أن لها خالقا ومسيراً ولأيقنوا وجودة وقدرته ، ويضيف أنه خالقهم وخالق آبائهم وسائر الخلق وعندما اتهمه بالجنون :

---

(١) الشعراء (١٨ : ٢٢) .

﴿ قال رب المشرق والمغرب ومابينهما أن كنتم تعقلون ﴾ أى إذا كان لكم عقل يتأمل وقلوب تعى ورأيتم أنه كل يوم يأتى بالشمس من المشرق ويحركها على مدار اليوم إلى المغرب مااحتجتم إلى جواب غير ماسمعتم .

٤- عرض المعجزة عليه لتأكيد أنه مرسل من عند الله ، ورداً على تهديد فرعون له بالسجن ، عندما قال له : ﴿ لئن أتخذت الها غيرى لأجعلنك من المسجونين ﴾ واللجوء إلى القوة انقطاع عن الحجة والحوار العقلى ، وقال موسى له : ﴿ أولو جئتك بشئ مبين ﴾ أى : أتسجننى ولو جئتك بأمر يبين أنى على الحق ، وعرض عليه معجزتى العصا واليد واتهمه بانه ساحر وانتهت هذه المواجهة بانقطاع حجة فرعون كما انقطعت بعد ذلك عندما استعان بالسحرة الذين آمنوا بموسى وهارون بعد هزيمتهم وبطلان مأأتوا به من السحر وعاد فرعون من جديد إلى منطق القوة والجبروت لتهديد السحرة بالقتل والتصليب فى جذوع النخل لإيمانهم ، وتحداه السحرة بإيمانهم بالله واستهانتهم بتهديده ... وأصر فرعون على عناده ولم يؤمن بموسى .

٥- رغم تأييد الله لموسى بإبطال سحر السحرة ، وإيمانهم إلا أن فرعون وقومه ظلوا على عنادهم وظغيانهم والحاق الأذى بمن آمن بموسى وكان لابد من نهاية للفساد والظلم فى حكم فرعون ، ومأأنزل الله عليهم البلاءات وآيات منذرة لهم بانتقام الله منهم ألا إنهم ظلوا على ماهم عليه ، من عتو وفساد وضلال ، إلى أغرق فرعون وجنوده ويبين الله هذه الحقيقة : ﴿ وقالوا مهما تأتنا به من آيه لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين . فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين . ولما وقع عليهم الرجز قالوا ياموسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمن بك ولنرسلن معك بنى إسرائيل . فلما كشفنا عنهم

الرجز إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون فانتقمنا منهم فاغرقناهم فى اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين ﴾ (١) فالآيات هى : الجدب بأن قل عنهم النيل وقصر عن إرواء أرضهم ، ونقص الثمرات بسبب مايأتى عليها من الجوانح والعاهات والطوفان : بطغيان النيل على الأرض وامتداد زمن بقائه حتى عاقهم عن الزرع . والجراد : إذ أرسله الله تعالى وسلطه عليهم فأكل الزرع واجتاح الثمار ، والقمل الذى أقض مضاجعهم وأتعبهم ، والضفادع : قيل إنها كثرت حتى نغصت عليهم عيشهم بسقوطها فى طعامهم وفراشهم وبين ملابسهم ، والدم : بأن استحال الماء دما ، وقيل إن الله سلط عليهم الرعاف ، الطمس على أموالهم ومحقها وإهلاكها ، واليد : إذ كان يضع يده فى جيبه ويخرجها بيضاء ، ويرى البعض عد الآيات على غير هذا الوجه (٢) .. وهذه الآيات وتلك النذر استغرقت وقتا فى حدوثها ورفعها ، فإذا نزلت آية فزعوا إلى موسى ليدعو الله لرفعها عنهم فإذا رفعت عادوا إلى عنادهم وقبحهم فى اتهام موسى بالسحر ، وروى فى آية الدم لما أنزلها الله عليهم وتحول ماؤهم إلى دم أن القبطى كان يجتمع مع الاسرائيلى على إناء واحد فيكون مايلى القبطى دما ومايلى الاسرائيلى ماء ، ويمص الماء من فم الاسرائيلى فيصير دما فى فيه (٣) .

فلا يظن من يقرأ قصة موسى عليه السلام إن خروجه بالسحرة ليلا ، ومطاردة فرعون وجنوده لهم كان فور إيمانهم بموسى وتحديهم لفرعون وتهديده لهم وإنما كان ذلك بعد سنين نفذ فيها فرعون تهديده وأمر موسى قومه بالصبر ووعدهم بتمكين

---

(١) الاعراف ١٣٢ : ١٣٦

(٢) أنظر قصص الانبياء - النجار صـ ٢٣٥

(٣) انظر تفسير البيضاوى جـ١ صـ ٣٥٦

الله لهم ، وظل فرعون على عناده ونزل العذاب والآيات وتوالت النذر بإرسال الآيات المنذرة إليهم ، وترفع كل آيه بدعاء موسى عليه السلام ، ثم يعودون إلى عهدهم من العناد والجحود ، وكانت هذه الآيات عقابا جزئيا لعلهم يعودون ويتعظون ... ولما ظلوا على ماهم عليه كانت الآية الكبرى والعقوبة العظمى بإستئصال شأفتهم وإهلاكهم ، ﴿ ولما وقع عليهم الرجز قالوا ياموسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى إسرائيل ﴾ يطلبون من موسى بماله من عهد النبوة أن يدعو الله ليرفع عنهم العذاب المذكور وانه ان فعل ذلك سيؤمنون به ويرسلون معه بنى إسرائيل أحراراً وهذا هو مطلب موسى ، فإذا دعا الله وكشف الضر ورفع العذاب عادوا إلى ماكانوا عليه من نقض العهد ، إلى ان كان الإغراق وتدمير ماكان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون ولذلك يمكننا القول بان منهج تبليغ موسى الدعوة لفرعون سار وفق الخطوات الآتيه :

أ- فى المواجهة الأولى :

١- بين له الغاية من الدعوة والهدف منها وأنه مرسل من الله رب العالمين وهذه دعوة للإيمان بالله .

٢- الرد على شبهاته التى أثارها حول شخصه كداع له .

٣- تعريفه بصفات الله ردا على أسئلته وملائه وأنه هو الحقيق بالعبادة وكل معبود سواه باطل .

إبرز له البرهان والمعجزة عندما انقطعت حجته وهدده بالسجن إن عبد إلها غيره ، وتمت مواجهته بالسحرة الذين أدركوا نبوته وآمنوا به وبذلك تكون قد انقطعت كل حجج فرعون ولم يستطع الانتصار على موسى حتى بعد أن استعان بالسحرة ، الذين آمنوا بموسى ، وكان الترتيب الطبيعى أن يؤمن هو أيضا لإيمان من استعان

بهم ووثق فى علمهم ، لكنه أصر على العناد ومنعه تكبره وحرصه على ملكه من الإذعان فتمادى فى التنكيل بمن آمن بموسى .

ب- بعد إيمان السحرة :

١- أمعن فى الانتقام وعذب اتباع موسى بعد تحديهم له . فأرسل الله إليه النذر والآيات كنوع من العقاب الجزئى المؤقت ولم يكن هذا فجأة وإنما حذرهم موسى وانذرهم بالقول فلم يسمعوا له ﴿ إنا قد أوحى إلينا أن العذاب على من كذب وتولى ﴾ (١) وتوالت الآيات : الجدب ثم رفعه ونقص الثمرات ، والطوفان ، والجراد ، والقمل .... إلى آخر النذر وهذا استنفاد لكل وسائل الدعوة وأساليبها مع المدعو- إلى أن ظهرت مكابرته وعناده وعدم جدوى النذر معه .

٢- لما أراد الله تعالى أن يحقق وعده لمن آمن بموسى ، أمره بالخروج ليلا بقومه وكانت مطاردة فرعون لهم إمعانا فى ظلمه وعتوه رغم ماجاءه من نذر- إلى أن غرق فى اليم هو ومن معه من جنوده ﴿ ولقد جاء آل فرعون النذر . كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر ﴾ (٢) .

٣- وهذا يتطلب من الدعاه صبرا على المدعوين ومعارضاتهم واتخاذ جميع الأساليب والأدلة والبراهين لإقامة الحجة عليهم وإقناعهم بالدعوة أما العجلة فهى من آفات التبليغ ، إذا أن الواقع العملى يتطلب وضع الإطار العام لمنهج التبليغ ، ووضع مناهج فرعية لتحقيق غايات جزئية فى الدعوة العامة .

---

(١) طه ٤٨

(٢) القمر ٤١ ، ٤٢

٣- الاساليب المستخدمة في الدعوة : تدرج أسلوب دعوة موسى من التلطف واللين إلى التهديد والوعيد ، ففي أول دعوته بعد أن حمله الله إياها مع هارون أمره الله بالقول اللين : ﴿ فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى ﴾ وهذا اللين في العرض والدعوة مع إعلام لهما بما عليه فرعون من تجبر وطغيان ﴿ اذهبا إلى فرعون إنه طغى ﴾ أي جاوز الحد في الفساد فلم يقل لهما : فأغلظا عليه في القول ، أو قولا له قولا شديدا .... وإنما أمرهما بالتلطف معه . ، وقد نفذ موسى ماأمره الله به عند ماعرض عليه الدعوة في صورة استشارة إذ قال له : ﴿ هل لك إلا أن تزكى . وأهديك إلى ربك فتخشى ﴾ أي هل لك ميل أن تتطهر من الكفر والطغيان - وهذا أسلوب دعوة يناسب ذوى المكانة العالية في مجتمعاتهم ، ففيه العرض والاختيار وليس الضغط والإكراه والتشدد ، ولا يشعرون معه بالدنو ، وهذا هو الأسلوب العاطفي المتمثل في وعظة لتليين قلبه واستمالته نحو الدعوة .

وجمع موسى عليه السلام بين الأسلوب العاطفي ، والأسلوب العقلي عند إجابته على تساؤل فرعون عن الله ، عندما أجاب : عن سؤال فرعون عن القرون الأولى قائلا : ﴿ علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى ﴾ ثم أضاف : ﴿ الذى جعل لكم الأرض مهداً وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى . كلوا وأرعوا أنعامكم ، إن في ذلك لآيات لأولى النهى ﴾ فلفت أنظار المدعوين إلى نعم الله تعالى عليهم في خلق الأرض وجعلها ممهدة للحياه عليها وجعل سبلا وطرقا بين الجبال والأودية والبرارى تسلكونها من أرض إلى أرض لتبلغوا منافعها ، وأنزل المطر من السماء فأخرج سبحانه به أزواجاً وأصنافا من مختلف النباتات تأكلون منها كما ترعى فيها أنعامكم . فالخالق لهذه النعم التى تعيشون فيها وتتمتعون بها أليس جديرا بشكره عليها والاعتراف له سبحانه بالعبودية ؟ وهذه إستمالة لقلوبهم ، ومن جانب آخر : إظهار لقدرة الله

تعالى فى الخلق والابداع وعليهم أن يعملوا عقولهم فى تأمل هذه المخلوقات والإبداعات التى تدل على قدرة خالقها وحكمته وأنه الحقيق بالعبادة ، لا عجزة الخلق ولذلك ذيل الآيات بقوله : ﴿ إن فى ذلك لآيات لأولى النهى ﴾ أى لذوى العقول الناهية عن اتباع الباطل ، فالاستمالة أسلوب عاطفى ، ولفت الأنظار إلى القدرة الإلهية أسلوب عقلى .

واتبع كذلك الأسلوب العقلى فى محاوراته عندما جادله فرعون فى أمر الألوهية وسأله عن الله تعالى ﴿ ومارب العالمين ﴾ ، وصورة هذا الأسلوب هى المجادلة بالتى هى أحسن .

وفى النهاية انتقل موسى عليه السلام إلى أسلوب التهديد والوعيد وهو ليس أسلوبا قائما بذاته ، وإنما صورة من صور الأسلوب العاطفى فهو تخويف من العقاب وهذا محله القلب الذى هو محل الموعظة وقد تبين ذلك فى قول الله تعالى : ﴿ إنا قد أوحى إلينا أن العذاب على من كذب وتولى ﴾ (١) فهذا تهديد بالعذاب إن كذب ماجاء به ، وقوله تعالى : ﴿ وقال موسى ربى أعلم من جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار ، إنه لا يفلح الظالمون ﴾ (٢) موسى عليه السلام يبين أن العاقبة المحمودة الإيمان فى دار الدنيا تعقبها الجنة ، أما الظالمون الجائرون فلا يفوزون بالهدى فى الدنيا وحسن العقبى فى الآخره فليس لهم إلا النار وأخيرا يدعو موسى على قومه بالعذاب بعد استنفاد كل الأساليب والوسائل فيدعو ربه قائلا : ﴿ ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا فى الحياه الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب

---

(١) طه ٤٨

(٢) القصص ٣٧

الأليم . قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تبعان سبيل الذين لا يعلمون ﴾ (١)

وهذه هى النهاية فتوالت النذر والآيات حتى ختمت بالغرق وإهلاك فرعون وجنوده وهنا نتساءل : هل معجزتا العصا واليد أسلوب أو وسيلة ؟

والجواب يمكن إيجازه أن دلاله المعجزة على صدق الرسول الذى جرت على يديه دلاله عقلية حيث يعجز العقل عن تفسيرها ، فيرجعها إلى القدرة الإلهية ، فهى برهان منه سبحانه وتعالى على صدق دعوى النبوة والرسالة فهى بهذا أسلوب عقلى ، كما أنها من جانب آخر معتمدة على الحسن والإدراك فهى وسيلة إقناع .

وغنى عن البيان أن المعجزات الحسية قد انقضى عهدها بانقضاء عهد النبوات وختمها برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، إلا أن معجزة القرآن باقية وخالدة وشاهده بنبوته صلى الله عليه وسلم إلى يوم القيامة فهو مصدر استدلال وزاد للدعاه فى تبليغ الدعوة ، وأن آياته تتراءى كل يوم وتظهر فى الكون فليأخذ منها الدعاه زاداً لإقامة الأدلة والحجج والبراهين ، ويقول تعالى : ﴿ سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾(٢) .

٤- **الوسائل التى اتبعها عليه السلام** : تسود أغلب دعوات الرسل الوسائل القولية فاعتمد على الخطاب عندما عرض الدعوة على فرعون ، والمجادلة فى حواره إياه ، وسوق الأدلة والآيات .

ويمكن إعتبار مباراته مع السحرة نوعا من المناظرة العملية .

٥- **طبيعة المدعوين من قوم موسى** : غلب على قوم موسى عليه السلام الجحود ونكران الجميل ، وعدم الاعتراف بالفضل .

---

(١) يونس ٨٨ ، ٨٩

(٢) فصلت من آية ٥٣

أ- فهذا فرعون يصر على عناده وتجبره وعدم التسليم لموسى رغم ماتجلى أمامه من أدلة وآيات ورغم ماحل به من إنذرات ونزل به من عقوبات .

ب-والسحرة الذين آمنوا بموسى ، ونجاهم الله من فرعون بأن أهلكه أمام عيونهم وأغرقه فى اليم - هل قابلوا ذلك بشكر الله بالثبات على إيمانهم به سبحانه ؟

والجواب بالنفى من واقعهم :

١- عندما جاوز الله بهم البحر وأنجاهم من الغرق رأوا قوما يعبدون الأصنام طلبوا من موسى أن يجعل لهم إلها كما لهؤلاء آلهة ﴿ قالوا ياموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون ﴾

٢- قالوا لموسى عليه السلام : ﴿ أرنا الله جهرة ... ﴾ حيث يريدون أن يروا الله بأعينهم ، ولم يكتفوا بالأدلة الشاهدة على وجودة تعالى .

٣- عندما ذهب موسى لمناجاه ربه ، اتبعوا السامرى الذى صنع لهم عجلا من الحلى الذهبية لعبادته إلى أن يعود موسى ﴿ فأخرج لهم عجلا جسداً خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسى ﴾ (١) ولما وعظهم هارون وطلب منهم أن يعودوا إلى عبادة الله ردوا قائلين : ﴿ لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى ﴾ (٢) .

٤- عصيانهم لموسى عندما أمرهم بدخول الأرض المقدسة التى كتب الله لهم فعندما قال لهم : ﴿ ياقوم ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين . قالوا ياموسى إن فيها قوما جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون .. ﴾ (٣) أى قوم

---

(١) طه آيه ٨٨

(٢) طه أيه ٩١

(٣) المائدة ٢١ ، ٢٢ .

متغلبون لا تتأتى مقاومتهم والجبار هو الذى يجبر الناس على ما يريده ، ولن ندخلها إذ لا طاقة لنا على قتالهم وقد رفضوا الامتثال لأمر موسى لعدم مبالاتهم به ، ولما قال لهم : ﴿ ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون . وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ﴾ يردون مؤكدين موقفهم : ﴿ ياموسى لن ندخلها أبدا ماداموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا ... ﴾

٥- قالوا هذا تهكما واستهانة بالله ورسوله وردا على أمر موسى بالتوكل على الله ، وقولهم ﴿ إنا هاهنا قاعدون ﴾ أى لن نقاتل ، وهذا بيان لما هم عليه من الجبن والخوف ، والذله والمسكنة ، ويقول تعالى : ﴿ .... وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾ (١) فهذه بعض مواقفهم من واقع تاريخهم كما قصة القرآن ، أو ردناها أمثلة وشواهد على خسة طباعهم ودناءة نفوسهم مع رسولهم موسى عليه السلام ، فماذا ينتظر منهم العالم فى العصر الحديث ؟ وماذا يترقب فى الوقت الحاضر من قتله الأنبياء ناقضى العهود ؟ فهذه طبيعتهم كمدعوين لموسى ، ومخربين فى الأمة الإسلامية يبذرون بذور الفرقة والاختلاف .

ونكتفى بهذه الوقفات الدعوية فيما ذكرناه من مواقف من قصة موسى عليه السلام راجين الله أن ينفع بها .

* * *

---

(١) البقرة من آية ٦١

ثانياً : نماذج غير قرآنية

المبحث الرابع

نموذج لداع حقق هدفه لسلامة التخطيط

وهذا النموذج مفترض وجوده فى واقع الحياه والفرق بينه وبين النماذج السابقة أنه غير قرآنى .

فى إحدى القرى النائية كان أحد الدعاة قد وصل إليها ونزل بها ، وأقام بمسجد صغير بها ، وكان يؤم الناس فى صلواتهم ويدرس لهم بعض المسائل الفقهية كالوضوء وإزالة النجاسات وأحكام الاغتسال ، وأركان الصلاة ... لأنهم كانوا يجهلون أغلب هذه المسائل ، ولكنه بإقامته بينهم لاحظ أنهم فى وقت معين يتجهون إلى ناحية معينة فى القرية ، ثم يأتون إلى المسجد ، وكانوا يتجهون إلى تلك الناحية صباحاً قبل الذهاب إلى العمل ، ومساء قبل العودة إلى المنزل ، وعندما سأل بعض المقربين إليه ، قالوا له محذرين ناصحين : لا تعترض ، ولا تسأل عن هذه الأشياء حتى تعيش فى سلام ، ولا تتعرض لانتقام سيدى المبروك .

فلم يرد عليهم لا بسلب ولا بإيجاب ، وانتهز فرصة انضم فيها إلى وفد متجه إلى تلك الجهة متظاهرا بالموافقة والحرص على البركة إلى أن وصل إلى هناك فوجد صورا يفزع لها كل ذى قلب سليم وجد قبه مضروبة على قبر مشيد مكسو بكسوه من قماش فاخر مكتوب عليها بالذهب وتضاء على هذا القبر المصابيح الكهربية خضراء اللون تفوح منه رائحة العطر الذى رشه عليه زواره ووجد بعض النساء يجلسن جاثيات على الأرض يبكين متضرعات إلى صاحب القبر أن يهدى لهن أزواجهن ، أو يشفى أبناءهن أو يجبب فيها فلان بن فلانه التى ترغب الزواج منه ، كما وجد رجالا يقفون فى خشوع يمسحون القبر ويقبلونه ويخاطبون صاحبه فى

حياء وأدب أن يبارك لهم فى الرزق والصحة والمال وأن يسهل لهم العسير، ويفرج عنهم الكروب ....

ارتاع الداعى لهذا الأمر... يالها من مخالفة شديدة .... إنها مأساه الانسان المسلم لابد من العلاج ان المرض خطير وان الوباء شديد .... والضرورة ملحة ولكن كيف يبدأ ؟ وبمن يبدأ ؟ أن أهل القرية يكادون يجمعون على بركة الشيخ ، وأنه قاضى الحاجات ومحقق الآمال ، ومذهب الآلام ....

خلا إلى نفسه بعض الوقت ليستعيد ماتعلمه من فنون الدعوة والتبليغ ، ويراجع الأحداث ، واللقاءات والمناقشات والأسئلة التى واجهته طيله مدة إقامته ... وبعد تفكير وصل إلى أن أغلب هؤلاء الناس لا علم عندهم ، ولا ثقافة ، ومايفعلونه إنما هو سلوك موروث رسخ فى نفوسهم بطول الإقامة عليه .

كما عرف أن هناك بعض المثقفين ألفوا ذلك أيضا ويشجعون البسطاء عليه ويتصدون لمن يتعرض لهم .. وعلى أساس ماتوصل إليه حدد طريقة الدعوة والعلاج . رأى أنه لابد من اتباع الخطوات التالية :

١- مناقشة بعض منهم لمعرفة سر هذا التقديس ومنشأ هذه المخالفة ، وفعلا بدأ حوارا هادئا لا تجريح فيه ولا سب ولا تجهيل واستمالهم نحوه بكلام طيب ولما سألهم عن بركات هذا الشيخ أجابه بعضهم بأنهم توارثوا حبه جيلا بعد جيل وهم يشاهدون بركاته كل يوم على نحو مانبههم إليه أسلافهم ، وأجابه البعض بأن بركات مباشرة ، وكرامات رائعة من الشيخ وقعت له شخصيا ....

٢- بعد معرفة الدافع إلى ذلك بدأ مرحلة أخرى أبدى دهشته ، وتظاهر فيها بالحيره ، والموافقة على مايقولون ، ثم تساءل أمامهم طالبا الإجابة : ماأبرك هذا الشيخ ! وما أكثر خيره ! لكن من كم سنة عرفتموه ؟ قالوا : من أيام أجدادنا ، قال : من حوالى مائة عام تقريباً ؟ قالوا : نعم ، قال : وقبل المائة

عام الم تكن هناك بركة ؟ قالوا : نعم ، قال : من الذى أنزلها ؟ قالوا : الله ، قال : وهل أوقف الله بركاته وقطعها عنكم ؟ قالوا : لا ، قال ومادور الشيخ إذاً مادام المنزل البركة فى الرزق والعمر هو الله ؟ عندئذ يسكتون ، أو يكابرون .... فيصبر عليهم ، ثم يستطرد : هل توجد قرى مجاورة لكم ؟ قالوا : نعم ، قال : هل يأتون إلى الشيخ ؟ قالوا : قليل منهم ، قال : من إذا يبارك لهم ؟ ومن يشفى أمراضهم ، فيجيبون : الله ، وإلى من يتوجهون بدعائهم ، فيقولون : إلى الله ، فيقول : ولماذا لا تتوجهون إلى الله وحده بالدعاء مثلهم ؟ .

ويظل يلح فى هذه التساؤلات حتى يدخل الشك إلى نفوسهم فى صحة ما يفعلون .

٣- عندئذ يرجع عندهم جانب التوحيد ، بإذكاء جانب الإيمان فيهم والثناء عليهم ثم يتبع ذلك بالأدلة الواضحة القاطعة على حرمه دعاء غير الله ، أو الطلب منه مترفقاً بهم مظهراً حرصه على مصلحتهم والسمو بسلوكهم وعقيدتهم كمسلمين ثم يقرن ذلك بالسلوك العملى ومحاولة صرفهم عن هذه المخالفة بالتدريج حتى يعتادوا على السلوك السوى .. مع إشباع نفوسهم ومخاطبة قلوبهم وعقولهم بالتوحيد الخالص .

لما عرف أهل القرية حقيقة ما هم فيه من مخالفة ، تناقلوا الأخبار وأخذوا يرددون ما حدث من الداعى ومدى علمه والثناء عليه ، فبلغ ذلك بعض المتعصبين للشيخ من المتعالمين وأدعياء العلم ، أسرعوا إلى الداعى فى مسجده الصغير وأرسل إليه كبيرهم رسولا من قبله يقول : إن الأستاذ عبد الغنى سيأتيك لمناقشتك فيما قلت ، لأنك ستورد القرية موارد الهلاك بإغضاب الشيخ عليها فاستعد ولاتهرب من لقائه .

وفى المسجد أنتظر الداعى حضور الأستاذ وأتى وحضر حشد من أهل القرية لشهود المناظرة بين الحق والباطل ...

وكان اللقاء ودخل الأستاذ يتقدمه بعض البسطاء يحملون له حذاءه إمعانا فى إحترامه .. وبلا سلام أو كلام بدأ الجدال :

- ماذا تقول يارجل فى مولانا وسيدنا وبركتنا المبروك ؟

- ما أقول إلا خيراً ، فأنا لم أسبه ولم أتعرض له بمكروه لاسمح الله .

- بلغنى أنك تنكر بركته وتلوك كلاماً لايليق حوله .

- ما قلت الا أنه مثلنا ، ولايملك من أمر نفسه شيئاً فكيف يملك لغيره ؟

- استغفر يا رجل ، كيف تجرؤ على هذا ؟

- استغفر من ؟ أستغفر الله ، أم المبروك ؟

- استغفر الله ، وأطلب السماح من الشيخ ؟

- الا يكفينى أن استغفر الله ، الذى بيده المغفرة والمسامحة هو الله ؟

- نعم ، ولكن الشيخ من أوليائه ، والله قال : ﴿ ألا أن أولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ .

- أكمل .. ماذا قال بعد ذلك ؟ ﴿ . الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ فكل مؤمن تقى خائف من الله فهو ولى لله ، فلماذا هذا الشيخ بالذات من دون بقية الناس ؟ ماذا ميزة عنهم ؟

- أنا مقصر وغيرى مقصرون .. فكيف نصل إلى درجته ؟

- إذا كنت مقصراً فلماذا لاتتوب إلى الله بالعمل الصالح حتى تكون ولياً من أوليائه الأتقياء ؟ وهل أغلق الله باب التوبة بعد هذا الولى ؟ ألم تقرأ : ﴿ قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً) ؟..ان الذنب مهما عظم فإن رحمة الله أعظم منه ، ..ثم أخبرنى

بالله عليك وأنت مسلم عاقل راجح العقل على معرفة وعلم .. بما تميز هذا الشيخ عنك هو عبد الله وأنت عبد الله ، هو مسلم وأنت مسلم ، بل ربما تكون أنت وكثير من الحضور خيراً منه عند الله .. فأنتم تعبدون الله وتسعون لكسب الرزق الحلال ..

- لكن الشيخ شفى لنا كثيراً من مرضانا ، وأنقذ الكثير من محبيه من كثير من مواطن الهلاك .

- عجبا لرجل عاقل مثلك أن يقول هذا الكلام دون أدنى تفكير .. خبرنى بالله هل كل من ذهب إليه من المرضى برؤ وشفى أم أن البعض قد مات ..

- مات قليل منهم ، وشفى الكثير.

- ولماذا لم يشف هذا القليل ؟

- لأنهم .. لم يرد الله لهم الشفاء فماتوا .

- إذن الأمر كله مرده إلى الله ، وأن الشيخ ما استطاع أن يشفيهم مع أنهم توسلوا إليه ، فالشافى هو الله وحده والذى حدد العمر هو الله ، والذى جعل لكل أجل كتاباً هو الله .

- كلامك معقول ، ولكن أكل هذه المده الماضية التى بلغت قرنين من الزمان كان أهلنا على خطأ ؟

- قد يكونون قد فكروا وخشى أى واحد منهم الجهر بما فى نفسه وما يكون قد جال بخاطره .. فهم مركوز فيهم الخير ، وفطرتهم نقية هى فطرة الإسلام والتوحيد ..

فهذا الأمر يستقيم بأمثالك من أصحاب العقول النيرة والثقافات الصافية ، والفطر السليمة التى تتغلب بإيمانها بالله وصلتها بخالقها على غواية الشيطان الذى لايقبل أن يهتدى الانسان ويعود إلى صراط المستقيم ..

- صمت الأستاذ فترة ثم تلفت إلى من حوله متسائلاً : ما رأيكم فيما سمعتم ؟ أليس كلام الشيخ معقولاً ؟

- ردوا فى همهمة .. نعم والله معقول ولطالما جال بعقولنا ..

- إذن فلنهدم القبر..

- رد الداعى : لايهمنى هدم القبر، بقدر ما يهمنى بناء القلب على التوحيد والإيمان فلا تذهبوا إليه ولاتتقربوا إلى صاحبة وان خشيتم على من يأتى بعدكم الذين لم يعلموا ما دار بيننا فإن إزالته أمانة فى أعناقكم وحق عليكم كطائفة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم التى تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، الأمة التى لاتقبل وجود منكر بينها ، ومن ازالة المنكر ازالة رموزه وأشكاله ، فأنتم وذاك .

وانتهى الحوار.. والداعى لم يكف عن الدعوة ويتطلف معهم مع ثباته على دعوته إلى أن هيأ له الله طائفة من الناس فسووا القبر ولم يعترض عليهم أحد لسبق إقناعهم بذلك ، وهم لايقرون اقراراً كاملاً لما حدث ، لارتباطهم به مدة طويلة ، ولكنهم على الأقل لن يمنعوا ذلك ، وان شعروا بالضيق والألم بعض الوقت ، إلا أن واجب الداعى تغذية جانب التوحيد والثبات على أفراد الله بالعبادة والتوحيد بالأساليب المحببة إليهم .

التطبيق الدعوى على المثال :

لو تأملنا المثال السابق والذى عرض من خلال قصة واقعية وتتكرر كثيراً فى العديد من المناطق مع تغييرات خفيفة فى الظروف والملابسات المحيطة ، لوجدنا نموذجاً لداع إلى الله التزم الطريق العلمى فى التبليغ ولم يعتمد على المصادفات والتخمينات وإنما وضع منهج علاج مدروساً من خلال تحديده لنوع المخالفة والدافع إليها .. وقد تمثل منهجه هذا فى الخطوات التالية :

١- رصد المخالفة ، وحدد نوعها ، وأنها عقدية سلوكية ، أى سلوك مخالف ناشئ من خلل فى العقيدة .

٢- مناقشة البعض لتحديد أسبابها ، وهل هذه الأسباب واحدة لدى جميع المخالفين ، أو أنها مختلفة عند البعض .

٣- بدأ بعد ذلك فى مرحلة التشكيك بإلقاء أسئلة واستفسارات متظاهراً بالموافقة حتى لايصطدم بهم مع أول خطوة .

٤- بعد هذه المرحلة يرجع عندهم جانب التوحيد ويعمقه فى نفوسهم مدللا على ما يقول بالأدلة القاطعة .

٥- الرد على الشبه التى قد يثيرها بعض المجادلين ، أو المتعالمين مع عدم تجريحهم والالتزام بآداب الخلاف وأصول الجدل .

فهذه هى الخطوات التى اتبعها فى علاج هذه المسألة هى منهجة فى التبليغ وإزالة المخالفة .

وأما الأسلوب الذى أعتمد فى تنفيذ خطوات المنهج ، وهو طريقة عرض الفكرة حسب حال المدعو فقد سار فيه على النحو التالى :

١- اعتمد على أسلوب الحوار البسيط ، مع بسطاء القوم للوصول بهم إلى الحق وقد حرص على عدم التصادم بهم وبمشاعرهم وعدم تجريحهم أو التعرض للشيخ بالسب أو الأهانة ..

٢- عرض الأدلة بوضوح وجلاء تامين ، مبيناً الأحكام العقدية المستمدة منها بأسلوب بسيط مفهوم ، وهذا هو أسلوب الحكمة .

٣- وعندما حضر إليه المجادل المتعالم لجدله ، ومع علمه بأنه جاء ليدافع عن باطل هو تقديس الشيخ ، كان الداعى هادئاً لم يثر ولم ينفعل ضده بل كان يحدثه بلين ورفق ، عملاً بتوجيه الله تعالى عندما أرسل موسى وهارون إلى فرعون الطاغى فقال لهما : ﴿ اذهبا إلى فرعون انه طغى ، فقولاً له قولاً لينا لعله يتذكر أو يخشى ﴾ (١) فكان يرد عليه تساؤلاته بلين ورفق وكان يستمليه أحياناً بألفاظ رقيقة : عندما يظهر عجبه من كلامه بقوله : عجبا لرجل عاقل مثلك ، فوصفه بالعقل الكامل واستبعاد هذا الكلام منه ، فيه استمالة له حيث يريد إثبات العقل والتروى ليتحقق المدح الذى قاله الداعى عنه ، وكذا قوله له : فهذا الأمر لايستقيم إلا بأمثالك من أصحاب العقول النيرة والثقافات الصافية والفطر السليمة . فهذا كله ثناء تميل إليه النفس ويلين به القلب . فنلاحظ أن الداعى قد جمع بين الأسلوب العقلى فى الحوار ، والأسلوب العاطفى ، حسب متطلبات الحوار المجدى .

وأما الوسائل التى اتبعها لإيصال دعوته إلى مدعوية ، فهى تتمثل فى اللقاءات المباشرة معهم فى المسجد ، فى دروس ، وخطب وتنوعت هذه اللقاءات إلى فردية كلقائه بالأستاذ الذى جاء لجداله ، وإلزامه الحجة فى النهاية ، وإلى جماعية مع سائر المدعوين الذين تحاور معهم فى المسجد وتناقلوا الأخبار واستعانوا بالمجادل .

---
(١) سورة طه (٤٣ ، ٤٤) .

ولو تطلب الأمر إيضاحاً فحرر له رسالة لكانت الرسالة إحدى الوسائل ، ولو أهدى إليه كتاباً يقرؤه فى الموضوع لكان الكتاب إحدى الوسائل ، ويضاف إلى ذلك إخلاص الداعى وصدقه .

وهكذا يتبلور لنا الفرق بين المنهج والأسلوب والوسيلة ، فالمنهج هو الخطوات التى يرسمها الداعى لتبليغ دعوته حسب طبيعة الغاية التى تريد الوصول إليها والنتيجة التى يبغى تحقيقها .

والأسلوب هو طريقة تنفيذ خطوات المنهج حسب حال المدعو من الناحية العلمية ، والعقلية ، والمزاجية ، والوجدانية حيث يختار الداعى الأسلوب المناسب لعرض دعوته على مدعوية .

والوسيلة هى طريقة الاتصال بالمدعوين لإيصال الدعوة إليهم وعرضها عليهم وقد تكون فى صورة خطبه أو درس ، أو محاضره ، وقد تكون رسالة مكتوبة إلى شخص أو رسالة موجهة إلى المجتمع ككل أو كتاباً يعالج الموضوع ، وهذا كله مع صدق النيه وإخلاصها .

ويتضح كذلك أن الأسلوب يتصف بالعاطفى أو العقلى أو الحسى تبعاً لطريقة العرض ومرتكزها فى شخصية المدعو.

أما المنهج وهو خطة مرسومة فلا يوصف بأنه عقلى أو عاطفى أو حسى ، ولكن يمكن تبليغه بأسلوب عقلى أو عاطفى أو حسى حسب حال المدعو كما ذكرنا .

المبحث الخامس

نموذج لداع أخفق لسوء التخطيط

وهذا نموذج يبين ضرورة التخطيط الدعوى الملائم وأهميته للنجاح فى الدعوة :

حدث حادث طريف فى الثلاثينات فى قرية من قرى المنوفيه وقت أن كان الجهل يخيم على كثير من المجتمعات الإسلامية .

فقد كان فى القرية قبر متواضع لرجل يرون أنه ولى من أولياء الله الصالحين يكاد يكون مجهول الاسم والأصل ، لايزوره أحد ، ولايقام له مولد كل عام كعادة أهل هذه البلاد ، وكل مظاهر ولاية الشيخ المجهول قبة صغيرة تعلو الضريح الذى يقع عند طرف المزارع بمدخل القرية ، وعاد إلى القرية ذات يوم شاب من أبنائها كان قد ذهب إلى العاصمة لتلقى العلم بها فلم يفلح وترك الدراسة بعد أعوام قليلة يحاول كسب رزقه فى العاصمة من أعمال مختلفة لايعلم بها أحد على وجه التحقيق .

فلما عاد إلى قريته كان يعتبر بما حصل من علم قليل ، عالماً فذا بين أهلها البسطاء الطيبين ، ولم يضيع صاحبنا وقتا طويلاً فى استغلال سذاجه أهل القرية وتفتق ذهنه عن خطة شيطانية قام بتنفيذها على الفور.

لقد وجد القرية بغير ولى من أولياء الله ، يقام له مولد كل عام ويزوره الناس للتبرك ويسألونه الشفاعه وقضاء المصالح ويقدمون بين يديه النذور.

ورأى أهل القرية يقصدون بعض البلاد المحيطة بقريتهم لزيارة الأولياء ولكل بلد ولى تعرف به وتفاخر غيرها من البلدان ، وفوجئ أهل القرية ذات يوم بعد صلاة الجمعة بصاحبنا يعتلى منبر الجامع ، ويخطب فيهم بصوت مؤثر ويزف إليهم

بشرى عظيمة . لقد زعم أن ولى الله الشيخ (فلان) صاحب الضريح القائم عند طرف مساكن القرية جاءه أثناء نومه وأخبره أنه عاتب على أهل القرية لأنهم يجهلون قدره ولا ينتفعون ببركته ولا يحتفلون بمولده وانه قد اختاره ليبلغ إلى الناس رسالته وليكون خادمه ، قدم إليه منديلا كبيرا أخضر ليجعله شالا يلف به عنامته وقال صاحبنا أنه ظن أن الأمر ليس سوى حلم ولكن قام من نومه فوجد إلى جواره الشال الاخضر وأخرج الشال ولوح به للناس ثم لفه حول رأسه وهو يقول : إنه يشهدهم على أنه منذ اليوم خادم ولى الله يصلح ضريحه ويعده للزائرين ويقيم مولده وينفذ مشيئته . وأقبل أهل القرية على صاحبنا يهنئون ويبايعون ويقبلون المنديل الأخضر المعطر فى خشوع ورهبة ، وشرعوا يصلحون الضريح وأقاموا إلى جواره زوايه ليقيم فيها الخادم ويستقبل الناس ، وبدأت كرامات ولى الله تظهر للناس بتدبير الخادم الذكى الذى وضع صندوقا للنذور ، وانهالت عليه التبرعات والهدايا والألطاف .

وتحول الخادم إلى دجال كبير يكتب الأحجبة والتعاويذ ويبيعها للناس وأقبل عليه طلاب الشفاء بدلا ن الذهاب إلى الطبيب .

وكان طبيب المركز من أهل القرية المجاورة وسمع بما يجرى فضايقه الأمر وجاء فى زيارة إلى القرية ، وقابل خادم الولى المزعوم ، وحذره من الاسترسال فى أعماله وهدده بسوء المصير إذا أقحم نفسه أو وليه فى شئون الطب والعلاج ، وثارت بينهما مناقشة عاصفة ، فأخبره الطبيب بأنه سيصلى الجمعة فى مسجد القرية ثم يتحدث إلى الناس ويفصح لهم عن دجله وألا عيبه .

وفى صبيحه يوم الجمعة شهد أهل القرية خادم الضريح وقد جلس على قارعة الطريق عارى الرأس ، وهو يبكى ويحثو على رأسه التراب ، ويرفع صوته بالدعاء والتوسل والابتهال ، وسألوه عن الخبر ، فقال سوف يرحل الشيخ عن القرية كلها

لأنها تسمح لرجل غريب زنديق أن يتعدى على كرامته ويهينه فى بيت الله ، ومضى الخادم الذكى يقول إنه بكى وتوسل إلى الشيخ ألا يهجر القرية وأهلها ويؤكد له أنهم لا يمكن أن يسمحوا بشئ من ذلك .

وجاء الطبيب يصلى الجمعة ، فلما انقضت الصلاة وقف يريد أن يخطب فى الناس وهو يظن أن الأمر لا يحتاج إلى شئ من الفصاحة والمنطق ، فلا يلبث أن يقنع الناس ، ولكنه لم يكد يبدأ حديثه مهاجما خادم الضريح ، قائلا : إن ولى الله نفسه لا يملك لهم نفعا ولا ضرا ، وإن المسأله كلها عملية نصب واحتيال حتى أطبق عليه الناس وانهالوا عليه ضربا بالأحذية والمراكيب وكادوا يفتكون به وهم يصيحون به فى ذعر : العفو والسماح ياولى الله .

وأدركه العمدة والخفراء فخلصوه من أيديهم وأخرجوه من القرية .

ان الطبيب الطيب القلب لم يدرك أنه لا يكفى أن يكون الحق فى جانبه وأنه لا ينبغى لمن يريد أن يخاطب الجماهير ويؤثر فيها أن يصدم شعورها أو يهاجم مقدساتها .

عندما نتأمل هذه القصة نجد أنفسنا أمام نموذج للصراع بين الحق والباطل والنور والظلام ، فهذا دجال يجر الناس إلى الضلال ، وهذا طبيب مسلم غيور أراد تغيير هذا المنكر وصرف الناس عن الدجال ووليه المزعوم ... إلا أننا نجد أن الدجال قد خطط لدعوته أهل القرية إلى الباطل مختارا الأساليب التى تناسب ميولهم ولا تصادم عواطفهم ومعتقداتهم .... بينما نجد أن الطبيب الذى لم يرض هذا السلوك من أهل القرية وتبركهم بالدجال والولى ووقوعهم فى هذا السلوك المشين عقديا لم يراع فى دعوته ماراعاه الدجال الذكى ، فاصطدم بمشاعرهم فأخفق فى دعوته .

فقد سار الدجال فى دعوته الباطلة على مايلى :

١- استغل وجود قبر الولى المزعوم ووجود القبة عليه ، كما استغل ثقة أهل القرية فى شخصه هو لما حصل عليه من علم قليل ، ولأنه بينهم بهذا العلم القليل يعتبر عالما كبيرا وأن كل مايقوله صدق .

٢- انتهز الشاب الدجال فرصة ميل أهل القرية إلى وجود ولى يتبركون به ويقيمون له مولدا كل علم حيث كانوا يذهبون إلى القرى المجاورة لزيارة أوليائها وان بداخل كل منهم أمنيه أن يكون لقريتهم ولى خاص بهم يقيمون له مولداً ويفاخرون بكراماته أهل القرى الأخرى ، وهذا من قبيل الميل إلى التقليد والمحاكاه .

وهذا يعتبر الماما كاملا بالمدعو ونفسيته وميوله ورغباته ، ولذا فقد رسم خطته مراعيا هذه الميول وتلك الامانى ....

أ- زف البشرى إليهم بصوت فيه تأثير ، بحيث يستولى على مشاعرهم وقدم إليهم أمنيه طالما داعبت الكثير منهم وهى وجود ولى فى القرية يتبركون به .

ب- لما سمع الناس هذه البشرى لم يفكروا فى أى شئ إلا التصديق التام فانقادوا عاطفيا له دون أى تفكير فيما قال .

وإلى هنا نجد أن الشاب قد نجح فى الاستيلاء على مشاعر الناس وعواطفهم حيث تسلل إلى نفوسهم من أمانيهم ومآربهم ، وقد حقق مايريد مع أنه على الباطل لكن عدم مصادمته مشاعر الناس أدى به إلى تحقيق غايته الباطلة .

ولو تأملنا موقف الطرف الثانى فى القصة وهو الطبيب الذى لم يعجبه مايمارسه هذا الدجال ، حيث صرف الناس عن الأخذ بالأسباب العادية التى خلقها الله للاستشفاء ، والاستغناء عنها بالتعاويذ والأحجبة والتمائم ، والتوسل إلى الولى

للاستشفاء ، وهذا من الشرك بالله ، والطبيب يريد تصحيح عقيدة الناس وإرشادهم إلى الصواب وهذا حق يريده الطبيب وغاية صالحة ، ولكن رغم ذلك نجد أنه – رغم الحق الذى يدعوا إليه – يخفق فى دعوته ويفشل فشلا ذريعا كاد يذهب بحياته ... ولنا أن نتساءل : لماذا ؟ والجواب بالطبع يكون : لأنه قد صدم الجماهير بدعوته ولم يراع نفسياتهم ، ولم يرسم خطة للدعوة يتبعها ويسير عليها ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى : ذكاء الدجال وتوظيفه تهديد الطبيب له بفضح أمره وكشف ستره لصالح دعوته الباطلة .

فبعد أن هدده الطبيب بأنه سيصلى الجمعة بالمسجد ويتحدث إلى الناس ويفصح لهم عن دجله وألاعيبه ، نجد أن الخادم يجلس على الطريق يحثو التراب ويبكى ويدعو ويتوسل إلى الشيخ ألا يرحل عن القرية ....

وهذا فى حد ذاته يجعل أهل القرية يتعاطفون معه ، وعندما يخبرهم بأن الشيخ سيرحل لتعدى رجل غريب على كرامته ، يجعلهم يصرون ويتحمسون للدفاع عن شيخهم ونصرته على هذا الغريب .....

ويزداد الطين بله عندما يذهب الطبيب صاحب الحق إلى المسجد فى صلاة الجمعة ليفاجئ الناس مباشرة بكذب الخادم ، وأن هذا الولى لا يملك لهم ولا لنفسه ضرا ولا نفعاً ... ومع أن هذا حق واضح لكل ذى لب وعقل ، إلا أن النتيجة لم تكن لصالح الطبيب ، بل كانت لصالح الخادم ووليه حيث أيقن أهل القرية بصدق الخادم وكرامه الولى الذى كشف الله عنه وعلم بمجئ هذا الزنديق للاعتداء على كرامته فقد نجح الخادم فى الإيقاع بالطبيب وهذا ذكاء منه فى باطله .

وهذا يجعلنا نقول : إن الطبيب أخطأ فى التبليغ حيق اكتفى بأنه على الحق ولم يراع شعورا المدعوين ولا نفسياتهم ، وكان عليه رسم خطة للتبليغ لاتباعها والسير عليها ، حسب الاحداث :

١- لابد أن يوثق الصلة بينه وبين مدعويه ، ليقيم جسورا من الثقة بينه وبينهم ، مع عدم التعرض للولى بشئ .

٢- أن يبدأ فى دعوته بالأفراد العقلاء ومحاولة إقناع كل على حده مراعيا عدم الاصطدام بمشاعرهم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوته هى الحق ، ظلت دعوته سرية وفردية ثلاث سنوات قبل الجهر بها .

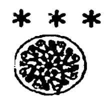
٣- كان يمكنه توظيف إخبار الخادم أهل القرية بأن زنديقا سيأتى إلى المسجد للنيل من كرامه الولى ، بأن لا يذهب إلى المسجد فى هذا اليوم ....

ويثير تساؤلا لماذا لم يأت الزنديق للتشكيك فى اخبار الخادم والشيخ .... وان يخطط بعد ذلك لاتمام الدعوة على حسب مايرى (١) ويعبر على ذلك ويتحلى بالجلد والحلم واخلاص النيه وصدق العزيمة .... والذكاء والفطنة .

فلابد من الخطة والمنهج ، ولذا فإن الدعوة لابد للنجاح فيها من التخطيط السليم واختيار الاسلوب المناسب مع توثيق الصلة بين الدعاه ومدعويهم .

فهذا بيان لما يراد من معنى المنهج والأسلوب والوسيلة فى مجال الدعوة إلى الله مع ذكر نماذج من القرآن وغيره لإبراز هذه المعانى لتكون أسساً لتبليغ الدعوة ونشرها بين المسلمين وغيرهم ، على نحو ماسيتبين لنا فى الباب الثانى إن شاء الله

* * *



(١) أنظر النموذج السابق للتخطيط السليم .

الباب الثاني

مناهج الدعوة ونماذج لها

* تمهيد

الفصل الأول : مناهج دعوة المسلمين

الفصل الثاني : نماذج تطبيقية لدعوة المسلمين

الفصل الثالث : مناهج دعوة غير المسلمين

الفصل الرابع : نماذج تطبيقية لدعوة غير المسلمين

الفصل الخامس : الداعي إلى الله بين الإعداد والتطبيق

تمهيــــد

بعد أن تعرفنا فى الباب الأول على معانى محددة لكل من المنهج والأسلوب والوسيلة ، وبينا أن الأساليب القرآنية هى الأساليب الرئيسية وتدور حولها كل الأساليب الفرعية وأن مرد الجميع إلى امرين العقل ويرد إليه كل الأساليب العقلية بشتى صورها ، والقلب وترد إليه كل الأساليب القلبية المعتمدة على الانفعالات والعواطف المكونة لوجدان المدعو ،وبعد أن ضربنا أمثله من القرآن من خلال دعوات رسل الله نوح وإبراهيم وموسى عليهم السلام ، وأمثلة غير قرآنية لبيان أهمية دقة رسم المنهج أو الخطة الدعوية ، واختيار أسلوب التبليغ المناسب والوسائل الملائمة لحال المدعوين ، نأتى فى هنا الباب لنبين مناهج تبليغ الدعوة للمسلمين ، ولغيرهم ، إذا أن ما يعتمد عليه فى تبليغ المسلمين من الركائز والمسلمات غير ما يعتمد عليه عند غير المسلمين ، فالمسلم فى قلبه ركيزة الإيمان بالله ، ويشهد الا اله الا الله وان محمداً رسول الله ، وما وقع منه من معصية يمكن رده عنها يتذكيره بالله وهدى رسول الله مع اختيار ما يلائمه من الأساليب ، أما غير المسلم فقد يكون منكراً نهائياً للدين ولوجود الله كالملاحدة ، أو يكون من أهل الكتاب ، أو مشركاً . وهذا نبدأ معه دعوته من حيث يقر ويسلم ، ولذا فإن إبراز مناهج دعوة كل فريق فى حدود القرآن والسنة هو هدفنا فى هذا الباب ، وسيكون ذلك بمشيئة الله من خلال أربعة فصول الأول : مناهج دعوة المسلمين ، والثانى نماذج عليها ، والثالث مناهج دعوة غير المسلمين ، والرابع نماذج عليها - وكل ذلك من خلال القرآن الكريم وهدى النبى صلى الله عليه وسلم وصحابته والتابعين رضوان الله عليهم اجمعين ، ثم نذيل الباب بفصل خامس لبيان الطريقة المثلى فى تصورنا لإعداد الدعاه وتدريبهم على مباشرة مناهج الدعوة .

والله هو الموفق والهادى إلى سواء السبيل .

الفصل الأول

مناهج دعوة المسلمين

* مراعاة طبائع المدعوين
* مراعاة ثقافات المدعوين
* بدء الدعوة من مسلمات المدعو
* مراتب المسلمين فى الطاعة والامتثال
* اساس العلاج العودة إلى الكتاب والسنة

مناهج دعوة المسلمين

بما أن الدعوة إلى الإسلام والتزامه تكون للمسلمين ولغيرهم فإن القرآن الكريم قد أورد الأدلة والبراهين والأساليب المختلفة والمتنوعة لإقامة الحجة على الخلق جميعاً لهدايتهم وإرشادهم موجهاً خطابه إلى كل البشر دون تفريق فى قضايا الدعوة . فالكل مخاطبون بأصول العقيدة وأحكام الشريعة والأخلاق . والقرآن الكريم وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم هما المصدران الأساسيان للداعى إلى الله يستمد منهما دعوته وأصولها وأساليبها ليباشر تبليغ دين الله تعالى إلى الناس معلماً إياهم مبيناً لهم مترسماً هدى رسول الله صلى الله عليه إلا أن هناك أموراً لابد أن يراعيها من يقوم بالدعوة ليحقق هدفه من دعوته وليصادف نجاحاً فى جهده وتحقيق غايته . وأهم هذه الأمور :

١- مراعاة طبائع المدعوين : (١)

عليه أن يدرك أن طبائع البشر ليست متكافئة ولامتساوية . فمنهم الهادئ الوديع ومنهم الحاد العنيف . وكل منهم له طاقة معينة على الفهم والإدراك حيث آثار البيئة والثقافة والتقاليد والعادات الاجتماعية . إذ أن للبيئة آثاراً واضحة فى تكوين شخصية الفرد والجماعة . ويرى العلامة ابن خلدون أن للمناخ تأثيراً واضحاً فى اعتدال البشر وسلامة طباعهم وانحرافهم وسوء الطباع . حيث يذكر بعد تقسيم الأرض إلى أقاليم مناخية حارة ومعتدلة وباردة أن لكل إقليم آثاراً فى حدة الطباع والجفاء فى المعاملة . أو هدوء الطباع وحسن المعاملة . كما ان لها آثارها فى أخلاق البشر . فأهل الإقليم الحار يتسمون بالحدة وجفاء المعاملة وفى طباعهم حرارة .

---

(١) الطبع هو الخلق . وفى علم النفس : مجموعة مظاهر الشعور والسلوك المكتسبة والمورثة التى تميز فرداً عن آخر (المعجم الوسيط جـ ٢) .

وأهل الإقليم البارد يتسمون بالهدوء فى الطباع ، وما بينهما معتدل الطباع أقرب إلى مكارم الأخلاق وإلى الفطرة ، كما تتأثر الطباع كذلك بالبيئة من حيث كونها بدوية أو حضرية (١) ولكل مجتمع بيئته التى ينشأ فيها أفراده من البشر يتلقون عن مجموع أهل هذه البيئة ثقافتهم وعاداتهم وتقاليدهم ، بمالها وما عليها من حسنها أو قبيحها ، ممدوحها ومذمومها ، فعلى الداعى إلى الله أن يكون فطنا ذكيا يعرف مداخل شخصيات مدعوية ، ويعرف كيف يتغلغل بدعوته إلى شخصية المدعو بما لايثيره ضد دعوته ، وبما يريحه نفسيا لسماع الدعوة وقبولها ، أو على الأقل التفكير فيها الذى يتحول بالإلحاح الذكى من الداعى إلى اتباع وسلوك والتزام .

٢- مراعاة ثقافات المدعوين :

وعلى الداعى أن يعرف من يدعوه من حيث كونه أمياً ، أو عالماً ، وما يؤثر فى عقله من الثقافات والعلوم التى توجهه فى مختلف مواقف الحياة ويتعرف على أساسها ، وذلك ليسهل على الداعى الدخول إليه من مسلمات ثقافته ، أو ما يتأثر به من العادات والتقاليد الاجتماعية ، فما يصلح خطاباً لجماعة قد لايصلح لفرد ، وما يقنع فرداً قد لايؤثر فى آخر لأن العقول متفاوته الإدراك ، متأثرة بنوع الثقافة والتعليم والتربية ، والنشأة والقيم المغروسة فى الأفراد عند التنشئة الإجتماعية حسب عقيدة كل أسرة واخلاقها وبيئتها وما يقنع شخصاً بسيطاً فى ثقافته لايقنع عالماً باحثاً يعتمد على تفكيرة وعقله وفكره ، والعكس صحيح فما يقتنع به العالم من الأدلة الدقيقة والبراهين القوية قد لايفهمه مطلقاً شخص أمى

(١) انظر تفصيل الموضوع فى مقدمة ابن خلدون من المقدمة الثالثة : تأثير الهواء فى ألوان البشر والكثير من احوالهم إلى نهاية المقدمة الخامسة : تأثير الخصب والجوع فى الأبدان والاخلاق .

بسيط ، وهذا ما يجب أن يراعيه الداعى إلى الله بأن يخاطب كل صنف بما يفهم من أساليب الدعوة ، وهذا مفهوم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (أنزلوا الناس منازلهم) (١) فى التعامل ، وفى خطابهم فكل له منزلته ومكانته عاليه كانت أو دانيه .

٣- بدء الدعوة من مسلمات المدعو :

وتطبيق ذلك فى دعوة المسلمين ، يجب العلم أو لا بأن المسلم لديه ركيزة نفسية وعقدية ومواقف سلوكية استقاها وتربى عليها من خلال تعاليم الإسلام وتنشئته فى أسرة مسلمة فى مجتمع مسلم ، فكل مسلم يؤمن بما جاء به رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم من العقيدة والشريعة والأخلاق وعلى هذا الأساس تقوم الدعوة .

ركيزة دعوة المسلمين : والمسلمون على اختلاف مراتبهم من طاعة أو معصية يخاطبون من منطلق إيمانهم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، من منطلق تسليمهم بأن الله تعالى متصف بكل كمال ومنزه عن كل نقص ، وتصديقهم برسالة النبى صلى الله عليه وسلم وإذعانهم لكل ما جاء به من العقيدة والشريعة والأخلاق ، وأن القرآن الكريم كتاب الله المنزل إليه للتشريع والبيان والإعجاز والتحدى ، وهو دليل ومعجزة وبرهان على صدق نبوه محمد صلى الله عليه وسلم .

---

(١) رواه أبو داود - كتاب الأدب باب تنزيل الناس منازلهم جـ ٤ ص ٢٦١ ط دار الفكر العربى .

فالأصل فى كل مسلم أنه يصدق كل ذلك بلا أدنى شك أو ريب فإن انكر أو شك فى أى عقيده ، أو انكرة معلوماً من الدين بالضرورة خرج من دائرة المسلمين ، ودعى بغير ما يدعى به المسلمون .

وعلى ذلك فإنه يدعى بناء على عقيدته وتدينه ، فيكتفى فى عرض القضية موضوع الدعوة بإيراد الدليل من الكتاب والسنة مع إيضاحه برفق وبساطة ليصل المعنى المقصود إلى قلوب السامعين من المدعوين ، دون الخوض فى الأمور الدقيقة وخلافات الفقهاء أو لإثارة جدل حول الموضوع بدعوى التوضيح والبيان ، وعندئذ لايزيد الموضوع إلا إبهاماً وبعداً عن فهم المودعوين ، فليكن الداعى كالطبيب الذى يعطى جرعة الدواء المناسبة للمريض التى تكون سبباً لشفائه ، والزيادة فيها قد تكون سبباً لزيادة مرضه ، أو موته .

<u>مراتب المسلمين فى الطاعة والإمتثال</u> : ليعلم الداعى أن المسلمين ليسوا جميعاً على درجة واحدة فى تمسكهم بدينهم وصلتهم بالله ، فعليه أن يراعى ذلك الاختلاف فمنهم الطائع التقى وهو السابق بالخيرات ، وهذا يكفيه التوجيه وذكر النص الشرعى ليزداد يقيناً وثباتاً .

ومنهم العاصى الظالم لنفسه الذى استباح كل معصية ، وهذا يدعى بذكر الأدلة من الكتاب والسنة والترغيب فى الطاعات ، والترهيب من المعاصى والسيئات بإيراد المناسب لحالة من المرغبات كالبركة فى المال ، والسعة فى الرزق ، والحفظ من النوائب والمخاوف وذلك كله لايملكه أحد إلا الله وحسن الصله به تعالى هى التى تحقق ذلك وايراد المرهبات كالابتلاء بالأمراض ، وذهاب الأموال ، ونزع البركة من النفس والمال والولد ... وهذه المخاوف وتلك المقلقات لايكشفها إلا الله ، فالذى يكشف الضر هو الله وحده ... ويجتهد الداعى فى ذكر أمثلة ونماذج من الواقع يراها المدعو ويوقن بها فإن ذلك أدعى إلى جعل قلبه يتجه إلى الطاعات مع إعطائه

القدوة العملية ومصاحبتة لكسب صداقته لتعويده على الطاعات وإبعاده عن المعصية ، ومن انواع المسلمين : المقتصدون الذى خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً وهم أكثر الأمة ، وهؤلاء تعرض عليهم الأدلة ، ويذكرون بنعم الله عليهم وتحذيرهم من ذهابها ، وأنها تدوم عليهم بشكر الله عليها بطاعته وأداء الحقوق والتزام الأخلاق الكريمة ، كقوله تعالى : ﴿ لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم إن عذابى لشديد ﴾ (١)
وأنهم إن اخطاؤا فى حق الله " فإن خير الخطائين التوابون" والرجوع إلى الحق خير من التمادى فى الباطل .

ويجب التركيز على أن كل هذه الأصناف من المسلمين من الطائع التقى إلى العاصى الظالم لنفسه مروراً بالمقتصد ، وبرغم تفاوتهم فى درجة الطاعة والقرب من الله ، أو المعصية والبعد عنه كلهم مسلمون مؤمنون بالقرآن ورسالة النبى صلى الله عليه وسلم ، وبسائر أمور العقيدة والشريعة فإذا أنكر أى منهم معلوما من الدين بالضرورة ، أو شك فى أمر ثابت كالرسالة أو فى وجود الله سبحانه وتعالى ، وسائر صفاته خرج عن وصفه بالإسلام ويدعى كما يدعى غير المسلمين ، فنبدأ معه من نقطة تسليمه لإزالة ما عرض له من شبهة ، لنبدأ معه خط الدعوة ونسير معه بالأدلة والبراهين إلى أن يسلم بما أنكر بزوال شبهته أو رده عن عناده ، ثم يدعى كمسلم والا نكون كمن بنى جداراً على غير أساس .

فلا يجوز دعوياً : أن آتى إلى كافر ملحد وأقول له عليك بالمحافظة على الصلوات فى أوقاتها وحضور الجماعات لما فيها من ثواب عظيم ، لأن الله أمر بذلك وقال : ﴿ قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون ﴾ ولأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : صلوا كما رأيتمونى أصلى - فهذا يدعى به مسلم مصدق بكل ذلك أما

---

(١) سورة إبراهيم آية ٧

الملحد فلا يدعى بهذه الطريقة وذلك الأسلوب .. لأنه منكر لوجود الله أصلاً ، فيدعى أولا إلى الإيمان بوجود الله بذكر الأدلة البراهين العقلية ، فإذا سلم بذلك يدعى إلى الإيمان بالرسالة ويصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرض الأدلة والبراهين كذلك فإذا سلم فليدع إلى ما يترتب على ذلك التصديق بإقامة أركان الدين وبأسلوب دعوة المسلمين ، فهو قبل ان يتحقق من عقيده (لا إله إلا الله ، محمد رسول الله) منكر لوجود الله ، والآخرة ولكل الغيبيات كافر برسالة النبى ، فكيف أطالبه بما شرطه الإسلام ؟

أساس العلاج العودة إلى الكتاب والسنة :

ولما كان مصدر الدين والتشريع القرآن الكريم ، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم كمصدرين أصليين ، يأتى بعدهما مصادر تبعية أخرى كالقياس والاجتهاد ، والاستحسان ، والمصالح المرسلة ... إلخ إلا أن مرد الجميع إلى الكتاب والسنة حيث إن الأدلة التفصيلية والقواعد فيهما ، فإن العقيدة والشريعة والأخلاق كلها مستمدة من أدلتها التفصيلية ولذا فإن أصل كل المعاصى هو مخالفة الكتاب والسنة ، وهذا سبب جميع أدواء البشر ، ففى سبيل المثال: تارك الصلاة مخالف للأمر بأدائها ، والمتسرع فى أدائها الذى ينقرها نقر الغراب مخالف للخشوع فيها ، والبخيل الممسك مخالف للأمر بالإنفاق والسخاء ، والساخط مخالف للأمر بالصبر والرضا بالقدر ، والجبان الرعديد مخالف للتوكل وعقيدة القدرة وهكذا فإن أصل الدواء لكل هذه الأمراض العقدية والسلوكية وغيرها هو العودة إلى الكتاب والسنة والتزام توجيههما ، والداعى الناجح هو الذى يعيد الشارد عن الدين والتزام هدية بلطف ولين ولايجعله ينفر منه أو يتمادى فى غيه وضلاله .

وفى كل حالة تستعمل الأساليب الدعوية : الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى احسن ، مع من توجه إليه الدعوة بحسب حالة .

وليحذر الدعاة عند مخاطبة طائفة من المسلمين إثارة أمور جدلية كإثارة شبهات معينة للرد عليها ما لم تكن هناك ضرورة ملحة إلى ذلك ، فإن البعض يحلو لهم إظهار علمهم وقدرتهم على الجدل بإثارة قضايا أو شبه أوردها المستشرقون حول النبوة والرسالة أو أمور أخرى ويشرعون في الرد عليها وهذا الأمر ضرره أكبر من نفعه ، حيث إنه سيثير شبها في عقول السامعين لم يعرفوا عنها شيئا وهم في غنى عنها ، وقد لا يوفق الداعي في الرد ، أو لا يفهم الحاضرون ما رد به على ما أثاره في أذهانهم ، فتبقى الشبهة قائمة في قلوبهم وأنها ليس لها رد ، فيكون كالطبيب الذي زاد مقدار الدواء للمريض فلم يكن سببا في شفائه وإنما كان سببا في زيادة مرضه لكن إذا اعترض أحد المشككين على موضوع الدعوة بإثارة الشبهة فعندئذ يرد عليه الداعي حسب حالة في الاعتراض ، إن كان علنا في جمع فليكن الرد علنا ، وإن كان سرا فليكن الرد سرا .

فإن الداعي أشبه بالطبيب يشخص الداء ويصف الدواء بالقدر المناسب والطريقة الملائمة لحال المريض ، وهو - أي المريض - عندنا هو العاصي فهو مريض دعويا وطبيبه الداعي الناجح ودواؤه من الكتاب والسنة .

وعلى ذلك يمكننا تلخيص المنهج الآتي في دعوة المسلمين :

أ- عند وجود مخالفة أو معصية يحدد الداعي اتفاق العلماء على كونها مخالفة من عدمه فإذا تعددت المخالفات تطرق إليها وقدم منها ما يتعلق بالعقيدة ، ثم أتبعها بما يتعلق بالعبادات ثم الأخلاق والسلوك - بشرط اتفاق جميع العلماء على كونها مخالفة ولا مجال للاجتهاد فيها .

ب- بعد تحديد المخالفة يحدد سببها ، وكيف ارتكبها الناس ، وهل هي موروثة عن الأجيال السابقة ، أو هي عارضة حديثة الظهور ؛ لأن ما كان جديدا منها يسهل تغييره ، بخلاف الموروث عن الآباء والأجداد فإنه مرتبط بالعواطف

الممتدة إلى الآباء وما كانوا عليه والحفاظ على عاداتهم حسنة كانت أو قبيحة .

جـ- بعد دراسة أسباب المخالفة ، يبحث فى شخصيات المدعوين وثقافاتهم وميولهم ، ويحدد كيف يتسلل إلى نفوسهم ليسمعوا كلامه ويقبلوا دعوته وليحذر فى كل تعامله معهم الأصطدام بمشاعرهم أو التعسف معهم أو رميهم بالجهل ، أو بسبب آبائهم لارتكابهم هذا الخطأ مهما كان نوع المخالفة لأن ذلك يجعلهم ينفرون منه ويرفضون دعوته مهما كانت ، وليعلم أن فى قلب كل انسان بارقه نور فليدخل منها لتتسع وتستقر الدعوة فى قلبه ويستجيب لترك المخالفة .

د- ينتقى من أساليب الدعوة العاطفية أو العقلية أو النوعين معاً ما يناسب حال المدعوين العقلية ، من الأمية أو العلم ، وليلاحظ الداعى أن هناك بعض الأشخاص قد يكونون اميين (غير قارئين ولا كابتين ولايحملون أيه شهادات دراسية) لكن تجارب الحياة صقلتهم وأكسبتهم خبرة ومهارة فى القول ولديهم ذكاء فطرى ، ويعتمد فى تصحيح المخالفة أو المنكر على الكتاب والسنة وبيان الحكم ببساطة ووضوح بدون تعسف أو تعالم - مع مراعاة أسلوب العرض المناسب .

هـ- إذا عرضت شبهه أو مغالطة حول الموضوع سمعها المدعوون من أحد المغالطين أو قرأوها فى كتاب أو صحيفة ، أو سمعوها من إحدى وسائل الإعلام فعلى الداعى ان يرد عليها بوضوح وربط الموعوين به عند الرد وتقرير الصواب باشراكهم فى حوار بسيط معتمدا على مسلماتهم الدينية والعقدية حتى يتأكد زوال الشبهة من النفوس .

و- بعد الرد على الشبهات وتصحيح المغالطات (إذا وجدت) يعرض الحكم الذى يريده والرأى الصحيح فى موضوع المخالفة ويشرحها للحاضرين .. وليعلم الداعى أنه يجب ان يتابع هذا التصحيح بالمزيد من الدروس والخطب والمحاضرات فى أوقات متعاقبة ولايتوقع أن يتحول المدعوون من المخالفة إلى الطاعة ، ومن المنكر إلى المعروف طفرة ، هذا مع إعطائهم النموذج العملى عن طريق القدوة الحسنة والأسوة الصالحة بالتزام ما دعاهم إليه فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ظل يقرر التوحيد ويدعو إليه فى مكة ثلاث عشرة سنة ويجب أن يلاحظ الدعاة أن هذا الإصلاح يحتاج إلى صبر وتحمل والحرص على الالتقاء بالمدعوين وانتهاز الفرص وتحين الأوقات المناسبة للبيان والتوضيح ، وليعلم انه سيكون له معارضون فليصبر عليهم ويتحلى بأخلاق الرسل صلوات الله عليهم ﴿ فاصبر كما صبرا ولوا العزم من الرسل ﴾ [١] فالكل صبروا على أقوامهم فحققوا الهدف ووصلوا إلى الغاية وهو توحيد الله وعبادته ، فحققو السعادة لمجتمعاتهم .

* * *

---

(١) سورة الاحقاف من آية ٣٥

الفصل الثانى

نماذج لدعوة المسلمين

* تمهيد

المبحث الأول :

* نماذج من القرآن الكريم

المبحث الثانى :

* نماذج من السنة النبوية

المبحث الثالث :

* نماذج عامة من غير الكتاب والسنة

تمهيـــــــد

بعد بيان منهج دعوة المسلمين إلى الله ، وأن دعوتهم لابد أن تعتمد على تخطيط سليم على أسس صحيحة من حيث أحوال المدعوين ، نفسيا ، وثقافيا ، واجتماعيا لتصادف منهم قبولا واستجابة ، بقدر إخلاص الداعى لدعوته وصبره عليهم ، ودقة اختياره للأساليب المناسبة لهم ، فإننا هنا نشير إلى حقيقة هامة هى أن القاسم المشترك بين كل المسلمين على اختلاف أصنافهم ودرجات التزامهم بدينهم أنهم جميعا يؤمنون بالله سبحانه وتعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .. على نحو ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديث جبريل " الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره " فهذه حقائق مسلمة لدى كل مؤمن .. وبعدها تأتى الأركان العملية : إقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا ... وسلامة الاعتقاد شرط لصحة هذه الأعمال وتلك العبادات إذ لا قيمة لمزك لايؤمن بالله ، أو لصائم يشك فى البعث ، أو لحاج يكذب بأخبار القرآن فلا يعتقد وجود الملائكة ، وعند وقوع المسلم فى مثل هذه الشكوك فإنه يخرج من دائرة المؤمنين ويدعى دعوة غير المسلمين حسب مقتضى ، حاله ودرجة شكه ولذلك فإننا فيما يلى نورد نماذج لدعوة المسلمين مبرزين فيها اعتمادها على ركيزة الإيمان بالله وتصديق النبى صلى الله عليه وسلم كأساس تدور حوله الدعوة إلى الله ، وتلك النماذج على النحو التالى :

أولاً :– ثلاثة نماذج من القرآن الكريم بدأت نبداء الايمان ، وهى :

فى الصيام ، وآداب الاستئذان ، والإصلاح بين الخصوم .

ثانياً :– ثلاثة نماذج من السنة النبوية خوطب فيها المؤمنون وهى :

خطبة الوداع ، خطبة فى الحث على العمل الصالح ، فضل الله على عباده من خلال حديث قدسى .

ثالثاً :- نموذجان لموعظتين إحداهما قديمة لقطرى بن الفجاءة فى التحذير من الدنيا والاغترار بها ، والأخرى حديثة نسبيا للإمام المراغى فى الدعوة إلى التزام الدين والتمسك به والتحذير من المعاصى والسيآت ، وقد اتبعنا كل نموذج بتعليق خفيف يبرز الغاية من إيراده كما سياتى بيانه إن شاء الله.

المبحث الأول

نماذج من القرآن الكريم

أولاً :- دعوة المؤمنين إلى صيام رمضان :

يقول الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . أياما معدودات فمن منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون . شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهر منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولايريد لكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون ﴾ (١) .

ففى هذه الآيات يخاطب الله عبادة الذين آمنوا به وصدقوا رسوله وسلموا بما جاءهم به بتكليفهم بالصيام وهو تشريع معتمد على الإيمان بالله سبحانه وتعالى فلا يجوز من غير مؤمن ، فلايصح إلا من المؤمن الذى يرجو ثواب ربه ويخشى عقابه ويبغى النجاة من النار والفوز بالجنة . وهذا أمر من الله لعباده بالصوم وهو الإمساك عن الطعام والشراب والوقاع بنية خالصة لله عز وجل لما فيه من زكاة النفوس وطهارتها وتنقيتها من الأخلاط الرديئة والأخلاق الرذيلة . والصوم كعبادة يحتاج إلى الصبر والمجاهدة وهذا لايكون إلا من منطلق الإيمان بالله والثقة بثوابه كما أنه مقدمه للتقوى التى يحرص عليها كل مؤمن ويعمل جاهداً على التحلى بها(٢) . كما أن تذييلات الآيات فى هذا المقام مما يحرص عليه المؤمن ، فقوله :

---

(١) البقرة ايات : ١٨٣ - ١٨٥ .

(٢) تفسير ابن كثير جـ١ صـ٢١٤ .

﴿ لعلكم تتقون ﴾ أى المعاصى بالصيام لأنه أظلف لنفسه وأردع لها عن مواقعة السوء ولعلكم تنتظمون فى زمره المتقين إذا الصوم شعارهم .. [(١)] وهذا مطلب كل مؤمن يحرص على رضا ربه ، وقوله فى الآية التالية : ﴿ وأن تصوموا خيرلكم إن كنتم تعلمون ﴾ وصيامكم أيها المطيقون خيرلكم من الفدية أو تطوع الخير إن كنتم تعلمون ما فى الصوم من الفضيلة وبراءة الذمة وقيل معناه إن كنتم من أهل العلم والتدبر علمتم أن الصوم خير لكم من ذلك ، ولأن المؤمن حريص على الخير حيث كان والصوم خير له فهو يحرص عليه ويفعله وفى الآية الأخيرة يقول : ﴿ ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون ﴾ يقول البيضاوى : أى وشرع جملة ما ذكر من أمر الشاهد بصوم الشهر والمرخص بالقضاء ومراعاة ما افطر فيه .... و "لعلكم تشكرون" علة الترخيص والتيسير أو الأفعال لفعله [(٢)] (أى تشكرون الله لاكمال العدة وتكبيره والتوفيق لعبادته وأداء الصوم كاملاً) ، فالتقوى ، والخيريه وشكر الله على نعمه أهداف وغايات لكل مؤمن فهو يحب أن يكون تقيا ، خيراً وأهلا لكل خير فى الدنيا والآخرة ، ويحب أن يكون شاكرا لربه على توفيقه إياه للعبادة والعمل الصالح وعلى سائر نعمه المتوالية ، وهذه الأخلاق الكريمة قد استقرت فى قلب كل مسلم من منطلق الإيمان بالله والتصديق بثوابه وعقابه ، وهذا التشريع برسم للمؤمن الطريق إلى تحقيق هذه الأخلاق وتلك المعانى السامية ، ولذلك بدئ الخطاب بنداء الايمان لارتكاز الغاية من هذا التشريع الحكيم على مطالب الإيمان والتصديق .

* * *

---

(١) انظر تفسير النسفى جـ ١ صـ ٩٣ - ط الحلبى .

(٢) انظر تفسير البيضاوى جـ ١ صـ ١٠٦ .

ثانياً : دعوة المؤمنين إلى وجوب الاستئذان :

يقول تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون . فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعلمون عليم . ليس علكيم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون ﴾ (١) .

فهذه الآيات ينادى الله تعالى فيها عباده المؤمنين مبيناً لهم حرمة دخول البيوت بلا استئذان أهلها وساكنيها لما فى ذلك من كشف عورات الآخرين وإيقاعهم فى الحرج الشديد ، وهذه آداب شرعية يخاطب الله تعالى بها عباده المؤمنين وذلك فى الاستئذان حيث أمرهم ألا يدخلوا بيوتاً غير بيوتهم حتى يستأذنوا ويستأنوا قبل الدخول ويسلموا بعده ، وينبغى أن يستأذن ثلاث مرات فإن أذن له وإلا انصرف كما ثبت فى الصحيحين أن أباموسى الأشعرى حين استأذن على عمر ثلاثاً فلم يؤذن له انصرف ، ثم قال عمر : ألم أسمع صوت عبد الله ابن قيس يستأذن ؟ ائذنوا له فطلبوه موجدوه قد ذهب ، فلما جاء بعد ذلك ، قال له ما أرجعك ؟ قال : استأذنت ثلاثاً فلم يؤذن لى وإنى سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : (إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فلينصرف) فقال عمر : لتأينى على هذا ببينة وإلا أوجعتك ضرباً فذهب إلى ملإ من الأنصار فذكر لهم ما قال عمر فقالوا : لايشهد لك إلا أصغرنا فقام منه أبو سعيد الخدرى فأخبر عمر بذلك فقال : ألهانى عنه الصفق فى الأسواق .. (٢) ولايخفى ما فى الاستئذان من مراعاة لمشاعر الآخرين

---

(١) سورة النور آيات : ٢٧ - ٢٩ .

(٢) الحديث رواه البخارى كتاب الاستئذان باب التسليم والاستئذان ثلاثا جـ ٨ صـ ٦٧ .

وحفظ حرمات البيوت وستر عورات أهلها ، والآيات قد اعتمدت على متعقدات المخاطبين من الإيمان بالله تعالى والحرص على رضاه والتزام أوامره واجتناب نواهيه ، ولحرص المؤمن على الخيرية والطهاره الظاهرة والباطنة فإن الله يقول له : ﴿ ذلكم خيرلكم ﴾ أى خير للطرفين للمستأذن وأهل البيت كما أن الرجوع قبل الاستئذان أو بعده أزكى وأطهر إذ أن الله عليم بأعمال كل العباد وما تنطوى عليه القلوب والبيوت من الأسرار والخفايا . (١)

ولو تأملنا تذاييل الآيات وماختمت به كل منها لوجدنا أنه مرتكز على عقيدة الإيمان بالله ومستقر فى قلب كل من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر وإطمأن قلبه بذلك ووقر فيه ففى ختام الآية الأولى ﴿ لعلكم تذكرون ﴾ أى لتتعظوا وتتذكروا وتعملوا بما أمرتم به فى تشريع الاستئذان ، وهو أصلح لكم وفى ختام الآية الثانية : ﴿ هو أزكى وأطهر ﴾ أى الرجوع أطيب وأطهر لما فيه من سلامة الصدور والبعد عن الريبة .. ولما كان الرجوع له أثر على النفس وربما كان مدعاة إلى غضب المستأذن من أهل البيت فإن الله بين ما فى ذلك من طهارة النفس وسلامة الصدر ، ولأن المؤمن حريص على ذلك من منطلق إيمانه ، فإن الأثر السئ للرجوع يخف ويزول من الصدر ، وقيل : " هو أزكى لكم" أى الرجوع أطهر لكم عما لايخلو الإلحاح والوقوف على الباب عنه من الكراهة وترك المروءة أو أنفع لدينكم ودنياكم .. (٢) وقوله تعالى ﴿والله بما تعملون عليم ﴾ هذا أيضاً مركوز فى قلب المؤمن من حيث إنه آمن بأن الله تعالى متصف بكل كمال ومنزه عن كل نقص ومن صفاته "العلم" فالله تعالى مطلع على خلقه يعلم ظواهرهم وبواطنهم وسرهم وجهرهم ، فإن الله يقرر أنه سبحانه وتعالى عليم بعمل عباده فيعلم ما

(١) انظر تفسير ابن كثير جـ ٣ صـ ٢٨١ .

(٢) انظر البيضاوى جـ ٢ صـ ١٢١ ، وانظر النسفى جـ ٣ صـ ١٤٠ .

يأتون به وما يذرونه مما خوطبوا وأمروا به فيجازيهم عليه ، كما أن ذلك معتمد على مراقبة المؤمن ربه ومحاسبته نفسه "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك" وهذه كلها معتقدات المؤمن وأخلاقه ..

وفى تذييل الآية الثالثة : ﴿ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون ﴾ وهى وعيد لمن دخل مدخلاً لفساد أو تطلع على عورات ، وهو أيضاً معتمد على الإيمان بعلم الله بالظاهر والباطن ، وما تنطوى عليه نفوس الخلق من نوايا حسنة أو سيئة فيجازى على ذلك وفق علمه سبحانه وتعالى بالنية والدوافع إلى الفعل ..

فهذه كلها مسلمات عند كل مؤمن وقرت فى قلبه واستقرت فى وجدانه وعلى أساسها كان توجيه الخطاب .

ويتضح ذلك أيضاً فى آيات غض البصر فالأمر هو" فالأمر هو ﴿ قل للمؤمنين ..﴾ والمأمور به : أن يغضوا أبصارهم ويحفظوا فروجهم .. والعلة "ذلك أزكى لهم" أى أطهر لهم والتذييل " إن الله خبير بما يصنعون" فيحاسبهم عليه ويجازيهم به ، والأمر الثانى " وقل للمؤمنات .." والمأمور به غض البصر وحفظ الفروج وعدم إبداء الزينة للأجانب .. والتذييل : ﴿ وتوبوا إلى الله جميعاً أية المؤمنون لعلكم تفلحون ﴾ إذ لايكاد يخلو أحد منكم من تفريط سيما فى الكف عن الشهوات وقيل توبوا مما كنتم تفعلونه فى الجاهلية فإنه وإن جب بالإسلام لكنه يجب الندم والعزم على الكف عنه كلما يتذكر [١] والتوبة إلى الله تعالى مرتكزها الايمان بالله وبتيقن أنه سبحانه واسع المغفرة وأنه يغفر الذنوب جميعاً ، وذلك من غايات المؤمنين وأهدافهم .

* * *

---

(١) السابق ١٢٢ .

ثالثاً :- الدعوة إلى الإصلاح بين الخصوم والعدل بينهم :

يقول الله تعالى : ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفئ إلى أمر الله ، فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين . إنما المؤمنون إخوه فلأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون ﴾ (١) .

هاتان الآيتان من سورة الحجرات التى استهلها الله سبحانه وتعالى بنداء الإيمان ﴿ يا أيها الذين آمنوا .. ﴾ ولذا فإن اغلب ما فيها من خطابات وأوامر شرعية خوطب به المؤمنون ، فإنها - أى آيات الاصلاح وقعت فى سياق نداءات المؤمنين ومخاطبتهم بشتى التشريعات والآداب .

فقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدى الله ورسوله .. الخ ﴾ وقال : ﴿يا أيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى .. الخ ﴾ وقال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنباء فتبينوا .. الخ ﴾ ثم قال : ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا .. الخ ﴾ وهى فى مجملها تدعو المؤمنين إلى الاصلاح بين المتخاصمين المتنازعين من المؤمنين ورد الظالم عن المظلوم حتى ولو كان ذلك بطريق القوة والردع ، فمقتضى هذا الأمر لابد أن يكون عندى ثلاث طوائف : الأولى ظالمة معتدية ، والثانية مظلومة ومعتدئ عليها ، والثالثة رادعة مصلحة تحكم بين الأولى والثانية ، وتصلح بينهما بالعدل والقسط ، وقد قيل فى سبب نزول هذه الآية إنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لو أتيت عبد الله بن أبى ، فانطلق اليه النبى وركب حماراً وانطلق المسلمون يمشون ، وهى أرض سبخة فلما انطلق النبى إليه قال : (إليك عنى فو الله لقد آذانى ريح حمارك) فقال رجل من الأنصار "والله

---

(١) الحجرات آيتا : ٩ - ١٠ .

لحمار رسول الله أطيب ريحاً منك" ، قال فغضب لعبد الله رجال من قومه ، فغضب لكل منهما أصحابه فكان بينهم ضرب بالجريد والأيدى والنعال فبلغنا أنه أنزلت فيهم: ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين .. ﴾ (١) والآيات أمر بالإصلاح بين المتخاصمين ورد الطائفة المعتدية فإن أبت وامتنعت وأصرت على اعتدائها ، فالقتال إلى أن تكف عن ظلمها وتفئ عن بغيها ، وعندئذ يكون الحكم بينهما بالعدل والقسط ، والعدل يكون بينهما فيما كان أصاب بعضهم من بعض . وبالتأمل فى تذييل الآيات نجد أن ذلك بأمور استقرت فى قلوب المؤمنين ويحرصون على تحقيقها وتأكيدها .

ففى مستهل الآية : ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين ﴾ فوصف الطائفتين بالإيمان ، والمأمور بالإصلاح هم المؤمنون ، وثمرة هذا الإصلاح والحكم بالعدل والقسط " ان الله يحب المقسطين" وحب الله تعالى مما يحرص عليه كل مؤمن فلكى يحظى بهذا الحب عليه أن يتحرى العدل وينأى عن الظلم والجور لأن حب الله للعبد غاية يحرص عليها كل العباد ، ويبين أيضاً أن الداعى للإصلاح بين المتنازعين هى أخوة الإيمان ورابطة العقيدة "إنما المؤمنون إخوة" أى المتنازعون إخوة ، فأصلحوا بين أخويكم فالقضية كلها معتمدة على الإيمان بالله ، لأنه إذا أهمل الإصلاح اتسعت الهوة وحدثت الفرقة ودب الضعف فى صفوف الأمة وحل الاختلاف محل الائتلاف يفتح الباب على مصراعيه لمطامع أعداء الامة للنيل منها ومن خيراتها وقول الله ﴿واتقوا الله لعلكم ترحمون ﴾ لأن التقوى تحملكم على التواصل والائتلاف وكان عند فعلكم ذلك وصول رحمة الله إليكم مرجوا ، والآية تدل على أن البغى لايزيل

---

(١) أنظر أسباب النزول للواحدى نقلا عن البخارى كتاب المغازى صـ ٢٩٣ .

اسم الأيمان لأنه سماهم المؤمنين مع وجود البغى [١] والفوز يرحمه الله بالعودة إلى حظيرة الإيمان أمل كل مسلم وغاية كل مؤمن .

فهذه النماذج من القرآن تبين لنا ركائز دعوة المسلم واعتماد تلك الدعوة على تصديقه وإيمانه بالله وحرصه على مكارم الأخلاق .

* * *

(١) انظر تفسير النسفى جـ ٤ صـ ١٧٠ .

المبحث الثانى

نماذج من السنة النبوية

أولاً :- خطبة الوداع :

وقد اشتملت على أمور هامة فى الإسلام ، أكدها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا إليها ، وحث عليها فى أكبر جمع للمسلمين فى حجة الوداع ، وقد جاء فيها :
"أن النبى صلى الله عليه حمد الله وأثنى عليه ثم قال : (أيها الناس اسمعوا قولى ، فإنى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبدا ، أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عند أعمالكم وقد بلغت ، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها ، وإن كل ربا موضوع ولكن لكم رءوس أموالكم لاتظلون ولاتظلمون وأن ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله ، وإن كل دم كان فى الجاهلية موضوع وإن أول دمائكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب وكان مسترضعاً فى بنى ليث فقتلته هذيل فهو أول ما أبدأ به من دماء الجاهلية . أما بعد أيها الناس فإن الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبدا ، ولكنه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضى به مما تحقرون من أعمالكم فاحذروه على دينكم أيها الناس : إن النسئ زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله ، ويحرموا ما أحل الله وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا : منها أربعة حرم ، ثلاثة متوالية ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان . أما بعد أيها الناس فإن لكم على نسائكم حقا ، ولهن عليكم حقاً ، لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه ، وعليهن أن لايأتين بفاحشة مبينة ، فإن فعلن فإن الله قد

أذن لكم أن تهجروهن فى المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح ، فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف واستوصوا بالنساء خيراً فإنهن عندكم عوان لايملكن لأنفسهن شيئاً ، وإنكم إنما أخذ تموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمات الله ، فاعقلوا أيها الناس قولى فإنى قد بلغت وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً ، أمراً بينا كتاب الله وسنة نبيه ، أيها الناس اسمعوا قولى واعقلوه تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم ، وأن المسلمين إخوة فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس فلا تظلمن أنفسكم ، اللهم هل بلغت يقول ابن اسحاق : فذكر لى أن الناس قالوا "اللهم نعم" فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اشهد" (١) .

تعتبر هذه الخطبة مثالاً رائعاً لدعوة المسلمين فقد تناول فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قضايا هامة تعتبر محاور لبناء المجتمع المسلم المتكامل ، وتتناسب مع أهمية اللقاء من حيث الكثرة العددية ، وآخريته الزمانية والتى نبه إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليجذب انتباه جموع الحاضرين ليعقلوا ويفهموا كل ما يقال ، وقد تضمنت الخطبة العديد من القضايا ووضحت العديد من الأحكام ، وفيما يلى توضيح لذلك :

أ- بدأ النبى صلى الله عليه وسلم الخطبة بنداء "أيها الناس" مع أن المخاطب هم المؤمنون لأن الموقف لم يكن فيه سواهم ولايقصد بالخطاب غيرهم وهم الذين شهدوا الحج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد نبه النبى صلى الله عليه وسلم على أهمية هذا اللقاء بينه وبين جموع المسلمين عندما قال : " اسمعوا قولى ،

---

(١) أنظر سيرة ابن هشام جـ ٤ صـ ١٨٥ ، ورواه البخارى كتاب الحج باب الخطبة أيام منى بعده روايات جـ ٢ صـ ٢١٦ ، وزاد " فطفق النبى يقول اللهم اشهد وودع الناس فقالوا هذه حجة الوداع .

فإنى لا أدرى لعلى لا القالكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبداً" ولذا انتبه الجميع لكل ما قيل فى الخطبة لأهميته التى تعود إلى تنبيه النبى إليه فى هذا اللقاء .

ب- ويبين رسول الله صلى الله عليه وسلم العديد من الأمور والأحكام :

١- حرمه دماء المسلمين وأموالهم إلى يوم القيامة .

٢- أن كل العباد سيلقون الله يوم القيامة وسيحاسبهم على أعمالهم وعليهم أداء الأمانات إلى أهلها .

٣- وضع الربا ولهم رءوس أموالهم لايظلمون ولايظلمون ، وبدأ بوضع ربا عمه عباس ابن عبد المطلب .

٤- وضع دماء الجاهلية ، وأول دم وضعه دم ابن ربيعة بن الحارث .

جـ- تحذيرهم من الشيطان وضلالاته وأنه قد يئس من أن ينال من الدين فيعبد ، ولكنه يطمع أن يطاع فيما سوى ذلك وأن يرضى بصغائر الذنوب لتتحول بالإصرار عليها إلى كبائر.

د- بيان أن النسئ زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما.(١)

هـ- بيان أهم اسس الترابط الأسرى من حقوق كل من الزوجين على الآخر ، والوصية بالنساء خيراً ، مما يدعم العلاقات الاجتماعية والأسرية التى تصمد أمام كل التيارات والعوادى .

---

(١) كانوا يؤخرون شهراً إلى شهر آخر ، فكانوا إذا جاء شهر حرام وهم محاربون احلوه وحرموا مكانه شهراً آخر حتى رفضوا خصوص الأشهر واعتبروا مجرد العدد ، كما كانوا يحلون ذلك عاما ، ويحرمونه عاما ليحلوا ما حرم الله عليهم من القتال فى هذا الشهر المراد الاستبدال به .

و- وفى النهاية يوجه الرسول صلى الله عليه وسلم جميع القلوب والعقول إلى أصول التشريع ومحتكم الأمة من بعده وهداهم ، وذلك هو كتاب الله وسنة النبى صلى الله عليه وسلم ، فإليها تتجة الأمة لمعرفة معالم دينها ، والحكم فى قضاياها إلى يوم القيامة ، فهما محتكم الامة بعد انتقال الرسول إلى الرفيق الأعلى .

كما يلاحظ أن صلى الله عليه وسلم كان دائم التنبيه للحاضرين وجذب اهتمامهم لما يوجه إليهم ، وكان عند كل فقرة أو حكم يكرر النداء : " أيها الناس" وعند الانتهاء منها يقول : "هل بلغت" ؟ فكان ينبه بالنداء ، ويقررهم بالسؤال "هل بلغت" حتى يبرئ نفسه أمام الله من التقصير فى التبليغ والبيان .

وفى نهاية اللقاء يؤكد التقرير : "هل بلغت" ؟ فيرد الناس :"اللهم نعم" فيقول :"اللهم اشهد" .

وهذه الأمور التى بينها النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا اللقاء كانت مقررة فى نفوسهم آمنوا بها وصدقوها والتزموها قولاً وعملاً ، إلا أن النبى صلى الله عليه وسلم ذكرهم بها وجمعها فى هذا الموقف ليستجمعها كل المسلمين ، ويلاحظ تعدد الموضوعات مع إيجازها حرصا منه على تبليغها للأمة ، ولتلك الجموع من النفوس المفعمة بجو الايمان الصادق والعمل الصالح والسماع الواعى ، فكل موقن نبيوه محمد صلى الله عليه وسلم مصدق بها ، وكلهم آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره . ويرجو مغفرة الله ورضوانه وجنته مذعنا بالسمع والطاعة ﴿ سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ﴾ .

* * *

ثانياً :- الحث على العمل الصالح :

وهى أول خطبة خطبها النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، روى عن أبى سلمة بن عبد الرحمن أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أما بعد : (أيها الناس فقدموا لأنفسكم ، تعلمن والله ليصعقن أحدكم ثم ليدعن غنمة ليس لها راع ، ثم ليقولن له ربه وليس له ترجمان ولاحاجب يحجبه دونه : ألم يأتك رسولى فبلغك ، وآتيتك مالا وأفضلت عليك ؟ فماذا قدمت لنفسك ؟ فلينظرن يميناً وشمالاً فلا يرى شيئاً ، ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم فمن استطاع أن يقى وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل ، ومن لم يجد فبكلمة طيبة فإن بها تجزى الحسنة عشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . (١)

ففى هذه الموعظة الطيبة نجد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بدأها بالأمر بتقديم الخير والعمل الصالح ، لأن العمل صالحاً كان أو سيئاً هو الملازم للفرد بعد موته المرافق له فى قبره ، وعلى أساسه وبقدر الإخلاص فيه يكون الثواب أو العقاب ، ويرتكز على عقيدة الإيمان بالموت وإن الذى يعلم وقته هو الله ، وأن الإنسان يترك رعيته من الأهل والأولاد دون راع لها ، فليكن عمله الصالح سبباً فى حفظهم بعد تركه لهم ، ويبين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الإنسان مسئول عن عمله بناء على علمه وما تم إبلاغه إياه على لسان رسوله : " ألم يأتك رسولى فبلغك - أى بلغك أن فعل الخير مطلوب وبالذات الصدقة على الفقراء ، وآتيتك مالاً لتنفق منه على نفسك وأهلك ، وأفضلت لك منه لتتصدق على الفقراء ، فماذا قدمت من صدقات مالك ليكون صونا لنفسك من النار وحفظاً لها من غضب الله ،

---

(١) انظر : سيرة ابن هشام جـ٢ صـ ١٠٥ .

فيحتار العبد وينظر ليرى ماذا قدم فلا يجد شيئاً لأنه لم يقدم قليلاً أو كثيراً ، ولايرى غير جهنم التى لم يعمل لنارها وحرها أى حساب فى دنياه .

وهنا يبنى النبى صلى الله عليه وسلم موعظته وتوجيهه : فمن استطاع أن يقى وجهه من النار - بعد أن علم أن الصدقة تحفظ الوجه من النار ولو بشق ثمرة فليفعل ، أى أن الصدقة قليلة كانت أو كثيرة تقى الإنسان النار ، فإن لم تجد صدقة عينيه فبكلمة طيبة لأنها تدخل السرور على قلب من تقال له ، كما تدخله الصدقة .

ولاتظل الصدقة على صغرها بل إن ثوابها يزيد ويضاعف إلى سبعمائة ضعف بقدر إخلاص مؤديها فيها ، كما يقول الله تعالى ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم ﴾ (١) فالمثل المذكور يبين لنا زيادة الصدقة على النحو التالى :

مثل حبة (١) × أنبتت سبع سنابل (٧) يساوى = ٧ × فى كل سنبلة مائة حبة (١٠٠) تساوى = ٧٠٠ حبة ، " والله يضاعف لمن يشاء" أى قابلة للزيادة . (٢)

ويلاحظ تناسب بداية الموعظة مع نهايتها فقوله : ليصعقن أحدكم ثم ليدعن غنمة وليس لها راع" مقدمة للأمر بالصدقة لأنها من رعاية الغنى للفقير واليتيم ، لأن المخاطب يتمنى أن يراعى أهله - بعد أن يتركهم - أهل الخير يساعدونهم ، فإذا أراد ذلك بعد مماته فعلية أن يقدم له فى حياته بالإحسان إلى الفقراء والبذل لهم ، :فإن البر لايبلى والذنب لاينسى والديان لايموت ، اعمل ما شئت كما تدين تدان"

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٦١ .

(٢) وقد يكون المراد ان الله يضاعف إلى سبعمائة ضعف لمن يشاء حسب الاخلاص فقد يضاعف للبعض إلى ثلاثمائة ضعف ، والبعض إلى خمسمائة .. وهكذا وقد لايضاعف نهائياً للبعض . وقد ترد الصدقه وبتطل حسب النية والتوجه بها .

وكقوله تعالى : ﴿ وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً ﴾ (١) .

وهذه دعوة موجهة إلى المؤمنين تدعوهم إلى اغتنام الحياة الدنيا فى العمل الصالح وتقديم الخير ، وأنهم مسئولون أمام الله عما آتاهم من فضله وعن بذل الصدقات لتكون وقاية من النار .

وتلك الدعوة مبنية ومؤسسة على سابقة إيمانهم بالآخرة وما فيها من حساب وثواب وعقاب وجنة ونار ، وقد وقر ذلك فى قلوبهم من خلال إخبار القرآن به وتوضيح النبى صلى الله عليه وسلم له .

* * *

---

(١) سورة النساء آية : ٩ .

ثالثاً :- بيان فضل الله على عباده :

وهذا حديث قدسى رواه مسلم فيما يرويه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رب العزة أنه سبحانه قال : (يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا ، يا عبادى كلكم ضال إلا من هديته فاستهدونى أهدكم ، يا عبادى كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعمونى أطعمكم ، يا عبادى كلكم عار إلا من كسوته فأستكونى أكسكم ، يا عبادة إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفرونى أغفر لكم ، يا عبادى إنكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى ، ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى ، يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل منكم ما زاد ذلك فى ملكى شيئاً ، يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكى شيئاً ، يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك مما عندى إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر ، يا عبادى إنما هى أعمالكم أحصيها عليكم فمن وجد خيراً فليحمد ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه" (١) .

فهذا الحديث القدسى يرويه النبى صلى الله عليه وسلم عن رب العزة حيث ينادى عباده مبيناً أنه حرم الظلم عليهم فيما بينهم ، لأن شيوع العدل مدعاه لقبول الدعاء وتحقيق الرجاء ، وأن الهادى هو الله وكل العباد قد يضلون ويتوهون فى خضم الحياة لكن العبد إذا توجه إلى الله طالباً منه الهداية هداه ، وأن الله تعالى هو الرزاق ذو القوة المتين فطلب الرزق من طعام أو كساء لايكون إلا من الله إذ أن الكل جائع ولا مطعم إلا الله والكل عاراً ولا كاسى إلا الله وهو وحده الغنى عن

(١) الحديث رواه مسلم كتاب البر والصدقة والأداب - باب تحريم العلم جـ ٥ صـ ٤٤٠ .

الخلق ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون . إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ (١) وكل ابن آدم خطاء ولكن المخطئ إذا عاد إلى ربه وطلب مغفرته غفر الله له . يا عبادى إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً - صغيرها وكبيرها ، عظيمها وحقيرها - لأن رحمته سبحانه بعباده تتسع لمغفرة كل الذنوب إذا كانت التوبة نصوحا فاستغفرونى أى اطلبوا منى المغفرة أغفر لكم ، ثم يبين رب العزة جل وعلا أن ذلك لمصلحة العباد ولخيرهم ولنفعهم ، وليس لنفعه سبحانة وتعالى عن ذلك علوا كبيرا فلن يستطيع الخلق جميعاً ضره ، أو نفعه سبحانه وإنما علاقة العبد بربه - مع فارق المثال - كعلاقة الطفل المتصل بأمه عن طريق الحبل السرى ، فإذا انقطع ذلك الحبل عاد الضرر الشديد إلى الطفل لا إلى الأم - ولله المثل الأعلى - ولو قطع العبد صلته بربه لكان العبد هو الخاسر ، وهو سبحانه كامل الملك لاينقص بإعطاء السائلين سؤالهم ، وكما أن اجتماع الخلق جميعاً على التقوى لن يزيد فى ملكه شيئاً وأن اجتماعهم على الفجور لن ينقص ذلك من ملكه شيئاً فكذلك لو أن الخلق جميعاً اجتمعوا وسأل كل منهم سؤله واعطى الله كلا ما سأل ما نقص ذلك من ملكه إلا كما ينقص المخيط اذا ادخل البحر ، وقال العلماء : المخيط هو الإبره وهو تقريب إلى الأفهام ، ومعناه لاينقص شئ أصلاً .. وإنما يدخل النقص المحدود الفانى ، وعطاء الله تعالى من رحمته وكرمه وهما صفتان قديمتان لايتطرق إليها نقص فضرب المثل بالمخيط فى البحر لأنه مما يضرب به المثل فى القلة والمقصود التقريب إلى الافهام بما شاهدوه .. (١) ويبين الله تعالى أنه سبحانه يحصى جميع الأعمال على أصحابها ثم يحاسبون عليها فمن وجد الخير من الثواب والمغفرة

---

(١) الذاريات آيات : ٥٦ - ٥٨ .

(١) انظر شرح النووى على مسلم جـ ٥ صـ ٤٤٠ ط الشعب .

فليحمد الله أن وفقة للطاعات وأبعده عن المعاصى والمنكرات ، ومن وجد سوء العاقبة والعياذ بالله فلا يلومن إلا نفسه على تقصيرها فى حق الله وإهمال طاعته والتلبس بمخالفته أمره .

ونلاحظ فى هذا الحديث مدى رحمة الله تعالى بعباده حيث يرشدهم إلى الأعمال الصالحة ، ويحذرهم من الأفعال الطالحة ، مبيناً مدى كرمه وإحسانه إليهم بشتى النعم ليكون ذلك داعيا إياهم لشكره سبحانة عليها بالمداومة على طاعته والبعد عن معصيته - وتكرار النداء عند كل خصلة (يا عبادى) له أثر لذيذ على النفس وراحة للقلب لأن فيه إشعاراً بالقرب من الله وقوة الصلة به سبحانه .

كما أن القضايا يا التى تعرض لها الحديث من النهى عن الظلم ، والدعاء وطلب الهداية ، وسؤال الرزق ، وطلب المغفرة ، وأنه سبحانه وتعالى غنى عن خلقه ، لاتضره معاصيهم ، ولاتنفعه طاعاتهم ، وأن ملكه تام لاينقص - كل هذه المعانى مقررة فى نفوس المخاطبين ، مستقرة فى قلوبهم من منطلق إيمانهم بالله سبحانه وتعالى ، وأنه متصف بكل كمال ومنزه عن كل نقص - فهذه دعوة للمؤمنين .

وهذا المعنى متحقق فى كل ما استشهدنا من نماذج من سنة النبى صلى الله عليه وسلم فخطبة الوداع دعوة للمؤمنين وتذكير لهم بأشياء مسلم بها عندهم ومطمئنه بها قلوبهم ، كذلك خطبته صلى الله عليه وسلم فى الحث على العمل الصالح ، والاستعداد بالصدقة لاتقاء النار هى كذلك أمور مقرره فى نفس كل مسلم آمن بالله وصدق برسالة النبى صلى الله عليه وسلم .

* * *

المبحث الثالث

نماذج عامة من غير القرآن والسنة

أولاً :– خطبة قطرى بن الفجاءة : (١)

أما بعد فإنى احذركم الدنيا ، فإنها حلوة خضرة ، حفت بالشهوات وراقت بالقليل ، وتحببت بالعاجلة ، وحليت بالآمال ، وتزينت بالغرور لا تدوم نضرتها ، ولا تؤمن فجعتها ، غرارة ضرارة ، وحائلة زائلة ، ونافذة بائدة . لاتعدو إذا تناهت إلى أمنية أهل الرغبة فيها ، والرضا عنها ، أن تكون كما قال الله عزوجل :

﴿ كماء أنزلناه من السماء ، فاختلط به نبات الأرض ، فأصبح هشيماً تذروه الرياح ، وكان الله على كل شئ مقتدار ﴾ .

مع أن أمرأ لم يكن منها فى حبرة ، إلا بعدها عبرة ، ولم يلق من سرائها بطنا ، إلا منحته من ضرائها ظهراً ، ولم تصله منها ديمة رخاء ، إلا هطلت عليه مزنة بلاء . وحرية إذا أصبحت له منتصره أن تمسى له خاذلة متنكرة ، وإن منها اعذوذب واحلولى ، وأمر عليه جانب فأوبأ . وإن لبس امرؤ من غضارتها ورفاهيتها نعما ، أرهقته من نوائها غما ، ولم يمس امرؤ منها فى جناح أمن ، إلا أصبح منها فى قوادم خوف ، غرارة غرور ما فيها ، فانية فان من عليها ، لاخير فى شىء من زادها إلا التقوى ، من أقل منها ، استكثر مما يؤمنه ، ومن استكثر منها استكثر مما يوبقه كم واثق بها قد فجعته وذى طمأنينة إليها قد صرعته ، وكم من مختال بها قد خدعته ، وكم ذى أبهة قد صيرته حقيراً ، وذى نخوة قد ردته ذليلاً ، وذى تاج قد كتبه لليدين والفم . سلطانها دول ، وعيشتها رنق ، وعذبها أجاج ، وحلوها مر ، وغذاؤها سمام وأسبابها رحام ، وقطافها سلع حيها بعرض موت ، وصحيحها بعرض سقم ،

---

(١) هذه الخطبة نقلاً عن كتاب الخطابة لأبى زهرة – صـ ٣٢٣ .

ومنيعها بعرض اهتضام ، مليكها مسلوب ، وعزيزها مغلوب ، وضعيفها وسليمها منكوب وجامعها محروب مع أن وراء ذلك سكرات الموت وزفراته ، وهول المطلع ، والوقوف بين يدى الحكم العدل ﴿ ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ، ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى ﴾ ألستم فى مساكن من كان قبلكم أطول منكم أعمارا ، وأوضح منكم آثارا ، وأعد عديدا ، وأكثف جنودا ، وأعتد عتادا ، وأطول عمادا ، تعبدوا أى تعبد ، وآثروها أى إيثار ، وظعنوا عنها بالكره والصغار ، فهل بلغكم أن الدنيا سمحت لهم نفسا بفدية ، وأغنت عنهم مما قد أملتهم به ، بل أرهقتهم بالفوادح ، وضعضعتهم بالنوائب ، وعفرتهم للمناخر ، وأعانت عليهم ريب المنون ، وقد رأيتم تنكرها لمن دان لها وآثرها ، وأخلد إليها ، حتى ظعنوا عنها لفراق الأبد ، إلى آخر الأمد ، هل زودتهم إلا الشقاء ، وأحلتهم إلا الضنك ، أو نورت لهم إلا الظلمة ، وأعقبتم إلا الندامة ، أفهذه تؤثرون ، أو على هذه تحرصون ، أو لها تطمئنون ، يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها ، وهم فيها لا يبخسون ، أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة إلا النار ، وحبط ماصنعوا فيها ، وباطل ماكانوا يعملون ﴾ .

فبئست الدار لمن يتهمها . ولم يكن فيها على وجل منها ، فاعملوا وأنتم تعلمون أنكم تاركوها لابد ، فإنما هى كما نعت الله عزوجل لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد ، فاتعظوا فيها بالذين يبنون بكل ريع آية ، وبالذين قالوا من أشد مناقوه ، واتعظوا بمن رأيتم من إخوانكم ، كيف حملوا إلى قبورهم ، فلا يدعون ركبانا ، وأنزلوا ، فلا يدعون ضيفانا ، وجعل لهم من الضريح أكنان ، ومن التراب أكفان ، ومن الرفات جيران ، فهم لا يجيبون داعيا ، ولا يمنعون ضيما ، يزارون ولا يستزارون ، حلماء قد ذهبت أضغانهم ، وجهلاء قد ماتت أحقادهم ، لا يخشى فجعهم ، ولا يرجى دمعهم ، وهم كمن لم يكن ، قال الله تعالى : ﴿ فتلك

مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلاً ، وكنا نحن الوارثين ﴾ استبدلوا بظهر الأرض بطنا ، وبالسعة ضيقا ، وبالآل غربة وبالنور ظلمة ، فجاءوها حفاة عراة فرادى ، وظعنوا بأعمالهم إلى الحياة الدائمة إلى خلود الأبد ، يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ كما بدأنا أول خلق نعيده ، وعدا علينا ، إنا كنا فاعلين ﴾ فاحذروا ماحذركم الله وانتفعوا بمواعظة ، واعتصموا بحبله ، عصمنا الله وإياكم بطاعته ، ورزقنا وإياكم أداء حقه " .

تعليق على الخطبة

تعتبر هذه الخطبة نموذجا جيدا لدعوة المسلمين ووعظهم وحثهم على العمل الصالح فى الدنيا ليكون أنيساً لهم فى الآخرة وقد بدأ قطرى خطبته بأن بين أن الدنيا لا تؤمن بوائقها ، وأنها غرارة لأهلها ومهما ابتسمت فإنها تبكى طالبيها وتحزنهم آخر الأمر ويؤكد ذلك من خلال الواقع وتأمل الأحداث ليصل إلى أن دوام الحال من المحال ، حيث يعيش الإنسان فيها متقلبا بين السراء والضراء ، وبين الرخاء والبلاء ، وبين الانتصار والهزيمة ، وبين النعمة والنقمة ، وبين الأمن والخوف ، وهذا تأكد فى النفس بتأمل الواقع وتوالى الأحداث واختلاف الاحوال .

* ولأنها فانية زائلة فإن على الإنسان ألا يعلق أمله بها ويجعلها كل همه فإنه لا خير فيها إلا التقوى والعمل الصالح والتزود من حياته لموته ومن شبابه لهرمه لأن الإقلال منها وعدم الحرص عليها يجعل الإنسان بعيداً عن المعصية فلا يسلك طريقا إليها فيدأب على الطاعة والعمل الصالح فيكون مسكثرا مما يؤمنه يوم أن يخاف الناس .. ويعود ليؤكد خداع الدنيا لطالبيها فإن الواثق بها تصرعه ، والمختال بها تخدعه ، حيث يزول نعيمها عنه ، والمتعاظم بها - أى بما فيها من جاه أو مال - صيرته حقيراً بزوال أسباب عظمته ، ولذا فإن على الإنسان العاقل ألا يطمئن لكل هذه المظاهر الزائلة ويغتر بها وينسى حق الله عليه .

* وماذا بعد هذه الفتن وتلك المظاهر الكاذبة التى يقضى الإنسان عمره لتحقيقها ؟ لا يكون إلا الموت وسكراته ليقف الإنسان أمام ربه ليحاسبه عن كل صغيرة وكبيرة ثم يكون الجزاء ، إن خيرا فخير وإن شراً فشر.

* ثم يوجه الأنظار للاعتبار والتأمل من أحوال السابقين وهذا منهج قرآنى فى العظة والاعتبار.. فأولئك قد عاشوا فى الدنيا وكانوا أطول أعماراً وأشد قوة - ساروا وراءها وعبدوها وتعلقوا بها ومع ذلك خرجوا منها وظعنوا عنها وقد آلمتهم ونكلت بهم . فلحرصهم عليها لم ينالوا إلا الشقاء وألمت بهم الفواجع ، ولحقهم الفقر والضنك ومد ماتوا وحوسبوا .

* وبعد سوق هذه الشواهد على حال الدنيا يقرر ماأراده من موعظته وهو عدم الاطمئنان إلى الدنيا ، ويلفت الأنظار إلى من كانوا فيها أقوياء مغترين بتلك القوة حتى قالوا " من أشد منا قوة " هؤلاء حملوا كغيرهم إلى القبور ، ليسوا ركبانا يرحب بهم ، ولا ضيفانا ينبغى إكرامهم ، لأن المقام ليس مقام تكريم وترحيب ، أكفانهم من التراب ، وجيرانهم من الرفات والأجساد البالية ، مقطوعوا الصلة بجيرانهم لا يجيبون داعيا ، لا يزرون ولا يزارون ، حلماء ذهبت منهم الأضغان ، وماتت فيهم الأحقاد لأنه ليس هناك مايثيرها ويكونها من الصراع على الدنيا ، فهم كمن لم يكن ، تركوا للورثة أموالهم ومساكنهم " فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قلايلاً وكنا نحن الوارثين " (١) وقد سكنوا بطن الأرض بدل ظهرها ، والقبور بدل القصور والدور ، والضيق بعد السعة ، وفى الغربة بدل الأهل والأقارب ، وفى الظلمة بدل النور ، وقد جاءوا إلى الدنيا حفاة عراة ، وهاهم قد عادوا إلى الآخره فرادى كما خلقوا أول مرة بلا أية أعراض من الدنيا قد جردوا من كل شئ

---

(١) سورة القصص من آية : ٥٨

الا العمل ، ثم ختم خطبته بتحذير مدعويه من الدنيا والغفلة فيها عن العمل الصالح وطاعة الله قائلاً احذروا ماحذركم الله ، وانتفعوا بمواعظة واعتصموا بحبله وهذه الدعوة إلى الطاعة واتباع ماأمر الله به ، واجتناب مانهى عنه ، وتلك المواعظ والتذكيرات التى اعتمد عليها وذكر بها أمور مقرره فى نفوس المدعوين ، ومسلم بها لدى كل مؤمن فقد قررها القرآن ، ووضحتها السنة واخبر بها الصادق الأمين ، فهى تصديقات ومسلمات فى قلوب كل من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره : ﴿ ... والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخره هم يوقنون . أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ﴾ (١) والدعوة كلها مبنية على أركان هامة وأسس قويه هى مايصدق به المسلمون ، من قواعد الايمان ، وإخبارات القرآن .

* * *

ثانياً : خطبة للإمام المراغى بالجامع الأزهر الشريف :(٢)

فى يوم ١١ شوال سنة ١٣٥٥

أحمد اللهم حمد من أخلص النية لوجهك الكريم ، وأشكرك شكر من أطاعك لذاتك ، وابتغاء رضوانك العميم . وأشهد أن لا إله لا الله تفرد بالعزة والسلطان ، وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله بعثه الله رحمة للإنسان ، صلوات الله وسلامة عليه وعلى آله الأطهار ، وصحبه الطيبين الأخيار . قال الله تعالى : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا

(١) سورة البقرة آيتا ٤ ، ٥

(٢) هذه الخطبة نقلا عن كتاب هداية المرشدين - الشيخ على محفوظ - صـــ ٣٩٧

يعبدوننى لا يشركون بى شيئا . ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴾.(١)
هذا وعد الله الصادق ، ولن يخلف الله وعده . أمور ثلاثة أيها المؤمنون هى أسمى مايتصوره الإنسان ، جعلها الله جزاء العمل الصالح المنبعث عن الإيمان : استخلاف العاملين فى الأرض ، وتمكين دينهم الذى ارتضاه لهم ، وتبديلهم بعد الخوف أمنا وطمأنينة - والاستخلاف فى الأرض خلافة عن الله فى عمارة الكون ، وتوزيع العدل والإحسان بين عباده ، وهو يعتمد على القوة وشمول السلطان ونفاذ الكلمة ، وهو مطلب تتفانى الأمم فى سبيله ، وتضحى بأبنائها وأموالها ابتغاء الوصول إليه . وما استقامت عقيدة ولا استقر سلطان ، أجنحتها ، وهذه المثل قائمة ، وشواهد الماضى حاضرة فى الذهن ماثله . وتمكين الدين والعقيدة نعمة عظيمة ، ومقصد رفيع ، يتبعه استقرار النفوس ، وراحة الضمائر ، والشعور بالعزة والكرامة . ليس أشهى إلى النفس ، ولا أمتع للقلب ، ولا أهنأ للروح ، من أن يرى الإنسان أن عقيدته صاحبة السلطان والنفوذ فى نفوس الناس أجمعين . والأمن بعد الخوف أعز مطلب للفرد والجماعة ، وللخوف آثار تفسد العقل ، وتذهب بالتفكير ، وتجعل العيش مريراً . والحياة مضطربة . وما أحلى الأمن ، يستقر بعد الطرق وما أعذبه يتدفق بعد القلق ! عندئذ يندفع الإنسان نحو العمل صافى القلب متجهاً إلى الله ملتمساً الخير والنفع للعباد . وليس الإيمان أيها المؤمنون تصورات تتخيلها العقول وتجرى عباراتها على اللسان ، وإنما هو عقيدة تملأ القلب وتتبعها آثارها . ﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم

---

(١) سورة النور آية : ٥٥

وأنفسهم فى سبيل الله ، أولئك هم الصادقون ﴾ (١) ومن آثار العقيدة الدفاع عنها بالنفس ، والاستهانة فى سبيل نشرها بالمال . ومن آثارها العمل الصالح . وليس العمل الصالح مجرد صلاة تؤدى بالحركات ، أو صيام يؤدى بالحرمان من اللذات ، أو ذكر يجرى على اللسان ألفاظاً ميتة خالية من الخشية والرهبة . إنما العمل الصالح ما اشتمل على روح الإسعاد : من إخلاص لله ، ومحبة لخير الفرد والجماعة ، وأداء للحقوق كاملة لله ولعباد الله . ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك القيمة ﴾ (٢) إن أعلى العمل الصالح منزلة عند الله فضائل الأخلاق : من الوفاء بالعهد ، والصدق فى القول ، والشجاعة فى الحق ، والصبر على احتمال المكاره ، والعدل مع الأفراد ، بأداء حقوقهم ، وحب السعادة لهم ، وإرشادهم إلى الخير ومعاونتهم فيه ، ومن العمل الصالح إطاعة الفرد لما تفرضه الجماعة ، وما يفرضه الحاكم ، مما ليس فيه معصية للخالق . ومن العمل الصالح للحاكم توفيره الخير للرعية ، والدأب والسهر على مصالحها وصيانتها من الانزلاق فى الشرور والتهاون فى الدين ، وإن قوام العمل الصالح مهما تعددت شعبة ، العدل ، وهو مطلوب من الحكام ، ومطلوب من الرعية ، والعدل هو اتباع السنن الإلهية ، والأوامر الدينية ، والنواميس الوضعية التى لا تتنافى والدين إن الأمة الصالحة التى تستحق الخلافة أيها المؤمنون كما يجب أن تقوم على العدل يجب أيضاً أن تؤدى للأرض حقها من عمران ، وأن تستخرج ما فيها وما حولها من قوى ومنافع ، لتحقق الإرادة الإلهية من خلق تلك القوى وتسخيرها لمنفعة الإنسان ﴿ الله الذى خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات

---

(١) سورة الحجرات آية ١٥

(٢) سورة البينة : آية ٥

رزقا لكم ، وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره ، وسخر لكم الأنهار ، وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ، وسخر لكم الليل والنهار ، وآتاكم من كل ما سألتموه ، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ﴾ (١) . عباد الله : لا تسعد أمة تتفرق أهواؤها وتصبح شيعا وأحزابا ، رائدها الهوى وقائدها المصالح الخاصة ، ولا تسعد أمة لا تعتصم بحبل الله المتين ، ولا تعتبر بسير الذاهبين الأولين ، لا تسعد أمة تحتكم إلى الشهوات ، وتتعامى عن الآيات ، وتدع النذر ، وتعمى عن العبر ، لا تسعد أمه تنبذ تعاليم الدين وراءها ظهريا ، وتزدرى بالأخلاق الفاضلة حباً فى الاستمتاع بالشهوات ، وما فى الحياة من لذات ، لا تسعد أمة ينغمس أمراؤها وأغنياؤها فى الترف ، ويستعذبون الراحة " ويأنفون العمل ، ﴿ وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا ﴾ أيها المؤمنون ، نحن بين أمرين . إما أن نستضئ بنور العقل ونهتدى بهدى الشرع فنصير فى الدنيا إلى عزة نعلو بها فى أجواز الفضاء ، ونخترق بها أطباق الأرض ، ثم فى الآخرة إلى جنة عرضها السموات والأرض ، إلى مغفرة الله ورضوانه ، وإما أن نعمى عن هدى الله ، ونغمض عما حل بالامم السابقة أعيننا ، وتغلى مراجل الشهوات فيما بيننا ، فتأكل نيران الأحقاد قلوبنا ، فنصير فى الدنيا إلى ذلة وضعة . ثم فى الآخرة إلى نار وقودها الناس والحجارة ، إلى خزى من الله وخذلان : ﴿ من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها مانشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً ، ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا ﴾ (٢) وقانا الله عذاب النار وسوء المصير : وقادنا إلى الخير وحسن العاقبة ، وهدانا إلى

---

(١) سورة إبراهيم آيات ٣٢ - ٣٤

(٢) الاسراء آيتا : ١٨ - ١٩

مايرضيه ويقربنا من عفوه ورحمته . روى البخارى عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله ، وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار)(١) .

هذا النموذج لدعوة المسلمين يبين مافى الإيمان بالله والعمل الصالح من ثمرات طيبة للفرد والأمة ، وكذلك مافى المعاصى والسيئات من الثمرات المرة والآثار السيئة على الفرد والأمة ويبدأ الخطيب الشيخ مصطفى المراغى خطبة معتمدا على آية قرآنية كريمة من سورة النور وشرح مافيها من معانى سامية وإرشادات عالية مما جعل لدعوته ركيزة نفسية وإيمانية فى نفوس السامعين :

* فبين أن فى تلك الآية ثلاثة وعود من الله – والله لا يخلف وعده – وهذا مما يرسخ فى قلوب السامعين من مقتضيات عقيدة الإيمان بالله " ومن أصدق من الله قيلاً"؟ وهذه الأمور هى : استخلاف الله العاملين فى الأرض ، وتمكين الدين الذى ارتضاه لهم ، وتبديلهم بعد الخوف أمنا وهذه الوعود لا مجال لمناقشتها ، ولا للجدل حولها ، فهى مستمدة من الآية الكريمة التى يسلم بها كل السامعين المؤمنين لأنها من الكتاب الكريم الذى آمنوا به وبكل مافيه جملة وتفصيلا .

﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾(٢) وهذه الأمور هى نتائج وثمرات العمل الصالح وجزاء عليه .

* وبين أن الاستخلاف فى الأرض هو مطلب للأمم وهو الذى يتحقق به الأمان ويقام العدل ، ويحيل على تأمل أحداث التاريخ وشواهده التى بينت ذلك وأكدته .

---

(١) الحديث : رواه مسلم كتاب الإيمان – باب خصال المنافق عن أنس جـ١ صـ١٧

(٢) سورة فصلت آية : ٤٢

وأن تمكين الدين والعقيدة يتبعه الأمن والاستقرار فى النفوس التى تصفو وتشعر بالعزة والكرامة ، والأمن يعد الخوف من أعز مطالب الإنسان لأن الخوف له آثاره السيئة ونتائجه المدمرة ، يفسد العقل ويذهب التفكير ، أما عند الشعور بالأمان فإن الإنسان يندفع نحو العمل المفيد للأمة متجها إلى الله بقلبه ملتمسا الخير والنفع .

* ثم وضح مفهوم الإيمان وأنه عقيدة صادقة وعمل صالح وبين مفهوم العمل الصالح وأنه ليس مجرد عبادات فقط وإنما عبادات وكل عمل يؤدى إلى نفع الأمة ورقيها وتقدمها ويحقق النفع للفرد والجماعة ويسعد الأمة وتستغنى به عن غيرها ويحفظها من الفرقة والاختلاف ، والعمل الصالح فى حق الفرد طاعته لما تفرضه الجماعة ومايفرضه الحاكم فى غير معصية الله ومن العمل الصالح فى حق الحاكم توفير الخير للرعيه والسهر على مصالحها .

ويبين أن المعاصى والسيئات ، واتباع الهوى ، والفرقة والاختلاف والانغماس فى الشهوات وعدم الاتعاظ بالنذر والآيات ، وترك شرع الله تعالى وتعاليم الدين ، وازدراء الأخلاق الفاضلة والكسل والخلود إلى الراحة وترك العمل وإهماله ، كل هذا سبب فى شقاء الأمة وتخلفها وطمع أعدائها فيها ثم يضع خيارين لا ثالث لهما : إما اتباع الدين والتزام الشرع فنهتدى إلى خيرى الدنيا والآخرة .وإما المخالفة واتباع الهوى والانغماس فى الشهوات فنخسر الدنيا والآخرة .

وهذان الخياران لا ثالث لهما فى نظر المؤمن ، فهو يريد رضا الله والفوز بسعادة الدنيا والآخرة وتحقق وعد الله له وهذا طريقه العمل الصالح والتزام الشرع وتعاليم الدين وأما الاختيار الثانى وهو طريق الشيطان وحب الدنيا واتباع الشهوات ، والسير فى ركاب إبليس فهذا طريق الخراب والخسارة فى الدنيا والآخرة فهذا مايرفضه كل مؤمن يعبد الله مخلصا له الدين .

وهذه الموعظة تعتمد على القرآن الكريم وسنة رسول الله صلى الله علية وسلم وتأمل التاريخ والاتعاظ بأخبار الأمم السابقة . وهذا كله من مصدقات كل مؤمن ومسلماته.

تعليق وتعقيب

بعد عرض هذه النماذج المتنوعة - وكان ذلك على سبيل التمثيل لا الحصر - فإننا نخلص منها بعده حقائق هامة فى مجال دعوة المسلمين :

أولها : أن جميع المدعوين من المسلمين تربط بين قلوبهم عقيدة التوحيد ، والإيمان بالقرآن ، والتصديق التام بنبوة سيدنا محمد صلى الله علية وسلم ، الذى أرسله اللك بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وأنه خاتم النبين فلابنى بعده ، ومن منطلق الإيمان بالقرآن كتابا للتشريع ومعجزة دالة على صدق النبى صلى الله عليه وسلم يكون الإيمان الجازم بالآخرة ، واليوم الآخر وكل مايقع فيه كما أخبرنا القرآن ، وبينه لنا الصادق الامين ، وكذا الايمان بالملائكة ، والكتب السماوية ، والتصديق بكل رسالات الرسل دون تفريق بين رسول ورسول على نحو قول الله تعالى : ﴿ ياأيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيداً ﴾ (١) وقوله : ﴿ إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا . والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفورا رحيما ﴾ (٢) .

---

(١) النساء آية : ١٣٦

(٢) النساء آيات : ١٥٠ - ١٥٢

ومن منطلق الإيمان بالله يكون الإيمان بالقدر خيره وشره إذ أن الأمر كله بيده سبحانه يصرفه كيف يشاء ، وهذه كلها حقائق استقرت في نفوس المؤمنين واطمأنت بها قلوبهم واستقام سلوكهم وارتبط بالله وجدانهم فصاروا عباداً للرحمن يمشون على الارض هونا .

ثانيا : أن الاصل فى جميع المؤمنين هو التزامهم بكل قواعد الدين وأركانه ، يؤدون العبادات من صلاة وزكاة وصيام وحج على النحو الصحيح الذى علمه لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سنته الشريفة وكما وضحه لنا فقهاء الأمة وعلماؤها ، كما يصدقون بالعقيدة الصحيحة القائمة على توحيد الله وإفراده بالعبادة والدعاء ، وأنه سبحانه خالق الكون ، وقد اتصف جل وعلا بكل كمال يليق بذاته المقدسة ، وتنزه عن كل نقص ﴿ سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا ﴾ وهم أيضا ملتزمون بالشريعة الغراء فى كل مجالات الحياة المختلفة من معاملات وجهاد وسياسة على أساس القواعد التى أرساها الإسلام لتنظيم المجتمع ، وفى كل المجالات هم متخلقون بأخلاق الاسلام الكريمة من الصدق والامانة والرحمة والايثار... الخ ، فالالتزام بكل ذلك هو الأصل ويمثل السلامة الدينية أى أنه سليم الالتزام بدينه ، ولكن قد تطرأ على كل سليم آفه عارضة أو مرض من الأمراض أو علة من العلل ، والمرض الدعوى نسميه : " المخالفة الدينية " فالمخالفة هى عرض لمرض أو خلل لحق بالجانب الالتزامى فى المخالف ، وعلى أساس هذه المخالفة يكون العلاج وذلك بإزالة الخلل وبراءة المريض ، ولا يكون ذلك إلا بالعودة إلى الدواء المناسب .

ثالثاً : يتم تشخيص المرض بتحديد نوع المخالفة ، هل هى فى العبادات فتكون عباديه ، أو فى العقيدة فتكون عقدية ، أو فى السلوك فيكون سلوكية ؟ وعند تحديد ذلك نعود إلى الدواء من الكتاب ونبين له ذلك بمختلف الأساليب التى تلائم حاله

، وإذا كانت المخالفة بسبب طريان شبهة أو عروضها فلنزل هذه الشبهة مع التحلى بسعة الصدر والحلم لإقناع المدعو المخالف ، فمرد العلاج والتقويم والإصلاح إلى الدين والعودة إلى الإسلام ، وأى حل أو علاج بغير ذلك إنما مجرد تسكين وإضاعة للوقت .

رابعاً : دعوة المسلمين لابد أن تعتمد على مسلمات المسلم من إيمانه بالله وملائكته وكتبه ورسله .. وعلى ماوقر فى قلبه من التصديق التام بالكتاب ، والسنة ، وتسليمه بأنهما مصدر الدين وأساس التشريع ، ولذا فإن الداعى إلى الله لابد أن يكون ملما وعالما بدعوته وبما يدعو إليه فاهما لقواعد الدين ليدعو إلى الله على بصيرة وعلم ، فإننا قد نرى فى بعض الأحوال دعاة ينهون عن منكر أو يأمرون بمعروف ، ولا يوردون نصبا شرعيا واحداً فى موضوع دعوتهم ، معتمدين على إيراد إجتهادات بعض العلماء ويدعون إلى التزامها ، متناسين فى ذلك أن موضوع الدعوة يكتسب قوة ويلقى قبولا لدى المدعوين إذا كان معتمدا على نص شرعى من كتاب أو سنة ، لأن الداعى إذا قال لمدعويه : يقول رب العزة كذا وكذا ... فإن مجرد ذكر النص القرآنى يجعل المدعو مستعداً للقبول والامتثال ، وكذا لو قال : يقول رسول الله كذا وكذا ... فإنه يجعل القلوب مستعدة للقبول ليقين السامعين أن الرسول صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى ، وأنه مبلغ عن ربه ، وقد صدقه وآمن به ... ، أما إذا اكتفى الداعى بقوله : يقول فلان الفلانى : كذا ، وذكر اسم أى شخصية ، فإن المتوقع أن يتساءل أكثر الحاضرين إن لم يكونوا جميعاً : من فلان هذا ؟ فهم قد لا يعرفون علمه ولذا فإن قوله لا قيمة له عندهم . ولكن يمكن الاستشهاد بأقوال بعض العلماء المجتهدين بعد إيراد النص الشرعى إذا كان فيه مجال اجتهاد ولم يكن قطعى الدلاله فى موضوعه ، فعندئذ تورد اجتهادات العلماء فى فهمهم للنص أما إذا كان الحكم من نص قطعى الدلاله لا مجال فيه للعقل

فعندئذ " لا إجتهاد فى مقابلة نص " مادام الحكم جليا واضحاً لا يحتمل التأويل ﴿يأأيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله ... ﴾ (١) ومجمل القول أن يعتمد الدعاة على القرآن الكريم وسنة النبى صلى الله عليه وسلم فى دعوتهم مع إيراد مايرونه مناسبا لدعوتهم ولتوضيحها من أقوال العلماء والمجتهدين - مما يكسب دعوتهم سعة ويجبوحه ويسراً وسهولة كما هى روح الدين الاسلامى ﴿ وما جعل عليكم فى الدين من حرج ﴾ (٢) فتلقى قبولا لدى مدعويهم .

خامسها : ذكرنا أن الأصل فى دعوة المسلمين هو الاعتماد على مسلمات الايمان عندهم ، ولذا فإن الأصل هو علاج المخالفات بالعودة إلى الدواء الحقيقى فى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فإن شك المدعو فى مصدر الدواء ولم يقنع به كأن اعترض على حكم ثابت فى القرآن أو قدم عقله على النص الشرعى فعندئذ يدعى هذا الشاك بطريقة آخرى هى دعوة غير المسلمين ....

ولنضرب لذلك مثالا :

وجه أحد الدعاة دعوة إلى بعض الحاضرين من المسلمين - يدعوهم إلى المواظبة على الصلوات وإلى قيام الليل والتهجد لما فى ذلك من ثواب عظيم وأجر كبير ولأن الصلاة نور كما قال النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث الطهور الايمان ... "والصلاة نور" وأنها نور فى الحياة حيث تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ونور فى القبر تنير ظلمته لأنها عمل صالح يؤانس الانسان ويذهب وحشته ، ونور يوم القيامة عند المرور على الصراط فى الظلمات والخوف ... فقام أحد الحاضرين محتجا : - كيف تكون الصلاة نورا فى القبر ، ولماذا ؟

(١) الحجرات آية : ١

(٢) سورة الحج آية : ٧٨

– إن النبى صلى الله عليه وسلم أخبر بذلك وهو الصادق المصدوق .

– وهل يحس الميت فى قبره بشئ ؟ إنه جثه هامدة فقدت الإدراك .

– كيف ؟ وأن فى القبر عذابا ونعيما ، وهو إما روضة من رياض الجنة وإما حفرة من حفر النار ؟

– ومن قال إن الميت يحس بنعيم أو بعذاب ؟

– أخبر بذلك الرسول صلى الله عليه وسلم – حيث يروى إنه مر بقبرين فى المدينة وسمع صوت إنسانين يعذبان ، فقال إنهما ليعذبان ومايعذبان فى كبير ... الخ .

– وهل رأهما النبى ؟ ولماذا لم يسمعهما باقى الصحابة ؟

– الله تعالى هو الذى كشف له عنهما ، ليطلع عليهما ويخبر بأمرهما ليحذر أمته ؟

– ومتى كشف له ؟ ولماذا لم يكشف لنا مثله – ألسنا بشراً مثله ؟

– نحن بشر ولكننا لسنا أنبياء ، وهو نبى أوحى الله إليه وقد سلمنا بصدقه ، وهو عليه الصلاة والسلام يخبرنا بما خفى علينا ، ونحن قد سلمنا له بالنبوة وصدقنا بالرسالة .

– أنا لا ألغى عقلى فلا شئ مما تقول أسلم به .

هذا قد وصل إلى النهاية ، ووقف على الهاوية ، فهو قد شك فى عقيدة الآخرة ومافيها من عذاب القبر ونعيمه ، وعندما أورد له الداعى حديث النبى صلى الله عليه وسلم عندما مر على القبرين شكك فى صدق النبى صلى الله عليه وسلم وعندما قال له إن معرفة الغيبات والاطلاع عليها من أمور النبوة يكشف الله عنها ليخبرنا بها النبى الذى سلمنا بصدقة وقد آمنا به ، يرد كل هذا ويرفضه بمقتضى عقله ، فإنه رد العقيدة وكذب بها بعقله ، ولم يسلم بالنص الوارد فيها خاصة وأن هذه المسأله من السمعيات التى تعتمد فى معرفتها على السماع من الصادق الأمين ، ولا مجال للعقل فى الإلمام بها ومعرفتها وعندئذ نبدأ فى دعوته بطريق آخر لا يعتمد

فيه على النصوص الشرعية التى يدعى بها المسلمون ، وإنما نبدأ معه من نقطة ماقبل الإيمان والتسليم ، فأطرح السؤال الأول عليه :

- هل تصدق بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنه رسول من عند الله ليبلغ عن الله شرعه ودينه ؟

ومن منطلق إجابته تبدأ دعوته ، فإن قال : نعم ، قلت له ولماذا إلا تصدق بما أخبر به ؟

وإن قال : لا ، قلت له وما المانع أن يكون نبياً ؟ وهل لديك ماتكذب به رسالته وترد نبوته ؟

وبناء على ماسيجيب به فى الحالتين تكون دعوته إما بإزالة ماعرض له من شبهات أو بتوضيح أمور خفيت عليه فلم يفهمها ، فاشكلت عليه فى عقيدته ، لأن الأصل فيه أنه مسلم ارتد عن الإسلام لسبب ما ، فهذا علاج له فى الخلل لذى طرأعلى عقيدته فانحرف عن الحق ، وإلا فيدعى دعوة غير المسلمين على نحو ما سيأتى بيانه بعد ، والأمر قبل كل شئ يعتمد على توفيق الله تعالى وحسن الصلة به وإخلاص الداعى فى دعوته ، وعمق فهمه لها .

فهذه أمور أساسية على الدعاة مراعاتها بقدر أستطاعتهم ليحققوا هدف دعوتهم إلى الله وإرشاد الخلق إلى عبادة الخالق .

* * *

الفصل الثالث

مناهج دعوة غير المسلمين

* مبحث تمهيدى

دعوة غير المسلمين ومنهج القرآن فى الاستدلال

* المبحث الثانى

أساليب دعوة غير المسلمين وطرق الجدال معهم

مبحث تمهيدى

[دعوة غير المسلمين ومنهج القرآن فى الإستدلال]

علمناً أن الأمة الإسلامية مطالبة بالدعوة إلى الله تعالى ، وهم بذلك إما أن يدعو بعضهم بعضاً فيأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وينصح كل مسلم أخاه إلى الخير ويدعوه إلى الحق ومكارم الأخلاق وسائر الطاعات ..

وإما أن يدعوا غيرهم من أصحاب الملل الأخرى إلى الإيمان بالله وتوحيده وإلى التزام تعاليم الإسلام ، وهذه المهمة السامية فى هدايه الخلق إلى طريق الحق بينها القرآن الكريم بقوله : ﴿ ولتكن منكم أمه يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾ (١) ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :(والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن ان ينزل عليكم عقاباً تدعونه فلا يستحاب لكم) (٢) .. والخير كله فى اللجوء إلى خطيرة الإسلام واطمئنان القلب بالإيمان ، فالمسلمون يدعون إلى ترك المعاصى والسيئات والتزام أوامر الدين ليعودوا إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، أما غير المسلمين فيدعون إلى الإيمان بالله وتوحيده ومعرفة ما يجب وما يجوز وما يستحيل فى حقة سبحانة ، وأنه متصف بكل كمال ومنزه عن كل نقص . وكذلك إلى الإيمان والتصديق برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وسائر رسل الله ، واليوم الآخر وما تجرى فيه من صعق وبعث وحشر وحساب .. كما أخبرنا القرآن والسنة .. وبعبارة أخرى يدعون إلى التسليم والإذعان والتصديق بأصول العقيدة التى بينها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : (.. الإيمان أن نؤمن بالله

---

(١) آل عمران ١٠٤ .

(٢) الحديث سبق تخريجه فى هذا الكتاب .

وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ..) [١] وعندئذ يدعون إلى التزام العبادات وسائر الأحكام الشرعية لأنهم بتسليمهم بأمور العقيدة أصحبوا من جملة المؤمنين .

اختلاف أساليب الدعوة :

مما لايخفى أن اساليب دعوة المسلمين تختلف عنها فى دعوة غير المسلمين لأن الركيزة النفسية والعقلية تختلف فى كل منهما ، فالمسلم مؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ومصدق بالقرآن الكريم وسنة رسول الله صلى الله عليه ففى قلبه ركيزة إيمانية يدعى من خلالها اعتماداً عليها ، حيث استقرت فى وجدانه وعقله أصول العقيدة وأحكام العبادات والمعاملات ..

أما غير المسلم فإنه لايؤمن بشئ من ذلك ، فلا يسلم بشئ من أصول العقيدة وقد يكون منكراً للغيب جاحداً بوجود الله ، وقد يكون مؤمنا بكتابه هو ولكنه غير مقر بالقرآ وجاحداً رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، كأهل الكتاب مثلاً وقد يكون عابداً لوثن ... إلى غير ذلك من متاهات الكفر والضلال ودروبه .

فهذا يدعى بدءا من مسلماته ، وقد تكون بعيدة أو قريبة حسب الاعتقاد فعلى سبيل المثال قد يكون أمامى كافر يسلم بوجود إله لكنه يصفه بصفات لاتليق بالإله كالعجز أو الجهل أو غير ذلك فهذا نبدأ دعوته من منطلق ما يعتقده من وجود إله وتقام له الأدلة والبراهين لنفى العقيدة الباطله التى علقت بذهنه وقلبه فأنا عندئذ أصحح له عقيدة استقرت فى قلبه ..وقد يكون كافر لايسلم بوجود إله مطلقاً

---

(١) من حديث جبريل الذى رواه مسلم عن عمر رضى الله عنه - كتاب الإيمان المجلد الأول طبعة الشعب .

ويسوق لذلك مغالطات عقلية وهذا نبدأ معه الدعوة انطلاقاً مما يسلم به وهو العقل المحض إلى أن نصل إلى ما نريد من حقائق العقيدة وأصول التوحيد ...

فمن هذا المثال يتبين لنا أن نقطة تسليم الكافر الأول أقرب من نقطة تسليم الثانى ، فالأول لايحتاج إلى اثبات وجود الإله ، أما الثانى فيحتاج إلى ذلك يليها التعريف بصفات الله وكمالاته التى لاتتناهى وإن كان من الادلة الدامغة الاستدلال بآثار صفاته على وجوده تعالى .

كما يتضح لنا أن كلا يدعى انطلاقاً من مسلماته وبدء الدعوة من المسلمات لكل مدعو حسب عقيدته .

وقد تكون هذه المسلمات عقدية اى من كتاب يؤمن به ويصدق كدعوة اهل الكتاب من اليهود والنصارى ، وقد تكون عقلية محضة كالاعتماد على أدلة عقلية لامجال لانكارها أو المراء فيها تلزم فيها النتائج القاطعة بناء على المقدمات الساطعة .

والداعى الناجح هو الذى يقوم بدعوته معتمداً على المناسب من الأدلة التى توافق حال المدعو نفسياً وعقدياً .

ادلة القرآن ومنهجه فى الاستدلال :

نهج القرآن منهجاً رائعاً فى اثبات العقيدة والدعوة إلى الحق والخير ، فكانت له طرقه الفريدة المتميزة فى الجدل وإقامة الحجة على المجادلين ، فقد سلك القرآن وهو كتاب الله الذى لايأته الباطل من بين يديه ولا من خلفه أساليب شتى ، وقد أبدع فى إيراد ضروب الهداية وطرق الإقناع لاختلاف مشارب الناس وتباين مقاصدهم وتفاوت مداركهم .

وإذا امعنا النظر فى كتاب الله تعالى وجدناه يخاطب العقل والقلب معاً ويؤثر فيهما تأثيراً متلازماً لكون المخاطب إنساناً ، فيه العقل والعاطفة فيخاطب العقل

موجهاً ومناقشاً داعياً إلى الفكر الحر الخالي من التعصب ليقتنع العقل فيطمئن القلب ويستقر الوجدان ويستقيم السلوك على الإيمان .

وكما سلك القرآن الكريم فى أدلته طرق الاقناع والتوجيه والإرشاد فإنه قد أتى بطرق الإلزام والإفحام فهو يسوق الدليل مستدلاً مقرراً أو ملزماً مفحماً ، فاكتملت به الهداية وقامت به الحجة .. ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾ (١) ولم يقع فيه اختلاف كثير ولا قليل ولذا فإنه من عند الله تعالى .

وإن مظاهر الخلق وما عليه الكائنات من دقه الصنع وإحكام الخلق فيه الدلاله القاطعة على قدرة خالقها ومنشئها وموجهها وحكمته البالغة ، والاستدلال بذلك من الأساليب العقلية الرائعة التى تؤثر فى العقل والقلب معاً ، وهذا جيد فى كل طرق الاستدلال بالمحسوسات والمشاهدات على وجود البارئ جل وعلا وسائر صفاته .

ويفرق الجرجانى بين معنى (الدلالة) ومعنى (الاستدلال) : بأن الدلالة هى كون الشئ بحالة ، يلزم من العلم به العلم بشئ آخر ، والشئ الأول هو الدال ، والشئ الثانى هو المدلول ..

وأن الاستدلال هو إيراد الدليل لدعم القضية ، سواء أكان ذلك بطلب من المخالف أم استطراداً من المستدل . (٢) .

كما يفرق بينهما بأن الدلالة ما يمكن الاستدلال به ، والاستدلال فعل المستدل . (٣)

وإيضاح ذلك : تعاقب الليل والنهار بصورة منتظمة ودقيقة لم يقع فيها اختلاف ولا اضطراب حتى اعتبرت مقاييس للزمن وما فى الليل من الهدوء والسكن ، وما فى

---

(١) النساء ٨٢ .

(٢) انظر التعريفات للجرجانى صـ ٩٣ .

(٣) انظر الفروق لابى هلال العسكرى ٦١ .

النهار من الحركة والنشاط والسعى وكلاهما لازم وضرورى لحياة الانسان وغيره .. فهذا يدل على وجود صانع يسير الكون بقدرته وإرادته ، وفق علمه وحكمته فى خلقه ..

فالشئ الأول : هو الليل والنهار والحالة التى هما عليها هى التعاقب والاختلاف المنظم الدقيق ، ففى كل ذلك دلالة على وجود الله تعالى وتدبيره أمور العباد - وإلا فمن فاعل كل ذلك ؟ فلزم من قيام هذه الحالة من الدقة والنظام ، العلم بوجود خالق منظم للكون ..

وإيراد الداعى هذا الدليل وتقرير تلك المظاهر وبيان دلالتها فهذا هو الاستدلال بإيراد هذا الدليل الكونى على التوحيد .

ويأخذ الدليل طابع الإلزام إذا سلم تركيبه من التناقض والاختلاف واستعمل فى مورده ، ولذا فإن جميع أدلة القرآن الزامية ، وذلك لثبوت الإعجاز لها من جهة ، ولسلامتها من التناقض من جهة أخرى .. ومعنى ذلك أن هذه الأدلة قطعية فى ثبوتها لأنها وردت بطريق يستحيل فيها الكذب ، وأماكونها قطعية الدلالة فإن ذلك من موضوعات علم الأصول ، فليرجع اليه من شاء؟

أقسام أدلة القرآن من حيث دلالتها : تنقسم أدلة القرآن من حيث الدلالة إلى قسمين اساسيين هما :

أ- أدلة العقائد : أى ما يستدل به من البراهين على العقائد كأدلة وجود الله تعالى ووحدانيته ، وقدرته ، وإرادته وسائر صفاته وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل ما جاء به من أمور الدين من عقيدة وشريعة وأخلاق ، وسائر أحكام الدين . ودلالة معجزة القرآن على صدق صلى الله عليه وسلم .ز وكذا أدلة القدرة على البعث وإحياء الخلق واليوم الآخر وما يقع فيه أهوال .. ، والتصديق بكل

إخبارات القرآن .. وهذه غالباً أدلة قطعية فى دلالتها لأنها تقيم الحجج والبراهين على قضايا معينة ، وعادة يرد بهذا النوع على الخصوم .

ب – أدلة على الاحكام: وهى ما يستدل به من نصوص الشريعة على أحكام معينة وتشريعات محددة كالأدلة على وجوب الصلاة والزكاة والصيام والحج ، من الكتاب والسنة ، وكالأدلة على بر الوالدين ، وحسن معاشرة الزوجة ، وأحكام الزواج والخطبة والطلاق .ز وسائر المعاملات كالبيع والشراء وسائر عقود المعاملات وغير ذلك من مكارم الأخلاق .. والجهاد وسائر النظم الإسلامية .. وهذه عادة يدعى بها المسلمون الذين تمكن الإسلام من قلوبهم فتقبلوا هدى الكتاب والسنة من منطلق إيمانهم بالله ورضاهم بحكمة وقضائه .

وهذا النوع من الأدلة تختلف دلالته حسب نوع الدليل من حيث كونه نصاً ظاهراً أو مؤولا .. الخ ، فتكون قطعية إذا كانت نصا فى الموضوع أو ظنيه إذا احتمل الدليل عدة أوجه أو كان بطريق الاستنباط ..

والداعى إلى الله محتاج إلى النوعين معاً ، الأول لدعوة غير المسلمين ، وقد يستخدم هذا النوع من الأدلة مع المسلمين لكن ليس لإنشاء العقيدة عندهم ولكن لتقريرها وتثبيتها ، وعلى سبيل الاستطراد ، فيه يزداد المؤمنون إيماناً ويقيناً ، ويسلم غير المسلم بالنتيجة .

والثانى : لدعوة المسلمين وبيان الأحكام الشرعية لهم ليمتثلوها منقادين مذعنين لله طائعين ..

هذا .. ومن المناسب فى هذا المقام إيراد كلام الشاطبى فى تلك المسألة : يقول : "إن الأدله الشرعية ضربان أحدهما : يكون على طريقة البرهان العقلى فيستدل به على المطلوب الذى جعل دليلاً عليه ، فكأنه تعليم للأمة كيف يستدلون على المخالفين

وهو فى أول الأمر موضوع لذلك وتدخل هنا جميع البراهين العقلية وما جرى مجراها كقوله : ﴿ لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدنا ﴾ (١) ، وهذا الضرب يستدل به على الموافق والمخالف لأنه معلوم عند من له عقل فلا يقتصر على الموافق فى النحلة (٢)

وثانيهما : مبنى على الموافقة فى النحلة ، وذلك مثل الأدلة الدالة على الأحكام التكليفية ، كدلالة الأوامر والنواهى على الطلب من المكلف ، ودلالة قوله : ﴿ كتب عليكم القصاص فى القتلى ﴾ و ﴿ كتب عليكم الصيام ﴾ و ﴿ أحل ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم ﴾ فإن هذه النصوص وأمثالها لم توضع وضع البراهين ، ولا أتى بها فى محل الاستدلال بل جئ بها قضايا مسلمة متلقاه بالقبول ، وإنما برهانها فى الحقيقة المعجزة الدالة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم الآتى بها ، وإذا ثبت برهان بالضرب الأول اخذ الدليل إنشائيا كأنه واضعه ، وإذا استدل بالضرب الثانى اخذه معنى مسلما لفهم مقتضاه إلزاما والتزاما ، فإذا أطلق لفظ الدليل على الضربين فهو نوع من اشتراك اللفظ لأن الدليل بالمعنى الأول خلافه بالمعنى الثانى ، فهو بالمعنى الأول جار على الاصطلاح المشهور عند العلماء (٣) . وبالمعنى الثانى نتيجة انتجتها المعجزة فصارت قولا مقبولا " أ . هـ .

وبالنظر فى تقسيم الشاطبى للأدلة نرى أنه اعتبر الدليل هو البرهان العقلى بصورته المعروفة فى الاستدلال ، ويستدل به مع غير المسلمين ومع المسلمين لأن الارتكاز على مسلمات العقل ونتائج الاستدلال مع غير المسلم أجدى وأنفع ، وإذا استعمل مع

---

(١) سورة الأنبياء من آية ٢٢ .

(٢) النحلة هى العطية ، والمراد بها هنا : الدين والعقيدة أو المذهب أو الدعوى والنسبة بالباطل ، ويقال : نحل فلان فلاناً القول اى نسبة إليه وليس بقائلة .

(٣) الدليل فى اللغة هو المرشد ومابه الارشاد ، وفى الاصطلاح : هو الذى يلزم من العلم به العلم بشئ آخر (انظر التعريفات للجرجانى) .

المسلم فإن ذلك يكون على سبيل الاستطراد ، كما أنه يرى أن النوع الثانى يستدل مع المسلمين الموافقين فى الدين والنحلة لأن هؤلاء ثبت لديهم بالبراهين صدق نبوة النبى صلى الله عليه وسلم فهم يسلمون بكل ماجاء تفضيلا ولذا فإنهم يستدل لهم على الاحكام بايراد النصوص الشرعية الدالة عليها فقط وهم بناء ما اعتقدوه بالدليل الأول يقبلون الدليل الثانى وهو ثبوت النص فى الموضوع ودلالته على الحكم

* * *

المبحث الثانى

(أساليب دعوة غير المسلمين وطرق الجدل معهم)

سلك القرآن الكريم عدة طرق فى جدال المعاندين من الخصوم لإقامة الحجة عليهم وإلزامهم باتباع الحق بالتسليم العقلى وقطع الحجة ، وإثبات الدعوى ، وهى من الأنواع المتفق عليها فى علم الجدل ، ومن هذه الطرق :

١- **السبر والتقيم** : وهو عبارة عن حصر أوصاف الموضوع الذى يجادل فيه ، ثم يبين أنه ليس فى أحد هذه الأوصاف خاصية نوع قبول الدعوة فيه ، فتبطل دعوى الخصم عن طريق هذا الحصر المنطقى للموضوع ، ومن الأمثلة القرآنية له ، قول الله تعالى : ﴿ ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل آلذكرين حرم أم الانثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين نبئونى بعلم إن كنتم صادقين . ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم أم الانثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا فمن أظلم ممن افترى عليه كذبا ليضل الناس بغير علم إن الله لا يهدى القوم الظالمين ﴾ (١) فإن الكفار لما حرموا ذكور الأنعام تاره وإناثها تارة أخرى ، رد الله عليهم بطريقة السبر والتقسيم ، فقال : إن الخلق لله ، خلق من كل زوج مما ذكر ذكراً وأنثى ، فمم جاء تحريم ماذكرتم ؟ أى ماعلته ؟ فإنه أى التحريم لا يخلو : ١- إما أن يكون من جهة وصف الذكور والأنوثة ٢- واما من جهة اشتمال أرحام الإناث على النوع أى الذكورة والانوثة ، ٣- أولا تدرى له علة وهو الأمر التعبدى أى اخذ الأمر عن الله وهذا لا يكون إما بوحى أو

(١) الانعام ١٤٣ / ١٤٤

إرسال رسول أو سماع كلامه ومشاهدة تلقى ذلك عنه ، وهو معنى قوله ﴿ أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا ﴾ فهذه هى وجوه التحريم لا تخرج عن واحد منها .

فالوجه الأول يلزم عنه تحريم جميع الذكور ، أو تحريم جميع الإناث وليس بعض الذكور أو بعض الإناث لقيام الوصف بالذكوره أو الانوثة بجميع أفراد كل نوع وليس ببعضهم ويلزم عن الوجه الثالث تحريم الصنفين معا لأن الأرحام لابد أن تشتمل على ذكور أو إناث ، والكائن الذى اشتمل عليه أى رحم إما ذكراً واما أنثى ولا ثالث لهما .

وهنا يظهر بطلان مافعلوه وهو تحريم بعض الذكور فى حالة وبعض الإناث فى حالة أخرى ، لأن العلة تقتضى إطلاق التحريم .

إما الفرض الأخير وهو أنهم أخذوا ذلك عن الله بلاواسطة فإنهم لم يدعوه أو بواسطة رسول فإنه أيضا باطل لأنه لم يأت إليهم رسول قبل النبى صلى الله عليه وسلم فبطلت جميع الافتراضات وثبت المدعى وهو أن ماقالوه افتراء على الله وضلال (١) ويقول البيضاوى فى تفسير ﴿ فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ﴾ فنسب إليه تحريم مالم يحرم والمراد كبراؤهم المقررون لذلك أو عمرو بن لحى بن قمعة المؤسس لذلك (٢) .

فإبطال هذا الزعم الباطل للكفار تم على مرحلتين : الأولى حصر مصادر تحريم ما ادعوه ، الثانية إبطال هذه المصادر وبيان ذلك لهم فيثبت بطلان دعواهم .

---

(١) انظر " مناهج الجدل فى القرآن الكريم " د/ زهر عواض الالمعى صـ ٦٩ ، والاتقان فى علوم القرآن - جلال الدين السيوطى - جـ ٢ صـ ١٣٦ .

(٢) تفسير البيضاوى جـ ١ صـ ٣٢٤ ط دار الكتب العلمية .

٢- **الاستفهام التقريرى**: وهو الاستفهام عن المقدمات البينة الواضحة البرهانية التى لا يمكن لأحد أن يجحدها وهى تدل على المطلوب لتقرير المخاطب بالحق واعترافه بإنكار الباطل ، وهو من أحسن جدل القرآن فإن الجدل إنما يشترط فيه أن يسلم الخصم بالمقدمات أو تكون بينه معروفة ، فإن كانت بينه كانت برهانية ... ومثال ذلك من القرآن قوله الله تعالى : ﴿ أوليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ؟ بلى وهو الخلاق العليم ﴾ (١) .

وقوله : ﴿ أم خلقوا من غير شئ أم هم الخالقون . أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون ﴾ (٢) فالآية الاولى سؤال عن قدرة الله على خلق السموات والأرض فى معرض التدليل على قدرة الله على البعث والإعادة ، فإن قدرة الله مقررة فى النفوس ، ولو مارى ممار على سبيل المكابرة نسأله : ومالذى يمنعه من ذلك ؟ وقد خلقهما أولا ، مالمانع أن يخلق مثلهم ؟ ويقول البيضاوى : أن يخلق مثلهم فى الصغر والحقارة بالإضافة إليهما ، أو مثلهم فى أصول الذات وصفاتها وهو المعاد (بلى) تقرير من الله تعالى لما بعد النفى مشعر بأنه لا صواب سواه ، فهو خالق السموات والأرض مع كبر جرمها وعظم شأنهما (٣) وسؤال آية الطور : أم خلقوا من غير شئ أى بلا خالق فلذلك لا يعبدونه أو خلقوا من أجل لا شئ من عبادة ومجازاة ، أم هم خلقوا أنفسهم .. وكونهم كذلك لم يدعوه ، يقرون بأن لهم خالقا إلا أنهم لا يعبدونه ولما كانت عبادة الخالق واجبة على المخلوق فعبادة الله واجبة عليهم ، لأن خلقهم بلا خالق باطل لارتباط الأسباب بالمسببات ، والنتائج

---

(١) يس ٨١

(٢) الطور ٣٥ ، ٣٦ .

(٣) انظر البيضاوى جـ ٢ صـ ٢٨٨

بالمقدمات وهذا ثابت بالمشاهدة ، وكونهم خلقوا أنفسم يلزم عليه مستحيل عقلى هو أن يكون الشئ متقدما على نفسه متأخراً عنها ، فثبت أن لهم خالقا غيرهم وهو الله خالق كل شئ الذى تجب عبادته .

٣- **الأقيسة الإضمارية**: القياس الإضمارى : هو الذى تحذف فيه إحدى مقدماته مع وجود ماينبئ عن المحذوف " (١) ويعلق شارح الطحاوية : " إن الطريقة الفصيحة فى البيان أن تحذف إحدى المقدمات وهى طريقة القرآن " (٢)

وبهذا النوع من الاستدلال رد الله زعم النصارى فى بنوة عيسى لله معللين ذلك بأنه خلق من غير أب ، فقال : ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾ (٣) وتقرير ذلك : أنه إذا كان الخلق بلا أب مسوغا لاتحاذ عيسى إلها ، فأولى أن يكون الخلق بلا أب ولا أم مسوغا لاتخاذ آدم إلها ، ولا أحد منكم يقول بذلك .

وسياق الدليل فى غير كلام الله :

١- إن آدم خلق من غير أب ولا أم ، وعيسى خلق من غير أب .

٢- ولو كان عيسى إلها بسبب ذلك لكان أدم أولى .

٣- لكن أدم ليس ابنا لله ولا إلها باعترافكم . نتيجة هذه المقدمات أن " عيسى ليس ابنا ولا إلها " (٤) فقد شبه حالة بما هو أغرب منه إفحاما للخصم وقطعا لمواد الشبهة ، وهو أنه خلق بلا أب كما خلق أدم من التراب بلا أب ولا أم .

---

(١) مناهج الجدل - الألمعى - صـ ٧٠

(٢) انظر شرح الطحاوية جـ١ صـ٢٠

(٣) آل عمران ٥٩

(٤) انظر المعجزة الكبرى للامام محمد ابو زهرة صـ ٢١٨ بتصرف .

وهذا الحذف قد صير فى الكلام طلاوة وأكسبه رونقاً وجعل الجملة مثلا مأثورا يعطى الكلام حجة فى الرد على النصارى ، ويذكر الجميع بأن آدم والناس ينتهون إليه خلق من التراب فلا عزه إلا لله تعالى .. [١]

٤- **قياس الخلف**: وهو إثبات المطلوب بإبطال نفيضه ، وذلك لأن النقيضين لا يجتمعان ولا يخلو المحل من أحدهما كالمقابلة بين العدم والوجود ... وبهذا القياس يتجه القرآن إلى إثبات التوحيد عن طريق إبطال ماعليه المشركون فيبطل عبادة الأوثان ويثبت العكس وهو التوحيد ومثال ذلك من القرآن : ﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان رب العرش عما يصفون ﴾ [٢] إذ لو كانت فى السموات والأرض آلهة غير الله لتنازعت الإرادتان بين سلب وايجاب ، وإن هذا التنازع يؤدى إلى فسادهما - أى السموات والارض - ولكنهما صالحتان فبطل ماتؤدى إلى الفساد ومن وجود إله غير الله وثبت نقيضه وهو وجود إله واحد لا شريك له - وهذا يسمى دليل التمانع ، ومن ذلك قوله : ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ﴾ [٣] لكن لم يقع فيه أى القرآن الاختلاف فانتقى كونه من عند غير الله ، وثبت نقيضه وهو أن القرآن وهى من عند الله سبحانه وتعالى .

٥- **القول الموجب**: وحقيقته " رد كلام الخصم من فحوى كلامه " وقد جعله العلماء قسمين : أحدهما : ان تقع صفة فى كلام الغير كناية عن شئ اثبت له حكم ، فيثبتها لغير ذلك الشئ ، وذلك كقوله تعالى حكاية عن المنافقين : ﴿ يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن

---

(١) انظر المعجزة الكبرى أبو زهره صـ ٣٩٨ ط دار الفكر العربى بالقاهرة .

(٢) الانبياء ٢٢ .

(٣) النساء ٨٢ .

المنافقين لا يعلمون ﴾[١] والمنافقون يريدون بالأعز فريقهم ، وبالأذل فريق المؤمنين – فوافقهم على أن الأعز يخرج الأذل ولكن الأعز هم المؤمنون وهم الذين سيخرجون المنافقين – فما قالوه صحيح من إخراج الأعز للأذل لكن الأعز ليس فريقهم وإنما العزة لله ورسوله والمؤمنين وأنتم الذين سيخرجون .

ثانيهما : حمل لفظ وقع فى كلام الغير على خلاف مراده ، ومثاله الوحيد فى القرآن قوله تعالى : ﴿ ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو أذن ، قل أذن خيرلكم ﴾ [٢] .

فالمراد بقولهم : هو أذن : أى من قال له شيئاً صدقه فينا ، ومن حدثه صدقه ، فإذا جئناه وحلفنا له صدقنا .. لكن الله رد عليهم بمثل ماقالوه : أى أذن ، لكنه ليس على نحو ماتقولون ، وإنما أذن خير يعرف الصادق من الكاذب (يؤمن لله ويؤمن للمؤمنين) أى ويصدق المؤمنين ... [٣] .

٦– **التسليم**: وهو أن نعرض الحال إما منفيا أو مشروطاً بحرف الامتناع يكون المذكور ممتنع الوقوع لامتناع شرطه ، ثم يسلم تسليما جدليا وقوع ذلك ، ويدل على عدم فائده ذلك على تقدير وقوعه ...

وذلك كقوله تعالى فى اثبات التوحيد : ﴿ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون ﴾ [٤]

فالمعنى : ليس مع الله إله ، ولو سلمنا ذلك جدلا للزم من ذلك التسليم ذهاب كل إله بما خلق وعلو أحدهما على الآخر فلا يتم فى العالم أمر ولا ضطرب نظامة واختل

---

(١) المنافقون ٨

(٢) التوبة ٦١ .

(٣) انظر الاتقان جـ ٢ صـ ١٢٧ المكتبة الثقافية بيروت لبنان – وانظر مناهج الجدل صـ ٧٤ وتفسير ابن كثير جـ٢ صـ ٣٦٦ .

(٤) المؤمنون ٩١ .

تكوينه - لكن ذلك - أى الاختلال والاضطراب - باطل بالمشاهدة حيث النظام البديع المحكم واضح جلى وبالتإلى بطل ماأدى إليه وهو وجود إلهين [(١)] فهذا تسليم بدعوى الخصم ثم ابطالها بدليل المشاهدة الحية والتأمل العقلى - وهذا قريب من قياس الخلف إلا انه ينفرد عنه بالتسليم الجدلى الوارد فى الخيال فى الواقع .

٧- **المناقضة** : ويقصد بها : تعليق الأمر على مستحيل للدلالة على استحالة وقوعه[(٢)] - ومثال ذلك من القرآن قوله تعالى : ﴿ إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط .. ﴾ [(٣)] فالمراد : لا تفتح أبواب السماء لأعمالهم ولأرواحهم - فلا يقبل لهم عمل لما هم عليه من الشرك حتى يدخل الجمل وهو البعير ولد الناقة ، وقيل : الحبال الغلاظ - والصواب الأول - فى ثقب الإبرة ، ولما كان هذا مستحيلا كان دخولهم الجنة مع شركهم مستحيلا لتعلقه على مستحيل . [(٤)]

٨- **مجاراة الخصم لتبين عثرته** : وذلك بأن نسلم للخصم ببعض مقدماته مع الإرشاد إلى أنها لا تنتج مايريده ، بل هى مساعدة على إنتاج مانريده نحن ، ومثال ذلك من القرآن : ﴿ قالت رسلهم أفى الله شك فاطر السموات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى ، قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين . قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده ، وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان

---

(١) انظر مناهج الجدل .

(٢) الاتقان جـ ٢ .

(٣) الاعراف ٤٠ .

(٤) تفسير ابن كثير جـ ٢ صـ ٢١٤ .

إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ (١) فإن الكفار ينكرون الرسالة لكون الرسل بشراً وأخذوا ذلك تكئه لتبرير إنكارهم الرسالة وعدم اتباع الرسل فكان رد الرسل عليهم فى إنكار النبوة : إذا ادعيتم أننا بشر فهذا حق ولا نخالفكم فيه فنحن بشر ولا ننكر ذلك - ولكن دعواكم هذه لا يترتب عليها إنكار النبوة والرسالة أو عدمها ، ولا مانع من أن يمن الله بالرسالة علينا . بل البشرية شرط فى الرسالة إلى عامة البشر ، فإن سنة الله جرت أن يكون الرسول من جنس المرسل إليهم فيعرفون قدره ومكانته وصدقه ، فالرسل قد جاروا خصومهم فى الوصف بالبشرية ولكنهم بينوا لهم خطأهم فى اعتقادهم أن البشرية مانعه للنبوة .

يقول السيوطى : قولهم - أى الرسل - إن نحن إلا بشر مثلكم فيه اعتراف الرسل بكونهم مقصورين على البشرية ، فكأنهم سلموا انتفاء الرسالة عنهم وليس مراداً بل هو من مجاراه الخصم ليعثر " (٢) ولا يخفى مافى ذلك من اجتذاب الخصم بالتسليم ببعض مقدماته ليسلم بالنتائج .

وهذا الاستدلال قريب من الاستدلال بالقول بالموجب (بفتح الجيم) إلا أن الفرق بينهما يرجع إلى ما ورد فى كلام الخصم فى القول بالموجب، فإننا نعامله بنقيض قصده الوارد على لسانه ، أما فى مجاراه الخصم فإننا نسلم ببعض مقدماته مع بيان أن هذه المقدمات غير مانعة من نقيض مراده ، فهى مراد لا يمنع من الايراد(٣) .

---

(١) إبراهيم ايتا ١٠/١١ .

(٢) الاتقان جـ٢ صـ١٣٧ .

(٣) انظر مناهج الجدل صـ٧٨ .

٩- **إبطال دعوى الخصم بإثبات نقيضها** : ومثال ذلك من القرآن قوله تعالى : ﴿ وماقدروا الله حق قدره إذ قالوا ماأنزل الله على بشر من شئ ، قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا ، وعلمتم مالم تعلموا أنتم ولا أباؤكم قل الله ، ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون﴾(١) فقد ادعوا اسلبا كليا وهو نفيهم ان الله أنزل شيئاً على البشر لينكروا نزول القرآن من عند الله - فكان تكذيب الله لهم باعترافهم الجزئى : وهو أن التواره منزلة من عند الله فهم يعترفون بالتواره التى بين أيديهم ويفتخرون بها على العرب بأنهم اصحاب كتاب ، ومع ذلك يقولون : ﴿ ماأنزل الله على بشر من شئ ﴾ وهذا تناقض فى الحقيقة والواقع كما هو فى قرارات أنفسهم ، وهو مسلك من مسالك الإفحام والإلزام حيث يتناقضون فى إيمانهم بالتوراة ، ودعواهم أن الله لم ينزل على بشر شيئاً ..

والدعوى هى عدم إنزال الله على بشر من شئ وهذا سلب كلى ادعوه زورا وبهتانا بطلت هذه الدعوى بإثباتها نقيضها وهو أن الله أنزل التوراة وهم يعترفون بذلك جزيئا - فإذا ثبت أن الله ينزل كتبا على البشر فما المانع أن يكون القرآن من عند الله ؟

١٠- **الاستدلال بوجود الأثر على وجود المؤثر**: ومقال ذلك ماصنعه إبراهيم عليه السلام فى مناظرته لأصحاب الهياكل وكيف استدل على وجود الله بآثار إيجاده تعالى لخلقه وقد حكى الله ذلك بقوله : ﴿ وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين . فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الآفلين . فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى

---

(١) الانعام ٩١

لأكونن من القوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال ياقوم إنى بريئ مما تشركون . أنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين ﴾ (١) .... فقد استدل إبراهيم (٢) عليه السلام بأفول الكواكب والقمر والشمس على أنها ليست آلهة لحدوثها فتكون محتاجة إلى محدث وما كان كذلك لا يكون حادثا إذ كل حادث له محدث ينتهى إليه وإلا لزم الدور (٣) والتسلسل (٤) فى المؤثرين إلى مالا نهاية وهذا ممتنع قطعا (٥) .

وهذا النوع من الاستدلال فطرى لأن الشخص إذا رأى أثرا لفعل معين يسأل بفطرته من فعل هذا ؟ فإذا ذهب مزارع مثلا إلى حقله فرأى النبات مقطوعا ملقى على الأرض أول مايتساءل : من قطع هذا الزرع ؟ فهو، يوقن بأن هذا الأثر وهو قطع الزرع له فاعل إلا أنه لا يعرفه - ولم نسمع من رأى مثل هذا ثم قال لماذا فعل الزرع ذلك وخرج من الأرض واستلقى عليها دون أن أراه ؟ لأن الفطرة تتجه إلى الفاعل والمؤثر .

١١- إلزام الخصم بما يعترف به مما هو مشاهد محسوس : ومن ذلك جدل الله لعبدة الاصنام من دون الله كقوله تعالى : ﴿ إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ﴾ (٦) أى لو اجتمع جميع ماتعبدون من الأصنام والأنداد على

---

(١) الانعام ٧٥ - ٧٩ .

(٢) انظر حوار إبراهيم عليه السلام فى النماذج القرآنية فى هذا الكتاب .

(٣) الدور : هو توقف الشئ على ماتوقف عليه اما برتبه أو اكثر .

(٤) التسلسل : هو ترتيب امور غير متناهية .

(٥) مناهج الجدل ٧٩

(٦) الحج ٧٣

أن يقدروا على خلق ذباب واحد ماقدروا على ذك وماااستطاعوه (وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه) أى هم عاجزون عن خلق ذباب واحد بل أبلغ من ذلك هم عاجزون عن مقاومته والانتصار منه لو سلبها شيئاً من الذى عليها من الطيب ثم أرادت أن تنقذه منه لما قدرت على ذلك ، هذا وإن الذباب من أضعف مخلوقات الله وأحقرها ولذا قال : ضعف الطالب أى الصنم باعتباره طالبا لما سلبه الذباب منه ، والمطلوب الذباب ، وقيل : الطالب أى العابد ، والمطلوب : الصنم (١) .

وفى قوله : (لا يستنقذوه منه) تجهيل لهم غاية التجهيل بأن أشركوا إلها قدر على المقدورات كلها ، وتفرد بإيجاد الموجودات بأسرها تماثيل هى أعجز الاشياء ، وبين ذلك بأنها لا تقدر على خلق أقل الاحياء وأذلها ولو اجتمعوا له ، بل لا تقوى على مقاومة هذا الأقل الأذل وتعجز عن ذبه عن نفسها واستنقاذ ما يختطفه من عندها(٢) فهذه كلها مشاهدات يرونها كل يوم ويقرونها فألزمهم بها ورتب عليها بطلان عبادتهم الأصنام العاجزة ، وألزامهم عبادة الله القادر.

١٢- إفحام الخصم ببيان أن دعواه تلزمه بالقول بمالم يقل به أحد ولم يعترف به هو : وذلك كقول الله تعالى : ﴿ وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون . بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شئ بكل شئ عليم ﴾(٣) فإنه لم يقل أحد بأن لله تعالى صاحبة ومن ينسب إليه الولد يعتقد عدم وجود الصاحبة لله تعالى ، إذا

---

(١) انظر تفسير ابن كثير جـ ٣ صـ ٢٣٥

(٢) انظر تفسير البيضاوى جـ ٢ صـ ٩٧ .

(٣) الانعام ١٠٠ - ١٠١ .

كيف يكون له ولد وليس له صاحبة فقد نفى التولد عنه تعالى لامتناع التولد عن شئ واحد ، وإنما التولد إنما يكون بين اثنين وهو سبحانه لا صاحبة له .

يقول البيضاوى : فى الآية نفى للولد من وجوه ، الأول : أنه من مبدعاته السموات والأرض وهى مع أنها من جنس مايوصف بالولادة مبرأة عنها لاستمرارها وطول مدتها ، فهو أولى بأن يتعالى عنها ، أو أن ولد الشئ نظيره ، ولا نظير له فلا ولد ، الثانى : أن المعقول من الولد مايتولد من ذكر وأنثى متجانسين والله تعالى منزه عن المجانسة ، الثالث : أن الولد كفء الوالد ، ولا كفء له لوجهين .

أ- ان كل ماعداه مخلوقاته فلا يكافئه .

ب- أنه سبحانه وتعالى عالم لذاته ، عالم بكل المعلومات ولا كذلك غيره بالاجماع(١) .

فهذا الدليل يقوم على إلزام الخصم بمالم يقل به من وجود الصاحبة ، وهو لا يقول بذلك إذا ينتفى الولد لله سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيرا ، وثبتت الوحدانية وأنه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد .

١٣- **القصص** : من أساليب القرآن الكريم فى الإقناع القصصى وتضمين القصة الأدلة على ما يعتقده المشركون وغيرهم ، وقد يكون موضوع القصة رجلاً محترماً ممن يجادلهم القرآن إذ يدعون محاكاته فى دينه واتباعه فى ملته فيجئ برهان الله على لسانه .

ومن أمثلة ذلك من القرآن ، قصة خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام فى موضعين فى سورة الأنعام ، وسورة مريم - ففى قصته فى السورتين أدله واضحة على بطلان عبادة الأصنام ، وكان إبراهيم عليه السلام شرف العرب ومحتدهم ، وكانوا يزعمون

---

(١) البيضاوى جـ١ صـ ٢١٥ .

أنهم على دينه ، فإذا جاء الخبر عنه بأنه كان موحداً وسيق ما كان يحتج به على أبيه وقومه كان ذلك مؤثراً فى قلوبهم وأن مجئ الدليل فى ضمن خبر لرجل يعترف بفضله المجادلون يعطى الدليل قوة فوق قوته الذاتية ، إذ تكون الحجة قد أقيمت عليهم من جهتين ، أولاً : من جهة الدليل ذاته ، وثانياً : من جهة أن الرجل الذى قاله محترم فى نظرهم يدعون أنهم اتباعه فهم ملزمون بقوله مأخوذون برأيه (١) والقصص من الأشكال الدعوية المحببة للنفوس التى تستهوى سامعيها وينصتون إلى ما تضمنته من الأدلة والقضايا .

١٤– التمثيل : ويراد به قياس التمثيل : وهو أن يقيس المستدل الأمر الذى يدعيه على أمر معروف وبين الجهة الجامعة بينهما (٢) او هو إلحاق أحد الشيئين بالآخر ، وذلك بأن يقيس المستدل الأمر الذى يدعيه على أمر معروف عند من يخاطبه أو على أمر بدهى لاتنكره العقول وبين الجهة الجامعة بينهما (٣) ومثال ذلك من القرآن الكريم ، قول الله تعالى فى سورة يس مدللاً على قدرته على البعث : ﴿ أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين . وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحى العظام وهى رميم . قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم . الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون . أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم﴾(٤) وبالتامل فى هذه الآيات نجد الاستدلال بالابتداء المعلوم على الإعادة فى أبلغ تعبير وأسلم تقرير ، وأن هذه وغيرها مما اشتمل عليه القرآن الكريم قياس

---

(١) الانعام الايات ٧٤ - ٧٩ ، ومريم الايات من ٤٢ - ٤٩ .

(٢) انظر تاريخ الجدل - الامام محمد أبو زهرة - صـ ٦٦ .

(٣) مناهج الجدل ٧٢ ، وتاريخ الجدل لابى زهره ٦٨ .

(٤) يس ٧٧ - ٨١ .

ما فى الغيب على المشاهد وقياس ما بينه الله تعالى وأوجب الإيمان به على ما هو واقع مرئى مشاهد وفيه الدلالة الكاملة على قدرة الله تعالى وأنه المالك لما هو واقع ، والقادر على ما لم يقع الآن ويقع مستقبلاً ..

وجدل القرآن كثيراً ما يتجه إلى إرشاد المجادل والأخذ بيده ليبنظر ويتأمل ليصل إلى الحق ، كقوله تعالى : ﴿ أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج . والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا غيها من كل زوج بهيج . تبصره وذكرى لكل عبد منيب . ونزلنا من السماء ماء مباركاً فأنبتنا به جنات وحب الحصيد . والنخل باسقات لها طلع نضيد . رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتاً كذلك الخروج ﴾ (١) والمراد : أفلم ينظروا حين كفروا بالبعث إلى السماء فوقهم إلى آثار قدرة الله تعالى على خلق العالم من سماء مرفوعه بلا عمد ، مزينة بالكواكب ، وأرض ممدودة مبسوطة ثابته بالجبال الرواسى تنبت من كل الأصناف الحسنة ، وهذا الماء النازل من السماء وهو كثير المنافع والبركات فكان سبباً لإنبات الجنات والأشجار والثمار والحبوب وكل أنواع الرزق ، وذلك النخيل الطويل الباسق المحمل بالثمار والتمر . كل هذه المظاهرة لقدرة الله من منح الحياة والرزق للعباد مما تشاهدون وترون ، والقدرة التى فعلت كل هذا هى بذاتها التى تعيدكم إلى الحياة يوم القيامة أى كما حييت هذه البلدة يكون خروجكم أحياء بعد موتكم .. (٢) فهنا دعا القرآن إلى النظر والتأمل فى مظاهر القدرة الإلهية ليصل من عالم الحس إلى الإقرار بالبعث والحساب يوم القيامة وأحياناً يبتدئ بإلزام الخصم (المجادل) وإفحامه ثم يأخذ بيده إلى الحقبقة إذ يبنها له واضحة كاملة ، كما نرى فى قول الله تعالى ردا على المشركين فى زعمهم أن الرسول لابد أن يكون ملكا : ﴿ وقالوا لولا أنزل عليه ملك ، ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لاينظرون . ولو جعلناه ملكا لجعلناه

---

(١) ق ٦ - ١٢ .

(٢) انظر تفسير البيضاوى جـ ٢ صـ ٤٢٠ بتصرف خفيف .

رجلاً وللبسنا عليهم ما سلبسون ﴾ [١] .. وبالتأمل نجد أن الرد عليهم كان مفحماً إذ أن الملك لو أنزل بحيث عاينوه كما اقترحوا لحق إهلاكهم فإن سنة الله قد جرت بذلك فيمن قبلهم (ثم لاينظرون) بعد نزوله طرفه عين .. وقد كان لهم فى هذا الأمر اقتراحان . الأول : لولا انزل عليه ملك ، والثانى : لو شاء ربنا لأنزل ملائكة . فعلى الأول يطلبون نزول ملك مع الرسول ليشهد أمامهم بأنه رسول ، وعلى الثانى يطلبون أن يكون الرسول نفسه ملكاً لأنه فى زعمهم لا يكون الرسول إلا ملكاً وعلى كلا الاقتراحين فإن اللبس واقع وحاصل لامحالة ، لأنه لو جعل ملكاً قريناً مع الرسول يعاينونه أو كان الرسول نفسه ملكاً ، لكان ذلك ممثلاً فى صورة رجل كما مثل جبريل للرسول فى صورة دحية الكلبى ، فإن القوة البشرية لاتقوى على رؤية الملك فى صورته .. ولحدث اللبس فيقولون ما هذا إلا بشر مثلكم ... وإلا فكيف يميزون بين الملك المتمثل فى صورة بشر عن البشر الحقيقى ؟ فاللبس والتكذيب واقع .....

١٥- الاسجال : وهو أن تثبت على لسان خصمك ألفاظاً فى سياق آخر تسجل عليه ما كان عنده محل شبهه وإنكار [٢] يقول السيوطى : هو الاتيان بألفاظ تسجل على المخاطب وقوع مأخوطب به مثل قوله تعالى : ﴿ ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك . ﴾ [٣] وقوله : ﴿ ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم .. ﴾ [٤] ، فإن فى ذلك إسجالاً بالإتياء والإدخل حيث وصفا بالوعد من الله الذى لايخلف وعده [٥] .

---

(١) الانعام ٨ - ٩ .

(٢) مناهج الجدل ٧٦ .

(٣) آل عمران آية ١٩٤ .

(٤) غافر آية ٨ .

(٥) الاتقان جـ ٢ صـ ١٣٧ .

١٦- الانتقال : وهو أن ينتقل المستدل إلى استدلال غير الذى كان آخذاً فيه ، لكون الخصم لم يفهم وجه الدلالة من الأول ، أو لجأ إلى المغالطة فى الدليل . (١) .

ويوضح ذلك السيوطى بقوله : " كما جاء فى مناظرة الخليل ، الجبار لما قال له - اى قال الخليل إبراهيم للنمروذ الجبار - : ربى الذى يحيى ويميت فقال الجبار : ﴿أنا احيى وأميت ﴾ ، ثم دعا بمن وجب عليه القتل فأعتقه ومن لايجب عليه القتل فقتله ، فعلم الخليل أنه لم يفهم معنى الإحياء والإماته ، أو علم ذلك وغالط بهذا الفعل ، فانتقل الخليل عليه السلام إلى استدلال لايجد له الجبار وجهاً يتخلص به منه فقال : ﴿ إن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب ﴾ فانقطع الجبار وبهت ولم يمكنه أن يقول أنا الآتى بها من المشرق .."(٢) .

والانتقال من استدلال إلى غيره لابد فيه دقة فهم الداعى ، وتحديد حالة خصمه لينتقل إلى الاستدلال الذى يفحمه ويلزمه التسليم .

١٧- الاستدلال بالتحدى على صدق الدعوى : ومن هذا المسلك : معارضة المشركين للرسول صلى الله عليه وسلم فى القرآن وتشكيكهم فى نسبته إلى الله تعالى ، حيث كانوا يدعون أنه من عند محمد صلى الله عليه وسلم وليس من عند الله ، إلا أن القرآن قد قد رد عليهم مرتكزاً على حقيقتين :

أ- نقض جميع المعارضات التى أوردها المشركون وكشف ما تنطوى عليه من شبه وملابسات .

ب- الاستدلال بالتحدى على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يبلغ عن الله تعالى ولقد أسرف المشركون وأكثروا من المعارضات والخوض فى القرآن

---

(١) مناهج الجدل ٧٦ .

(٢) الاتقان - السيوطى جـ ٢ .

وحاولوا نقضه فتاره يقولون : إن النبى صلى الله عليه وسلم قد تعلم القرآن من غلام أعجمى ، وتارة يقولون : هو أخبار وقصص السابقين جمعها الرسول واكتتبها.
وقد رد القرآن عن الزعم الأول فقال : ﴿ ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر ، لسان الذى يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين ﴾ (١)
وعن الزعم الثانى ، فقال : ﴿ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولاتخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون ﴾ (٢) .

وقد نقض القرآن دعوى أن القرآن من تعليم غلام أعجمى ، وأنه أساطير الأولين ، وأخبار السابقين ، وأنه من وضع البشر وليس من عند الله ، بأمور ثلاثة :
١- القرآن الكريم جاء باللغة العربية الفصحى التى تأخذ بالألباب ، وتعجز أرباب الفصاحة والبيان ، فكيف يعقل أن يتكلم غلام أعجمى بمثل هذا الأسلوب العربى الذى أعجز فصحاء العرب ﴿ لسان الذى يلحدون اليه ﴾ يعنون جبر الرومى غلام عامرين الحضرمى ، وقيل : أعاجم غيره ، وكان هذا الغلام لبعض بطون قريش وكان بياعاً يبيع عند الصفا يعرف الشئ اليسير بقدر ما يرد جواب الخطاب فيما لابد منه ، فلهذا قال الله رداً عليهم فى افترائهم ذلك "لسان الذى يلحدون إليه عجمى" وهذا أى القرآن (لسان عربى مبين) فكيف يتعلم من جاء بهذا القرآن فى فصاحته وبلاغته .... من رجل أعجمى لايقول هذا من له أدنى مسكه من العقل ......
" وتقرير هذا الرد يحمل وجهين ، أحدهما : أن ماسمعه منه كلام أعجمى لا يفهمه هو ولا أنتم ، والقرآن عربى تفهمونه بأدنى تأمل ، فكيف يكون ماتلقفه منه ، ثانيهما : هب أنه تعلم منه المعنى باستماع كلامه ، لكن لم يتلقف منه اللفظ لأن ذلك أعجمى وهذا عربى والقرآن كما هو معجز من حيث المعنى فهو معجز من

(١) النحل ١٠٣ .
(٢) العنكبوت ٢٨ .

حيث اللفظ ، مع أن العلوم الكثيرة التى فى القرآن لا يمكن تعلمها إلا بملازمة معلم فائق فى تلك العلوم مدة متطاولة فكيف تعلم ذلك من غلام سوقى سمع منه فى بعض أوقات مروره عليه كلمات أعجمية تعلمها لم يعرف معناها وطعنهم فى القرآن بأمثال هذه الكلمات الركيكة دليل غاية عجزهم (١)

٢- إذا كان القرآن من وضع الشر فلماذا لايقدرون على الإتيان بمثلة فهم بشر كذلك وأرباب فصاحة وبلاغة وبيان ، فهو - على ادعائهم - من بشر مثلهم له من القدرة مالهم ، وقد تحدى القرآن بذلك فى مواضع عديدة وعلى مستويات مختلفة :

أ- تحداهم فى الاتيان بمثلة : فقال : ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن ياتوا بمثل هذا القرآن لايأتون ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾ (٢) اى ولو تظاهروا على الإتيان بمثلة .

ب- تحداهم فى الإتيان بعشر سور من مثلة : فقال : ﴿ أم يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سور مثلة مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾ (٣) ولكنهم عجزوا كذلك عن الإيتان والمعارضة .

جـ- تحداهم فى الاتيان بسورة من مثلة ، فقال : ﴿ أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثلة وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾ (٤) فعجزوا عن الكل ولم يأتوا بمثلة او بعشر سور ، او بسورة ، ولابقليل ولابكثير ، وقد سلكوا مع الرسول صلى الله عليه مسالك شتى ساوموه بالمال والملك ليكف عن دعوته ،

---

(١) الكشاف جـ١

(٢) الاسراء ٨٨ .

(٣) هود ١٣ .

(٤) يونس ٣٨ .

وقاطعوه ومن معه ليموت جوعاً ، واتهموه بالسحر والجنون وتآمروا على حبسه أو قتله او إخراجه ، وقدد لهم على الطريق الوحيد لإسكاته وهو أن يجيئوه بكلام مثل الذى جاءهم به ، ألم يكن ذلك الأقرب إليهم والأبقى عليهم لو كان أمره فى يدهم ؟ ولكنهم طرقوا الأبواب كلها إلا هذا الباب فأى شىء يكون العجز ، إن لم يكن هذا هو العجز ؟ والقرآن الذى عجزوا عن معارضته لم يخرج عن سنن كلامهم ألفاظا وحروفاً تركيباً وأسلوباً ولكنه فى اتساق حروفه وطلاوة عبارته وحلاوة أسلوبه وجرس آياته ومراعاة مقتضيات الحال فى ألوان البيان ... بلغ الذروة التى تعجز أمامها القدرة اللغوية لدى البشر (١) .

٣- أن الرسول صلى الله عليه وسلم رجل أمى وقد لبث فى قومه زهاء أربعين سنة لايتحدث بشئ من القرآن ، ثم ظهر فى مجتمع أمى تسودة الفوضى والعصبية والهوجاء ، ومع ذلك أتى بأخبار السابقين وما فيها من العلوم الغيبية التى ليست فى مقدور البشر ، فأتى بهذا التشريع المحكم والنظام العام الذى تحدى به كل نظام وضعى إلى الأبد .. فأنى لرجل مثل محمد صلى الله عليه وسلم بمثل ذلك من العلم والدقة إلا تنزيلاً من حكيم حميد (٢) ، ويقول د. عبد الكريم زيدان عن نفس الجزئية (٣) : "من المفيد أن نقدم بعض الأدلة لإثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، من هذه الأدلة : سيرته العطرة من نشأته حتى وفاته ، فهى سيرة طيبة عطرة لايمكن أن يكون صاحبها كذاباً يدعى على الله ما ليس فيه - وهذا الدليل يكفى لذوى العقول السليمة والفطر السوية ، ومن الأدلة : هذه الشريعة العظيمة فى جميع جوانبها التى يستحيل صدورها عن رجل أمى عاش فى ذلك المجتمع العربى ، فلو لم تكن تشريعاً إلهيا لما امكن لأحد أن يأتى بها مهما كان نضوجه العقلى واتساع أفق

---

(١) انظر مباحث فى علوم القرآن مناع القطان - صـ ٢٦٦ ط مؤسسة الرسالة .

(٢) انظر مناهج الجدل ٨٤ .

(٣) انظر اصول الدعوة - عبد الكريم زيدان - ط مؤسسة الرسالة - صـ ٢٢ .

تفكيره ، حيث وضع الإسلام نظماً واضحة لكل مجالات التعامل الإنسانى سعدت بها البشرية ، ونرى اليوم مؤسسات بشرية بأعداد مهولة من الخبراء والأجهزة الحديثة لتدير نظاماً واحداً كالنظام الاقتصادى أو العسكرى .. أو غيرهما - ومع ذلك يقع الخلل ، فأنى لرجل أمى أن يعقد لهذه الأنظمة ؟! إنه الوحى والتشريع من الله رب العالمين .

تعدد وجوه الإعجاز وعالمية الدعوة : من الأمور المسلم بها أن القرآن الكريم قد أعجز العرب وهم أهل الفصاحة والبيان ، عن معارضتة أو الاتيان بمثله أو بمثل سورة منه ، وبعجزهم هذا قامت عليهم الحجة ولزمهم الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ﴿ وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين . فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين ﴾(١) . فإن المعنى : إن كنتم فى شك من القرآن فأتوا بسورة من مثله والضمير عائد على القرآن ، أى مثل القرآن ، أو على (عبدنا) وهو محمد صلى الله عليه وسلم ، اى ائتوا بسورة من بشر امى مثله لايكتب ولايقرأ - على زعم أنه من عند محمد صلى الله عليه وسلم وليس من عند الله كما تدعون .

فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا - فى الماضى والحاضر والمستقبل وثبت عجزكم عن ذلك (فاتقوا النار) بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم لقيام الدليل والبرهان على صدقه ونبوته (٢) ، وهذا التحدى للعرب فى الفصاحة والبيان ، ولما كانت الدعوة الإسلامية - عالمية ليست مقصورة على العرب وحدهم لقول الله تعالى ﴿ قل يا ايها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا ﴾ (٣) .

(١) سورة البقرة ٢٣ ، ٢٤ .

(٢) انظر تفسير القرطبى جـ ١ ، والبيضاوى جـ ١ .

(٣) الاعراف من اية ١٥٨ .

وقوله : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ (١) فنطاق التبليغ يتسع ليشمل كل الجنس البشرى فى كل بقاع الأرض ، ومن المعلوم أن هذا الجنس لايتحدث بلسان واحد ولابلغة واحدة ، يقول تعالى : ﴿ ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن فى ذلك لآيات للعالمين ﴾ (٢) فاختلاف اللسان واللون من آيات الله ودلائل قدرته وحكمته ، (واختلاف ألسنتكم) أى لغاتكم بأن علم كل صنف لغته أو ألهمه وضعها وأقدره عليها ، أو أجناس نطقكم وأشكاله فإنك لاتكاد تسمع منطقين متساويين فى الكيفية (٣) ، فبناء على هذه الحقيقة يمكن أن يقول غير العرب : نحن لاتلزمنا معجزة القرآن ، لأن موضوع التحدى ليس داخلا فى قدرتنا حيث إنه تحدى العرب أهل الفصاحة والبيان فى اللغة ، أما نحن فلا علم لنا باللغة العربية وأساليبها وتراكيبها ، ومفرداتها . وهنا يمكن الرد بأن الاعجاز اللغوى ليس الوحيد فى التحدى وانما هناك وجوه إعجاز أخرى تعتبر تحدياً لغير العرب من الأعاجم لتقوم الحجة عليهم ، وتثبت نبوه محمد صلى الله عليه وسلم وأن القرآن تنزيل من حكيم حميد ، وليس من عند أى مخلوق من إنس أو جن .

ومن أوجه الإعجاز فى القرآن : بجانب الاعجاز اللغوى ، هناك عده اوجه للإعجاز منها .

١- الإعجاز العلمى : فالقرآن الكريم قد حث على التفكير والنظر والتأمل فى خلق الله فى الكون ، والنفس ، ومدى إحكام الخلق ودقته وحكمة الله فيه ، ولايتوقف العقل عن التفكير بل تنطلق حركته ليستزيد من العلوم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً .

---

(١) الانبياء آية ١٠٧ .

(٢) الروم ٢٣ .

(٣) انظر البيضاوى جـ ٢ صـ ٢١٨ .

وكل ما يصل إيه العقل من القواعد والحقائق إنما يكون ذلك محققاً لما حث عليه القرآن من النظر والتأمل ، وهو يزخر بالآيات التى تدعو إلى الفكر والنظر كقوله تعالى : ﴿ إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب . الذين يذكرون الله قياماً وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأض ربنا ما خلقت هنا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار ﴾ (١) وقوله تعالى :﴿ وفى الأرض آيات للموقنين . وفى أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ (٢) وقوله :﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم ولتعملوا عدد السنين والحساب وكل شهر فصلناه تفصيلاً ﴾ (٣) إلى غير ذلك من الآيات الكونية التى تقود العقل إلى الحقائق العلمية ، وقد يحاول البعض تفسير القرآن بما يطابق مسائل العلم ويحرصون على أن يستخرجوا منه كل مسألة تظهر فى أفق الحياة العلمية إلا أن هذا غير مرغوب ولامستحب ، لأن كثيراً مما يظهر من النظريات العلمية يتضح فيه الخطأ والقصور بظهور حقيقة أخرى ، فماذا يقول من فسروا النظرية الأولى عندما يتضح خطؤها ويتبين بطلانها بظهور أخرى ؟ إن حقائق القرآن العلمية ثابتة وهى نهاية ما يصل إليه البشر والعلماء بعد البحث والتأمل وعندئذ لاتتعارض مع الحقيقة القرآنية التى رسم لنا طريق الوصول إليها بالتأمل والبحث والتنقيب ، وموضوع الاعجاز العلمى متشعب وطويل أفردت له المؤلفات التى تركز على هذا الجانب (٤) فليرجع إليها من شاء .

---

(١) آل عمران ١٩٠ / ١٩١ .

(٢) الذاريات ٢٠ / ٢١ .

(٣) الاسراء ١٢ .

(٤) وهى جميع المؤلفات التى تتحدث عن الآيات الكونية والإنسانية وكتب التفسير فى الآيات الداعية إلى النظر والفكر فى الكون .

٢-**الإعجاز التشريعي** : ففى تشريعات القرآن الدقة والتوازن بين الفرد ونفسه ، وبينه وبين بيئته ومجتمعه ، إذ أن الله تعالى قد أودع فيه كثيرا من الغرائز التى تتفاعل فى النفس وتؤثر عليها فى اتجاهات الحياة ، وتطغى نزعات النفس كثيرا على سلطان العقل ولا يستطيع أن يكبح جماحها فى كل حال لذلك كان لابد من تربية خاصة لغرائز الإنسان تهذبها وتنميها ، وتقودها إلى الخير والفلاح ، فكان التشريع متجها إلى الانسان ليحرره من الخرافات بتقرير العقيدة الصحيحة والتوحيد الخالص لله ، بيده سبحانه الخلق والامر ، وبعد تقرير العقيدة يدعوه للعبادات من صلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وتربط بين المجتمع فى حضور الجماعات والجمع ومن زكاة توجد من أموال الاغنياء لترد على الفقراء حقا معلومالهم ، مما يرسم أروع صور التكافل الاجتماعى والترابط الإنسانى ، إلى صيام يهذب النفس ويربيها على مكارم الأخلاق من الأمانة ، والشفقة والرحمة ، والحج ذلك الركن الجامع بين العبادة الروحية والعبادة المالية والبدنية والمؤتمر العام الجامع للمسلمين من كل الأماكن فى مكان واحد وزمان واحد فى الوقوف بعرفة ، ويضع الإسلام التشريعات لقيام الأسرة المسلمة متناولا العلاقة بين أفرادها بالإيضاح والبيان لحق كل فرد فيها على الآخرين والتشريعات المنظمة لعلاقات أفراد المجتمع بصفة عامة ، كما وضع قواعد عامة لمختلف النظم من سياسية إلى إقتصادية وإلى عسكرية ، كما يبين علاقات المسلمين بغيرهم فى بلاد المسلمين ، وعلاقتهم بغيرهم فى بلادهم .... الخ .

وهذه التشريعات وضعت بدقة متناهية وحكمة بالغة تلائم فطرة الإنسان وتكوينه الروحى المادى ... وهذا كله سابق لزماننا الذى نعيشه ، فأنى لبشر أن يأتى بمثل هذا القرآن - وأنى لأى مثقف أو مؤسسة أو هيئة أن تلم بكل ذلك ؟ وعلى هذا فإن منزل القرآن بتشريعات هو عالم بدقائق أحوال الخلق ماضيا وحاضرا ومستقبلا

فوضع لهم مايصلح أمرهم ويعلى شأنهم ﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾(١)

فتلك التشريعات تؤكد أن القرآن من عند الله وتقوم به الحجة على العرب وغيرهم

٣- الإعجاز الغيبي : ويقصد بذلك القضايا الغيبية التى أخبر بها القرآن قبل وقوعها تم وقعت بعد نزول القرآن مخبرا بها بفترة من الزمان ، ومن أمثلة ذلك :

أ) قولة فى سورة البقرة متحديا المشركين بأنه ياتوا بسورة من مثل القرآن : ﴿ وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثلة وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين . فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين ﴾(٢) والشاهد فى قوله : (ولن تفعلوا) أى لن تأتوا بمثل القرآن فى المستقبل كما لم تأتوا بمثله في الماضي - ونفي المستقبل ومايكون فيه أمر لا يملكه بشر، " وهذا من الغيوب التى أخبريها القرآن قبل وقوعها ، وقال ابن كيسان : ولن تفعلوا توقيعا لهم على أنه الحق وأنهم ليسوا صادقين فيمازعموا من أنه كذب وأنه مفترى وأنه سحر وأنه شعر... "(٣) ويقول ابن كثير: "لن لنفى التأبيد فى المستقبل أى ولن تفعلوا ذلك أبدا وهذه أيضا معجزة أخرى وهو أنه أخبر خبرا جازما قاطعا مقدما غير خائف ولا مشفق ، أن هذا القرآن لا يعارض بمثله ابدا ..... (٤) فلولم يكن القرآن من عند الله ما اخبر بهذا الغيب أبدا .

ب- وقوله تعالى فى سورة الروم : ﴿ الم . غلبت الروم . فى أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون . فى بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويؤمئذ يفرح المؤمنون .

(١) الملك ١٤

(٢) البقرة آيتا ٢٣ - ٢٤

(٣) تفسير القرطبى جـ١ صـ٢٠١ جـ١ الشعب .
(٤) انظر ابن كثير جـ١ صـ٦٠ ط الحلبى .

بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ (١) فهذه الآيات من سورة الروم تتحدث عن مواجهة عسكرية بين الفرس والروم ، تغلب فيها الفرس بقيادة ملكهم سابور على الروم بقيادة هرقل الذى اضطر إلى أن يلجأ إلى القسطنطينية حاضرة سابور مدة طويلة ، وتخبر وقوع عكسها فى مدة دون عشر سنوات حتى تنعكس الآية وتتحول الروم المغلوبة إلى منتصره غالبة - ولم يكن شئ فى الواقع وقت نزول هذه الآيات مايشير من قريب أو بعيد إلى حصول ذلك أى تحول الروم إلى غالبة منتصرة على الفرس . يقول القرطبى : " قال ابن عباس فى قول الله تعالى ﴿ الم . غلبت الروم فى أدنى الارض ﴾ : كان المشركون يحبون أن يظهر أهل فارس على الروم لأنهم وإياهم أهل أوثان ، وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس لأنهم أهل كتاب ، فذكروه لأبى بكر فذكره أبو بكر الرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (أما أنهم سيغلبون) فذكره أبو بكر لهم فقالوا اجعل بيننا وبينك أجلا فإن ظهرنا كان لنا كذا ، وان ظهرتم كان لكم كذا وكذا ، فجعل أجل خمس سنين فلم يظهروا ، فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال : الاجعلته إلى دون - اراه قال العشر " - قال أبو سعيد " والبضع مادون العشر ، قال : ثم ظهرت الروم بعد ... " (٢) فهذا إخبار بالغيب فلو لم يكن القرآن من عند الله مااستطاع بشر أن يقحم نفسه بهذا الخبر وتلك النبوءة التى تحدد مدة دون عشر سنوات لينعكس واقع مواجهة عسكرية بين دولتين كبريين

جـ - ومن ذلك إخبار الله نبيه صلى الله عليه وسلم بمصير أبى لهب وأمرأته فى سورة المسد : ﴿ سيصلى نارا ذات لهب وأمرأته حمالة الحطب فى جيدها حبل من

---

(١) الروم ١-٦ .

(٢) انظر تفسير القرطبى جـ ٨ صـ ٥٠٨٤ ط الشعب .

مسد ﴾ (١) إخبار بأنه سيظل على كفره وعدواته للإسلام والنبى إلى أن يموت ويدخل النار هو وزوجته أم جميل ، وهذا الإخبار كان فى أول الدعوة بمكة ... وكان أغلب الصحابة معادين للدعوة قبل إسلامهم إلا أن الله هداهم إلى الاسلام وصاروا أنصار الها ينشرونها ويذودون عنها ، وسيدنا عمر بن الخطاب قبل أن يسلم بوقت قليل جدا كان يحمل سيفه ليقتل النبى صلى الله عليه وسلم تخلصا منه ومن دعوته فيقيض الله له من يجعله يتحول إلى دار أخته ليقومها وتنتهى القصة بأن يذهب إلى الرسول الله لا ليقتله ولكن ليعلن إسلامه ويكون نصيرا للمسلمين واكتسبت الدعوة بإسلامه قوة ومنعة .... وهنا يقفز إلى الذهن سؤال : ألم يكن من الممكن أن يعلن أبو لهب وامرأته إسلامهما ولو متأخرين كما كان من أبى سفيان وزوجته هند ؟ وكان من الممكن أن يحدث ذلك ولكن الله علم بما سيكون من أمره فأخبر به نبيه صلى الله عليه وسلم ولو كان القرآن من عند غير الله مااستطاع أن يجزم بمصير أبى لهب وأمرأته ، خاصة وأن كل يوم يدخل إلى الاسلام الكثير من المناوئين له ... وهذا إخبار بغيب لا يعلمه إلا الله ، ويقول إبن كثير : " قال العلماء : وفى السورة معجزة ظاهرة ودليل واضح على النبوة فإنه منذ نزل قوله تعالى (سيصلى نارا ذات لهب وامرأته حمالة الحطب فى جيدها حبل من مسد) فأخبر عنهما بالشقاء وعدم الإيمان لم يقض لهما أن يؤمنا ، ولا واحد منهما لا باطنا ولا ظاهرا ، لامسرا ولامعلنا فكان هذا من أقوى الأدلة الباهرة الباطنة على النبوة الظاهرة"(٢) فوجه الإعجاز أنه لا يعلم الغيب جملة وتفصيلا إلا الله – وهذه الغيبات المستقبلية لا يعلمها أى بشر ، أو أى مخلوق مهما بلغ علمه ودقة توقعاته فكيف يخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا إذا تلقاها وحيا عن الله عالم الغيب والشهادة

---

(١) المسد من ٣ – ٥ .

(٢) تفسير ابن كثير جـ ٤ صـ ٥٦٥ .

الحكيم الخبير.. فهو نبي يوحى إليه يجب الايمان به ، وبما جاءه وانزل عليه من الدين .

فوجوه الاعجاز في القرآن متعددة ومتنوعة (١) يتحقق بها التحدى لجميع البشر من عرب وعجم ، فالإعجاز اللغوى وسائر وجوه الاعجاز تقوم به الحجة على العرب الفصحاء البلغاء ، وتقوم كذلك بسائر وجوه الاعجاز غير الاعجاز اللغوى على غير العرب من الاعاجم ونحوهم - وبهذا يتضح لنا أن جميع البشر مخاطبون بالقرآن ، وهو معجزة عقلية لهم جميعا تلزمهم الحجة وتصديق النبى صلى الله عليه وسلم والايمان بما جاء به واتباعه وهذا يؤكد عالمية الدعوة وشمولها لكل أفراد الجنس البشرى وتأكيدا لقول الله تعالى ﴿ وما أرسلناك الا رحمة للعالمين ﴾ إى للانس والجن . والقرآن الكريم هو المعجزة الخالدة الباقية إلى يوم القيامة تقوم به الحجة وتبلغ الدعوة - وهو دليل نبوة النبى صلى الله عليه وسلم الذى يثبت صدق رسالته وأنه مبلغ عن رب العزة .

وبأدلته جادل النبى معارضية ليقيم الحجة عليهم ، على نحو ماسبق بيانه من صور الجدل القرآنى وطرقه ....

إلا أن كون القرآن معجزة للتحدى ، هو نقطة البداية في الدعوة والتبليغ ، فالرسول مبلغ عن الله شرعه ودينه ، داع إلى العقيدة الصحيحة والتوحيد الخالص فكان التشكيك في كونه موحى إليه وأنه نبى وأن ماجاء به ليس من عند الله ، أو أساطير الأولين ... إلى آخر هذه الاعتراضات فكان التحدى لهم بأن يأتوا بمثل القرآن إثباتا لصدق النبى وأن القرآن وحى من عند الله - وعجزهم جعلهم يسلمون بذلك

(١) تتعدد وجوه الاعجاز من : الاعجاز اللغوى ، والاعجاز العلمى ، والتشريعى والغيبى .... وهناك بحوث دائمة لإبراز وجوه أخرى لإعجاز القرآن كالاعجاز التأثيرى وغيره ، ذلك تحقيقا لقول تعالى ﴿ سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾.

وإن ظلوا مشركين فعلى سبيل المكابرة والعناد ، أو التكبر والتعالى عن اتباع النبى صلى الله عليه فيحكى القرآن عنهم قولهم : ﴿ وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ﴾ (١) فظاهر قولهم هذا يشير إلى تسليمهم بأن القرآن من عند الله وأن رسول الله صلى الله صادق فى دعواه الرسالة إلا إنهم يستنكفون عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم فى دعوته لانه ليس عظيما فى نظرهم ، لأن العظيم فى اعتقادهم من كان صاحب جاه ومال ....

وإذا ثبت لذوى العقول الخالية من التعصب ، والقلوب الخالية من الحقد والنفوس البريئة من الكبر صدق النبى صلى الله عليه وسلم فإنه يلزمهم التصديق بما جاء به من العقيدة والشريعة والأخلاق ، تصديقا جازما لا ريب فيه ، ملتزما بما شرع الله من العبادات والمعاملات إعتقاداً وعملا وعندئذ يكون من جملة المؤمنين ....

إما إذا منعه التعصب والكبر من التسليم فإن القرآن يجادله ويفند مزاعمة حتى يدحض شبهه ويقيم علية الحجة ويلزمه التصديق بموضوع الجدل فأبرز موضوعات الجدل القرآنى : الجدل فى إثبات وجود الله مع الدهريين والملاحدة ، والجدل فى إثبات وحدانية الله مع المشركين والوثنيين ، والجدل فى إثبات الرسالات ، وإثبات رسالة النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، والجدل فى البعث والجزاء مع الطبيعين والماديين ورد شبهاتهم والجدل فى التشريعات كتحويل القبلة والذبائح وأكل الميتة والتحليل والتحريم .... إلى غير ذلك ... مما ذكر فى الجدل القرآنى الذى يؤكد تطبيق قول الله تعالى فى أساليب تبليغ الدعوة : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة

(١) سورة الزخرف ٢١ .

الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ﴾ (١) وقوله تعالى : ﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم .... ﴾ (٢)

هل تستخدم كل طرق الجدل القرآنى مع المدعوين ؟ : الطرق متعددة ولها صور متنوعة والداعى إلى الله مثله مثل الطبيب ، والمدعو مريض - وكل مرض له دواء خاص يصلح له يبرأ به المريض ، ولو تناول دواء غيره ربما أضر به ضرراً شديداً وربما أماته ، فاستخدام الدليل لابد أن يتفق مع نوع الشبهة أو القضية موضوع الحوار ، والالوزدت على الدليل فى الرد على دعوى أو شبهة ما ، ربما جرت الزيادة المدعو إلى شبه أخرى ... وهكذا لا ينتهى الحوار ....

واختيار الداعى الدليل لابد ان يكون ملائما للمدعو - من حيث الثقافة والاعتقاد وقضية الخلاف - ومدى تحقيق النجاح فى الدعوة مرتبط بمدى الدقة فى اختيار الدليل ، والطريقة الصحيحة والاسلوب المناسب لعرضه .

* * *

---

(١) النحل ١٢٥ .

(٢) العنكبوت من آية ٤٦ .

الفصل الرابع

نماذج لدعوة غير المسلمين

*المبحث الأول :

نماذج لبيان الاعتماد فى الدعوة على مسلمات المدعوين عموماً

* المبحث الثانى

نماذج لدعوة المشركين والوثنيين إلى التوحيد

* المبحث الثالث

أمثلة لدعوة الملاحدة

تمهيـــــد

بعد أن وقفنا على المنهج الرائع الذى سلكه القرآن فى دعوة غير المسلمين على اختلاف عقائدهم ومذاهبهم ، وطرقه المتنوعة فى جدلهم كلا بما يناسب حاله ومعتقدة راسما بذلك الأساليب الدعوية الفعالة المعتمدة على العقل والوجدان التى تلائم كل أصناف المدعوين وأنواعهم ، فإننا فى هذا الفصل سنبرز بعضا من النماذج الدعوية من خلال القرآن السنة النبوية ، ومن غيرهما من مواقف الدعاة المجيدين ، وذلك من خلال عدة مباحث :

أولها : لإبراز أن دعوة غير المسلمين لابد ان تعتمد على أمر مسلم لديهم عقديا أو تاريخيا ، أو عقلياً وقد أخترنا لذلك موضوعات كافة الكفار يجادلون فيها كإثبات نبوة محمد صلى الله علية وسلم ، وتحريم اليهود لحوم الابل على أنفسهم مدعين أن ذلك فى التواراة ، وأمر تأليه عيسى من خلال المباهلة .

ثانيهما : لبيان دعوة المشركين والوثنين على وجه التحديد ومدى اعتماد الدعوة على مسلمات العقل المؤدى لراحة الوجدان ، وذلك من خلال القرآن الكريم فى جدله مع المشركين والسنة النبوية واخترنا نموذجا لجدل عالم مسلم لقسيس نصرانى بمسلماته من الإنجيل مسترشدا بجدل القرآن .

ثالثهما : لابراز طرق دعوة الملاحدة والدهريين الذين تقوم ادعاءاتهم على إنكار وجود الله ، والدين ونسبة الأشياء إلى الطبيعة – وذلك من خلال دعوة القرآن لهم عن طريق والعقل ، كما اخترنا نماذج لدعوة الملاحدة من غير القرآن ومحاورات اجراها علماء اسفرت عن اقرار وجود الله وقدرته عن طريق العقل والحس ....

والغاية من كل ذلك أن يترسم الدعاة إلى الله في العصر الحديث خطى سلفهم ويستفيدوا بمناهجهم وأساليبهم في الحوار والدعوة مرتكزين على منهج القرآن وهدى النبى صلى الله عليه وسلم وهذا ماسيتضح إن شاء الله في المباحث التالية.

* * *

المبحث الأول

(نماذج لبيان الاعتماد فى الدعوة على مسلمات المدعوين عموماً)

[اثبات النبوة - الاختلاف فى حكم شرعى - تألية عيسى وعبادته]

أولاً :- إثبات نبوة محمد صلة الله عليه وسلم اعتمادا على مسلماتهم :

سلك القرآن الكريم فى إثبات نبوة المصطفى صلى الله عليه وسلم وإقامة البرهان على صدقة فيما يبلغ عن رب العزة إرجاع المدعوين إلى ما يسلمون به من الإيمان بكتبهم التى بشرت به صلى الله عليه وسلم ونعتته بدقة ووضوح مما لايدع مجالا للشك ، فقال تعالى :﴿ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ﴾ (١) حيث يخبر تعالى أن علماء أهل الكتاب يعرفون صحة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم كما يعرف أحدهم ولده ... ويروى عن عمر رضى الله عنه أنه قال لعبد الله بن سلام : أتعرف محمداً كما تعرف ولدك ؟ قال : نعم وأكثر ، نزل الأمين من السماء على الأمين من الأرض بنعته فعرفته .

وقد يكون المراد يعرفونه كما يعرفون أبناءهم من بين أبناء الناس كلهم لايشك أحد ولايمترى فى معرفة ابنه إذا رآه من بين أبناء الناس كلهم (٢) والضمير فى يعرفونه يعود للرسول صلى الله عليه وسلم وإن لم يسبق ذكره لدلالة الكلام عليه .. ويشهد له

---

(١) سورة البقرة : ١٤٦ .

(٢) انظر تفسير ابن كثير جـ١ صـ ١٩٤ .

قوله : كما يعرفون أبناءهم "أى يعرفونه بأوصافة كمعرفتهم أبناءهم لايلتبسون علهم بغيرهم" (١) .

وقيل : يعرفون نبوته وصدق رسالته كما ذكره القرطبى .

ولاعجب فى كل هذا فهو عليه الصلاة والسلام مكتوب فى التوراه والانجيل بوصفه ونعته مما يجعلهم لا يشكون فى نبوته وصدق ما جاء به ، ويقول تعالى: ﴿ الذين يتبعون الرسول النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه اولئك هم المفلحون ﴾ (٢) فهذه صفة النبى لى الله عليه فى كتب الأنبياء بشروا به أممهم وأمروهم بمتابعته ولم تزل صفاته موجوده فى كتبهم يعرفها علماؤهم .وقد روى عن الإمام أحمد عن رجل من الأعراب قال: جلبت حلوبه إلى المدينه فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم فلما فرغت من بيعى قلت : لالقين هذا الرجل فلاسمعن منه ، قال: فتلقانى بين ابى بكر وعمر يمشون فتتبعتهم حتى أتوا على رجل من اليهود ناشر التوراة يقرؤها يعزى بها نفسه عن ابن له فى الموت كأجمل الفتيان وأحسنها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنشدك بالذى أنزل التوراة هل تجد فى كتابك هذا صفتى ومخرجى فقال برأسه هكذا أى : لا ، فقال ابنه أى والذى أنزل التوراه إنا لنجد فى كتابنا صفتك ومخرجك وأنى أشهد إلا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله ، فقال :" اقيموا اليهودى عن أخيكم " ثم تولى كفنه والصلاة عليه " ويعلق ابن كثير على الحديث بأنه حديث جيد قوى له شاهد من الصحيح ، ويسوق رواية للبخارى عن عطاء بن

(١) تفسير البيضاوى جـ١ صـ٩٤ .

(٢) الاعراف : ١٥٧

يسار قال : لقيت عبد الله بن عمرو فقلت أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله علي وسلم في التوراة ، قال : أجل والله انه لموصوف في التوراة كصفته في القرآن " يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً" وحرزاً للأميين انت عبدي ورسولي اسمك المتوكل ليس بفظ ولاغليظ ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا اله الا الله ويفتح به قلوباً غلفا وآذانا صما وأعينا عمياً.(١)

وزاد كعب في صفة النبي صلى الله عليه وسلم : مولده بمكه وهجرته بطابة وملكة بالشام وأمته الحامدون يحمدون الله على كل حال في كل منزل ، يؤمنون أطرافهم ويأتزرون إلى أنصاف ساقهم رعاة الشمس يصلون الصلوات الخمس حينما أدركتهم ولو على ظهر الكناسة .(٢) وهذا كله يؤيد أن ذكر النبي صلى الله عليه وسلم كان في التوراة والإنجيل بنعته الكامل ، وقد عرفه اهل الكتاب معرفة تامة لايشكون فيه حيث يسلمون بكل ما في كتابهم ، وهم بهذا أمام أمرين : إما أن يكون ما في كتابهم كذبا وغير صحيح ، وفي هذه الحالة لا يعتد بالكتاب كله ، لأنه إذا جاز الكذب في بعض الأخبار فلا مانع من وقوعه في كل الأخبار.

وإما أن يكون صدقا - وهذا الواقع - فليزمهم الإيمان بما فيه واتباع النبي صلى الله عليه وسلم . وهذا احتكام إلى مايسلمون به ويقرون بصدقه ، ويشهد لهذا قصة بحيرى الراهب الذي لقي النبي في صغره في رحلته إلى الشام مع عمه فعرفه بأمارات وعلامات يعلمها تماما حتى أنه لما سأل أبا طالب : من هذا الصبي ؟ وأجاب أبو طالب : إنه ابني رد عليه : ما ينبغي لهذا أن يكون أبوه حيا ، فقال :

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ٢ صـ ٢٥٣ ، والحديث رواه البخاري .

(٢) تفسير القرطبي جـ ٤ صـ ٢٧٣٥ .

إنه ابن أخي فعرف بحيرى على سبيل الجزم بأنه النبي فحذر أبا طالب من تعرف اليهود عليه وأوصاه برعايته والمحافظة عليه (١)

ومع كل هذه الحقائق الواضحة والأوصاف الثابتة المعلومة لدى أهل الكتاب من خلال كتبهم منعهم حسدهم له وحقدهم عليه صلى الله عليه وسلم ، وخوفهم على مكانتهم في مجتمعاتهم ، وقد بين ذلك القرآن حيث قال : ﴿ وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ﴾ أي انهم مع هذا التحقق والإيقان العلمي يكتمون الناس ما في كتبهم من صفة النبي صلى الله عليه وسلم وهم يعلمون صدق نبوته وصحة رسالته ويقول القرطبي : هذا ظاهر في صحة الكفر عناداً ، ومثله " وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم " وقوله " فريقا منهم " فيه تخصيص لمن عاند وأصر على كتمان الحق والتمادي في العناد ، وأستثناء لمن آمن وصدق رسالته صلى الله عليه وسلم .

ثانيا : عند اختلاف اليهود في تحريم لحوم الابل ردهم إلى التوراه :

وفي ذلك يقول الله تعالى :﴿ كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين ﴾(٢) ..فقد حرم بنو إسرائيل على أنفسهم لحوم الإبل مدعين أن الله قد حرمها في التوراة وأنزل تحريمها فأرشد الله رسوله صلى الله عليه وسلم إلى أن يحتكم وإياهم إلى نفس التوراة ردا على ادعائهم .... وقد ذكر المفسرون في هذه الآية أن إسرائيل كان به عرق النسا فنذر إن شفي لم يأكل أحب الطعام إليه ، وكان ذلك كلحوم الإبل وألبانها ، وقيل فعل ذلك - أي تحريمها على نفسه - للتداوي

(١) انظر تفصيل القصة في سيرة ابن هشام جـ١ صـ١٦٦ ط مكتبة الكليات الازهرية .

(٢) سورة آل عمران : ٩٣

بإشارة من الأطباء ويقول القرطبى : واختلف هل كان التحريم من يعقوب باجتهاد منه ، أو بإذن من الله تعالى ؟ والصحيح الاول - أى كان باجتهاد منه - لأن الله أضاف التحريم غليه بقوله :" إلا ما حرم إسرائيل ...." وأن النبى أذا أداه اجتهاده إلى شئ كان دينا يلزمنا اتباعه لتقرير الله إياه على ذلك ، وقوله ﴿ قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين ﴾ أى فى دعواكم أن الله أنزل تحريمها فى التوراة - يقول أبن عباس : لما أصاب يعقوب عليه السلام عرق النسا وصف له الأطباء أن يجتنب لحوم الإبل فحرمها على نفسه فقالت اليهود : إنما نحرم على أنفسنا لحوم الإبل لأن يعقوب حرمها وأنزل الله تحريمها فى التوراة فأنزل الله هذه الآية ، قال الضحاك : فكذبهم الله ورد عليهم ، فقال : يامحمد قل : فاتوا بالتوراة فاتلوها ... فلم يأتوا بها - لعلمهم أن التحريم لم ينزل فيها - وفى هذه الآية أعظم دلالة لنبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، أخبرهم أنه ليس فى كتابهم وأمرهم أن يأتوا بالتوراة فأبوا ، يعنى عرفوا أنه قال ذلك بالوحى ....." (١) فهذا احتكام إلى ما يؤمنون به من كتابهم وفيه أعظم دليل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم انطلاقاً من مسلماتهم .

ثالثا : حديث القرآن عن نصارى نجران مع النبى صلى الله عليه وسلم :

وفى ذلك يقول الله تعالى : ﴿ ذلك نتلوه عليك من الايات والذكر الحكيم . إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم حلقه من تراب ثم قال له كن فيكون . الحق من ربك فلا تكن من الممترين . فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين . إن هذا لهو القصص الحق وما من إله إلا الله وإن الله لهو العزيز

---

(١) انظر تفسير القرطبى جـ ٢ صـ ١٣٧٨ .

الحكيم ﴾ (١) هذه الآيات فيها إشارة إلى ما سبق تقريره من قصة خلق عيسى والإعجاز فيها وذلك فيما سبق من آيات من أول قول الله تعالى :﴿ إذ قالت امرأة عمران رب إنى نذرت لك ما فى بطنى محررا فتقبل منى إنك انت السميع العليم ﴾ إلى قوله :﴿ إن هذا لهو القصص الحق وما من إله إلا الله وإن الله لهو العزيز الحكيم﴾ (٢) حيث قص الله فيها على نبيه صلى الله عليه وسلم ما كان من أمر مريم رضى الله عنها وزكريا عليه السلام ومعجزه خلق عيسى عليه السلام ، وأن امرآه عمران - أم مريم - نذرت ما فى بطنها لله فولدت أنثى ، والفرض أن يكون المنذور ذكرا ، إلا أن الله قبل منها نذرها ، وما كان من استهام القوم على كفالة مريم ابنة عمران التى قبلها الله ، ورعايتها وخروج السهم على زكريا ثم على جريج وقد كانوا يختصمون أيهم يكفلها ، وكذلك ما كان من بشارتها بعيسى عليه السلام ويكونه من المقربين والصالحين ويكلم الناس فى مهده إرهاصا بنبوته ، وكان خلقه عليه السلام من المعجزات والأمور التى لا تخضع لنواميس الكون - دلت على قدرة الله تعالى فعندما تعجبت مريم قائله : أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر ؟ كان الجواب :كذلك الله يخلق ما يشاء ، وما يريد سواء وجد زوج أو لم يوجد ، وأخبرها أنه سيعلمه الكتاب والحكمة و التوراة والإنجيل ، وسيرسله إلى بنى إسرائيل مؤيدا بالمعجزات الدالة على نبوته من الإخبار بالغيب الذى يطلعه الله عليه . ﴿ وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم ﴾ ومصدقا لما قبله من التوراة التى أنزلها الله على موسى عليه السلام ﴿ ولأجل بعض الذى حرم علكم ﴾ وما كان من نصرة الحواريين إياه وشهادتهم له وإيمانهم بما أنزل الله عليه ، وأخبرهم برفع عيسى عندما اجتمعوا على قتله ، حيث قال الله تعالى :﴿ إذ قال الله ياعيسى إنى

---

(١) آل عمران الآيات : ٥٨ - ٦٢

(٢) آل عمران الآيات ٣٥ - ٦٢

متوفيك ورافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا ﴾ لهمهم بك (وجاعل الذين اتبعوك فوق الذى كفروا إلى يوم القيامة) وأن خلق عيسى عليه السلام مثله كمثل خلق آدم من تراب بتلك القدرة من غير ذكر ولا أنثى فكان كما كان عيسى لحما ودما وشعرا وبشراً " فليس خلق عيسى باعجب من هذا ..... بعد أن عرضت الآيات هذه الحقائق التى لا ينكرها أحد من نصارى نجران ولا غيرهم لعلمهم بها ، يؤكد الله أن هذا " لهو القصص الحق " لأنه فيه الدقة والوضوح والبيان الشافى بما لا يترك مجالا للشك أو المراء والجدل حيث بين الإعجاز الإلهى فى خلقه وأنه خلق بقدرة الله ويؤكد الله لرسوله صلى الله عليه وسلم انه الحق بقوله :﴿ الحق من ربك فلا تكن من الممترين ﴾ على طريقة التهيج لزيادة الثبات ويتبع ذلك بقوله :﴿ فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم ﴾ ..... الخ أى من حاجك من النصارى فى شأن عيسى من بعد ما جاءك من البينات الواضحة الموجبة للعلم " فقل تعالوا " هلموا بالرأى والعزم ﴿ ندع ابناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ..... ﴾ أى يدع كل منا ومنكم نفسه ، وأعزة أهله وألصقهم بقلبه إلى المباهلة ويحمل عليها ، وقد قدم الأهل والأحبة على الأنفس لأن الرجل يخاطر بنفسة ويحارب دونهم " ثم نبتهل " اى نتباهل بأن نلعن الكاذب منا - والبهلة بالضم والفتح اى اللعنة - (فنجعل لعنة الله على الكاذبين) وروى أنهم لما دعوا إلى المباهلة قالوا : حتى ننظر اى أمهلنا حتى نرى رأينا - فلما تخالوا قالوا للعاقب (١) وكان ذا رأيهم : ما ترى؟ فقال والله لقد عرفتم نبوته ، ولقد جاءكم بالفصل فى أمر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا إلا هلكوا ، فإن أبيتم إلا إلف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا ، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا محتضنا لحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة

(١) العاقب : هو أمير القوم وصاحب رأيهم ومشورتهم .

تمشى خلفه وعلى رضى عنه خلفهما وهو يقول : اذا دعوت فأمنوا ، فقال اسقفهم(١) يا معشر النصارى إنى لأرى وجوها لو سألوا الله تعالى أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله ، فلا تباهلوا فتهلكوا ، فأذعنوا لرسول الله وبذلوا الجزية ...... وقال عليه الصلاة والسلام : والذى نفسى بيده لو تباهلوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم الوادى عليهم نارا " (٢) ويقول القرطبى : هذه الآية من أعلام نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لأنه دعاهم إلى المباهلة فأبوا منها ورضوا بالجزية بعد أن أعلمهم كبيرهم العاقب أنهم إن باهلوه اضطرم عليهم الوادى نارا فإن محمداً نبى مرسل ولقد تعلمون أنه جاءكم بالفصل فى أمر عيسى فتركوا المباهلة وانصرفوا إلى بلادهم.... (٣) فهذه الدعوة عموما بنيت على أساس الرد على مغالطاتهم فى أمر عيسى عليه السلام وذكر قصته ورسالته بدقه ووضوح وهم يعرفون أن هذا حق ، ويسلمون به ويقرون بانه حق ، وهذا ما بينه العاقب عندما رد عليهم قائلا : والله لقد عرفتم نبوته ، أى أنه نبى مرسل بدليل ذكره قصة عيسى ومريم تفصيلا وهم يكتمونها - فمن اين عرفها ؟ فليس له طريق إلا الوحى فهذا دليل نبوته ، وبما أنه نبى فهو صادق فيما يبلغ عن ربه مستجاب الدعوة فإذا حدثت المباهلة فان نتيجتها ليست لصالحكم ..... فاستجابوا له وأذعنوا لرسول الله صلى الله عليه ورضوا بالجزية وهذا يؤكد أمرين : أنه صادق فى نبوته وأن ما جاء به الحق ، ويؤكد كذلك كفرهم بعدم الإيمان بما جاء به لذلك قبلوا دفع الجزية .

(١) الاسقف : لقب دينى من الألقاب الكهنوتية بالكنيسة بين القسيس والمطران وتتدرج هذه الالقاب كما يلى : شماس . قسيس - أسقف - مطران - بطريك - بابا . .
(٢) انظر تفسير البيضاوى جـ١ صـ ١٦٢ .
(٣) تفسير القرطبى جـ٣ صـ ١٣٤٦ .

والدعوة فى كل ما سقناه من نماذج قرآنية تبدأ من مسلمات المدعو وما يقربه وهذه بداية صحيحة لبدء عملية الدعوة والتبليغ .

* * *

المبحث الثانى

(نماذج لدعوة المشركين والوثنيين إلى التوحيد اعتماداً على العقل والوجدان)

أولاً : نماذج من القرآن الكريم :

سلك القرآن الكريم فى الاستدلال على وحدانية الله ، طريقين :

أولهما : الاستدلال بنظام الكون ودقته وسلامته من الاختلال والتصادم .

ثانيهما : التركيز على إبطال معبودات المشركين وبيان عدم قدرتها وتفاهتها ، وعجزها التام عن الخلق أو النفع والضرر ، أو حتى الدفاع عن نفسها .

أولاً : الاستدلال بانتظام الكون ودقته على وحدانية الله :

أ- ومن الآيات التى سلكت هذا المسلك ، قول الله تعالى : ﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون ﴾ (١) ومنها قوله : ﴿ قل لو كان معه آلهة كما يقولون اذا لابتغوا إلى ذى العرش سبيلاً ﴾ (٢) .

ومنها قوله : ﴿ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله اذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون ﴾ (٣) .

فهذه الآيات تبين لنا مظاهر الدقة والنظام فى الكون وذلك لايكون إلا من إله واحد عالم بما يصلح خلقه ، قادر قدره تامة على إمضاء ما أراده وعلمه ، لايعارضه فى ذلك أحد من خلقه ، وقول الله تعالى : ﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا .. ﴾ دلالة على ملازمة الفساد لكون الآلهة فيهما دونه ، وقوله (لفسدتا) أى لبطلتا لما يكون بينهما من الاختلاف والتمانع ، فإنها - أى الآلهة - إن توافقت فى المراد تطاردت

---

(١) سورة الانبياء آية : ٢٢ .

(٢) سورة الاسراء آية : ٤٢ .

(٣) سورة المؤمنون آية : ٩١ .

عليه القدروان تخالفت فيه تعاوقت عنه .." (١) ويقول ابن كثير :" لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا " كقوله تعالى : ﴿ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصيفون ﴾ وقال ها هنا - اى فى الانبياء - " فسبحان الله رب العرش عما يصفون : أى عما يقولون : إن له ولداً أو شريكاً سبحانه وتعالى وتقدس وتنزه عن الذى يفترون ويأفكون علواً كبيراً (٢) ويقول عن قول الله تعالى : " ما اتخذ الله من ولد .. الخ" أى لو قدر تعدد الآلهة لا نفرد كل منهم بما خلق فما كان ينتظم الوجود ، والمشاهد أن الوجود منتظم متسق ، كل من العالم العلوى والسفلى مرتبط بعضه ببعض فى غاية الكمال .

فما يدعون من تعدد الآلهة باطل بالمشاهدة ، وذكر المتكلمون فى هذا المعنى دليل التمانع (٣) .

وقوله : " اذا لذهب كل له بما خلق .." أى لو كان معه آلهة كما تقولون وتدعون لذهب كل منهم بما خلقه واستبد به وملكه عن ملك الآخرين - من الآلهة - وظهر بينهم التحارب والتغالب كما هو حال ملوك الدنيا ، فلم يكن بيده وحده ملكوت كل شئ ، واللازم باطل بالاجماع والاستقراء وقيام البرهان على استناد جميع الممكنات إلى واجب واحد .." (٤) .

---

(١) انظر تفسير البيضاوى جـ ٢ صـ ٦٧ .

(٢) ابن كثير جـ ٣ صـ ١٧٥ .

(٣) السابق صـ ٢٥٤ .

(٤) البيضاوى جـ ٢ صـ ١١٠ .

إذ أن وحدة الخلق تدل على وحدة الخالق . فالدليل المستخدم هنا دليل التمانع المبنى على المشاهدة والتأمل فى نظام الكون ودقته وعدم وقوع التعارض أو التصادم فيه .

وتقرير دليل التمانع : لو كان للعالم صانعان لأمكن وقوع الخلاف بينهما بأن يريد أحدهما إيجاد العالم ويريد الآخر إعدامه فلا جائز ان ينفذ مرادها معا لئلا يلزم عليه اجتماع ضدين (وجود العالم وعدمه) ، وغير جائز أن ينفذ مراد احدهما دون الآخر ، للزوم عجز من لم ينفذ مراده ، وبما أنهما متماثلان فما يثبت لأحدهما يثبت للآخر ، فيثبت العجز لكل منهما فلا يوجد شىء أصلا ، ويحكى عن ابن رشد أنه اذا نفذ مراد أحدهما دون الآخر كان الذى نفذ مراده هو إلا له دون الآخر وتم دليل الوحدانية .... وهذا يسمى برهان التمانع لتمانعهما وتخالفهما وقد ذكر المولى سبحانه هذا الدليل فى قوله :" لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا " أى لو كان فيهما جنس الآلهة غير الله لم توجد لكن عدم وجودها باطل لمشاهدة وجودها فبطل ما ادى اليه وهو وجود جنس الآلهة غير الله ..." (١) ويعلق الحنفى على كون دليل التمانع فى آية الانبياء بقوله :" ظن قوم أن هذا دليل التمانع الذى تقدم ذكره : وهو أنه لو كان العالم صانعان .... الخ

وغفلوا عن مضمون الآية فإنه سبحانه أخبر أنه لو كان فيهما آلهة غيرة ولم يقل أرباب ، وأيضا فإن هذا كان بعد وجودهما ، وأنه لو كان فيهما وهما موجودتان آلهة سواه لفسدتا ، وأيضا فانه قال :" لفسدتا " وهذا فساد بعد الوجود ، ولم يقل : لم يوجدا ودلت الآية على أنه لا يجوز أن يكون فيهما آلهة متعددة ، بل لا يكون إلالة إلا واحدا وعلى أنه لا يجوز أن يكون هذا الالة إلا الله سبحانة وتعالى"(٢) ومبنى

---

(١) انظر تحفة المريد على جوهرة التوحيد - ابراهيم البيجورى - المطبعة الاميرية - الازهر

(٢) انظر شرح الطحاوية للحنفى جـ ١ مكتبة المعارف بالرياض صـ ٢٢ .

كلام الحنفى أن معنى التمانع هو منع كل من الإلهين الآخر فلا توجد السموات والأرض أصلا ، وأما الفساد فلا يكون إلا بعد الوجود والآية استدلال بدقة نظام الكون وسلامته على وحدانية الخالق المدبر لأمره .

ب - ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وهو الله لا إله إلا هو له الحمد فى الأولى والآخرة وله الحكم واليه ترجعون . قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون . قل أرأيتم أن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون . ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون . ويوم يناديهم فيقول أين شركائى الذين كنتم تزعمون . ونزعنا من كل أمه شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم فعلموا أن الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون ﴾ (١) وهذه الآيات فى مجملها تعتبر دليلا على الوحدانية مبنيا على المشاهدة حيث دقة النظام وإحكام الصنع ، ووضوح الحكمة الآلهية فى إنعام الله على عباده بما يصلح أمرهم ، حيث يخبر الله سبحانة وتعالى بأنه المتفرد بالإلهية فلا معبود سواه كما لا رب يخلق ما يشاء ويختار سواه (وله الحمد فى الأولى والآخرة) أى فى جميع ما يفعله، وهو المحمود عليه بعدله وحكمته وله الحكم الذى لا معقب له لقهره وغلبته ورحمته وإليه ترجعون جميعا فيجزى كل عامل من خير أو شر . ويذكر الله من نعمة ما يمن على عباده بما سخر لهم من الليل والنهار ويبين أنه لو جعل الليل دائما إلى يوم القيامة لأضر بهم ولسئمته النفوس . ولهذا قال: (من إله غير الله يأتيكم بضياء) لتبصروا فيه وتستأنسوا بسببه . ثم أخبر تعالى أنه لو جعل النهار دائما إلى يوم القيامة لأضر ذلك بالأبد ان ولكلت من كثرة الحركات ولهذا قال : من إله

---

(١) القصص ايات من : ٧٠ - ٧٥ .

غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه وتستريحون من حركاتكم وأشغالكم أفلا تبصرون ، ومن رحمة الله بخلقه أنه خلق لهم الليل والنهار ليسكنوا فى الليل وليبتغوا من فضل الله والسعى على معاشهم ومعادهم فى النهار، وهذا يتطلب شكرا الله على هذه النعم بعبادته والايمان به وتوحيده .

وبعد أن يسوق الله لهم الأدلة على قدرته ووحدانيته مما يرون من فضله وكرمة يناديهم على سبيل التوبيخ : أين شركائى الذين كنتم تزعمون أى فى الدنيا ، ونزعنا من كل أمة شهيداً فقلنا هاتوا برهانكم أى على صحة مادعيتموه من أن لله شركاء ، فعلموا أن الحق لله ، أى لا إله غيره فلم ينطقوا وضل عنهم ماكانوا يفترون(١) ويبين الله لهم : إنكم إذا كنتم تعلمون أنه لا خالق إلا الله وحده وأنه هو الذى يأتى العباد بما ينفعهم ويدفع عنهم مايضرهم لا شريك له فى ذلك فلم تعبدون غيره وتجعلون معه آلهة أخرى ؟ والاستفهام " من إله غير الله ؟ " يتضمن نفى ذلك فهم كانوا مقرين بأنه لم يفعل ذلك غير الله فاحتج عليهم بذلك .

وقوله : ﴿ فعلموا أن الحق لله وضل عنهم ماكانوا يفترون . يبرز حقيقة إيراد الدليل الكونى على وحدانية الله ، وهو علمهم بأن الحق هو توحيد الله والايمان بما دعاهم إليه النبى صلى الله عليه وسلم من التوحيد والعبادة لله وحده وبدلا من أن يدركوا هذه الحقيقة متأخرين فعليهم المسارعة إلى الاستجابة والتصديق بما دعوا إليه فى الدنيا وإلا فما برهانهم ودليلهم على صحة مايدينون به(٢) ؟

لأن الآلهة لو تعددت لفسد هذا النظام الدقيق ولا ختل فى الكون كله هذا التدبير البديع الذى لا يصدر إلا عن إله واحد قادر عليم بحاجات خلقه ومايقيم شأنهم .

(١) انظر تفسير ابن كثير جـ ٣ صـ ٣٩٨ .

(٢) انظر السابق ، وتفسير الكشاف ، وتفسير النسفى .

ثانياً : التركيز على إبطال معبودات المشركين وإثبات عجزهم :

فمن الأيات التى سلكت هذا المسلك فى إثبات التوحيد ببيان عجز المعبودات وبالتالى بطلان عبادتها :

أ) قول الله تعالى : ﴿ ياأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباب ولواجتمعوا له ، وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ماقدروا الله حق قدره إن الله لقوى عزيز﴾ (١) .

يخبر الله عن حقارة الأصنام بقوله : ﴿ يا أيها الناس ضرب مثل " لما يعبده الجاهلون بالله المشركون به ﴿ فاستمعوا له ﴾ اى انصتوا له وتفهموه ، ﴿ إن الذين تدعون من دون الله ﴾ أى لو اجتمع جميع ما تعبدون من الاصنام والانداد على أن يقدروا على خلق ذباب واحد ما قدروا ﴿ وإن يسلبهم الذباب شيئاً لايستقذوه منه﴾ أى هم عاجزون عن خلق ذباب واحد ، بل أبلغ من ذلك عاجزون عن مقاومته والانتصار منه لو سلبها شيئاً من الذى عليها من الطيب ثم أرادت أن تستقذه منه لما قدرت على ذلك ، هذا والذباب من اضعف مخلوقات الله واحقرها ولهذا قال : ﴿ضعف الطالب والمطلوب ﴾ (٢)

ويقول الزمخشرى : وهذا من أبلغ ماانزله الله فى تجهيل قريش واستركاك عقولهم والشهادة على أن الشيطان قد حزمهم بحزائمه حيث وصفوا بالإلهية التى تقتضى الاقتدار على المقدروات كلها والإحاطة بالمعلومات عن أخرها صورا وتماثيل يستحيل منها أن تقدر على أقل ماخلقه الله وأذله وأصغره وأحقره ولو اجتمعوا على ذلك وتساندوا وأدل من ذلك على عجزهم وانتفاء قدرتهم أن هذا الخلق الاقل

---

(١) سورة الحج آيتا : ٧٣ - ٧٤

(٢) انظر تفسير ابن كثير جـ ٣ صـ ٢٣٥ .

والأذل لو اختطف منهم شيئاً فاجتمعوا على ان يستخلصوه منه لم يقدروا ، وقوله : ﴿ ضعف الطالب والمطلوب ﴾ تسوية بينهم وبين الذباب فى الضعف .. [١] فالدليل هنا مبنى على أن هذه المعبودات العاجزة عن الخلق أو الدفاع عن نفسها أو شئ مسلوب منها كيف تعبدونها راجين منها دفع ضر أو جلب نفع ، إن هذا خرق فى العقول وتنكيس لها وقلب للحقائق ، فالله قد منح الإنسان القدرة على الدفاع عنه ومحاولة استرداد ماسلب منه أوضاع عنه ، فكيف يعبد إنسان منحه الله القدرة ليحيا ويتحرك إلها عاجزاً عن كل شئ ، إن الاجدر والأولى أن يعبد الإنسان ربه الذى خلقه ومنحه القدرة على الحياة والسعى ويسمع دعاءه إذا دعاه ، ويعطيه سؤله متى قال : يارباه أن عبادة القادر للعاجز والصانع للمصنوع تنكيس للعقول والغاء للافهام .

ب- ومن ذلك الآيات التى تروى لنا جدل إبراهيم عليه السلام مع قومه والتى تبين عجز معبوداتهم عن الحركة والادراك لانها جمادات ففى سورة مريم قال لأبيه : ﴿ياأبت لم تعبد مالايسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئاً ﴾ وهذا بيان لعجزها عن السمع والإبصار والنفع والضر ففى سورة الشعراء يقول : ﴿ واتل عليهم نبأ إبراهيم . إن قال لابيه وقومه ماتعبدون . قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين . قال هل يسمعونكم إذ تدعون . أو ينفعونكم أو يضرون . قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون . قال أفرأيتم ماكنتم تعبدون انتم وآباؤكم الأقدمون . فإنهم عدو لى إلا رب العالمين﴾[٢] وفى سورة الصافات يقول : ﴿ إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون أئفكا آلهة دون الله تريدون . فما ظنكم برب العالمين . فنظر نظرة فى النجوم . فقال إنى سقيم . فتولوا عنه مدبرين . فراغ إلى آلهتهم فقال إلا تأكلون . ما لكم لاتنطقون. فراغ عليهم ضربا باليمين فأقبلوا إليه يزفون . قال اتعبدون ما تنحتون . والله خلقكم وما تعلمون . قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه فى الجحيم . فأرادوا كيدا

---

(١) انظر تفسير الكشاف جـ٣ صـ ٢٣٥

(٢) الشعراء آيات : ٦٩ - ٧٧

فجعلناهم الأسفلين ﴾ (١) ففى سورة البقرة يقص الله سبحانه وتعالى على رسوله حوار خليله إبراهيم عليه السلام مع قومه، يسألهم إبراهيم: ماذا تعبدون. أى ماهذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون فيجيبون : نعبد أصناما ونقيم على عبادتها ودعائها فيسأل : هل يسمعونكم إذ تدعون . أو ينفعونكم أو يضرون ؟ وهذا بيان لعجز معبوداتكم وعدم سمعهم وعدم قدرتهم على النفع أو الضر فلم يجدوا ما يجيبون به إلا متابعتهم لآبائهم فى الضلال ، فيتحداهم قائلا : ﴿ أفرأيتم ما كنتم تعبدون . أنتم وآباؤكم الأقدمون . فإنهم عدو لى إلا رب العالمين ﴾ أى إن كانت هذه الأصنام أشياء ولها تأثير فلتخلص إلى بالاساءة ، فإنى عدولها لا أبإلى بها ولا أفكر فيها (٢) وإذا كانت عبادة الأولين لها وقدمها سوغت عبادتها ومتابعتهم فى ضلالهم فإن هذا غير الحق والصواب لأن التقدم والأولية لا تكون برهانا على الصحة ، والباطل لاينقلب حقا بالقدم وما عبادة من عبد الاصنام إلا عبادة أعداء له " (٣) ثم يخلص إبراهيم عليه السلام إلى بيان قدره إلاله المعبود بحق وهو الله رب العالمين فيقول : ﴿الذى خلقنى يهدين . والذى هو يطعمنى ويسقين . وإذا مرضت فهو يشفين . والذى يميتنى ثم يحيين . والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين ﴾ (٤) وفى سورة الصافات حوار إبراهيم عليه السلام مع قومه فى أمر عبادة الأصنام آلهة من دون الله فيقول :﴿ ائفكا آلهة دون الله تريدون . فما ظنكم برب العالمين ﴾ أى من هو حقيق بالعبادة لكونه ربا للعالمين حتى تركتم عبادته أو أشركتم به أو أمنتم عذابه ، ولأن من كان ربا للعالمين استحق عليهم أن يعبدوه حتى تركتم عبادته إلى عبادة الأصنام ، أو فى ظنكم به أى شىء هو من الأشياء حتى جعلتم الأصنام له إندادا

---

(١) الصافات آيات : ٨٥ - ٩٨ .

(٢) تفسير الكشاف جـ ٢ صـ ٧٦ .

(٣) انظر تفسير الكشاف جـ ٣ صـ ٧٦ .

(٤) الشعراء الايات من ٧٨ - ٨٢ .

وعندما ذهب للآلهة وقال لهم على سبيل الاستهزاء ﴿ ألا تأكلون﴾ يعني الطعام الذي عندهم ﴿ ما لكم لا تنطقون ﴾ في بيان العجز التام لتلك الآلهة وبطلان عبادتهم لها ، وقصة تحطيم الأصنام تقدمت مستوفاه في سورة الأنبياء ومن هذا يخلص إلى بطلان عبادة غير الله تعالى ، وثبتت له الوحدانية بالأدلة الكونية وفيها طريق التأمل والحوار العقلي في دقة الخلق وانتظام الكون وقد أقر العقل بقدرة الخالق وحكمته وثبت عجز الأصنام الجامدة التي لاتضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع – وكل ما في الكون يشهد بالقدرة والوحدانية والوجود وينطق بذلك مبطلا مزاعم المشركين وتعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

ب : نماذج من السنة النبوية :

اولا : دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم مشركي مكة إلى التوحيد :

هذا النموذج لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم مشركي مكة إلى التوحيد والإيمان بالله معتمدا فيه على أمر وقر في قلوبهم وهو صدقة صلوات وسلامه عليه ، يذكر المؤرخون أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أمر بالجهر بالدعوة اتجه نحو جبل الصفا وصعد إلى أعلاه فنادى : يا معشر قريش ، فقالت قريش إن محمدا ينادى وأقبلوا اليه يسألونه عن حاجته ، فقال (أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بسطح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي ؟ قالوا : نعم ما جربنا عليك كذبا قط ، قال : إني نذير لكم بين يدى عذاب شديد يابني عبد المطلب ، يابني عبد مناف يابني زهرة – وأخذ ينادى على باقي القبائل – إني لا أملك من الدنيا منفعة ولا من الآخرة نصيبا إلا أن تقولوا : لا إله إلا الله .....)(١) وقد روى عن ابن عباس رضى

---

(١) انظر دراسات في السيرة النبوية – د/ محمد الطيب النجار صـ ٥٦ .

الله عنهما : لما نزلت هذه الآية ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ (١) ورهطك المخلصين خرج رسول الله عليه وسلم حتى صعد الصفا فهتف ياصبحاه ، فقالوا من هذا الذى يهتف ؟ قالوا : محمد ، فاجتمعوا إليه فقال يابنى فلان يا بنى فلان يابنى عبد مناف يابنى عبد المطلب فاجتمعوا اليه : أرأيتكم لو أخبرتكم خيلا تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقى ؟ قالوا ما جربنا عليك كذبا قال وأنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد ، قال : فقال أبو لهب تبالك أما جمعتنا إلا لهذا ؟ ثم قام ونزلت هذه السورة : ﴿ تبت يدا أبى لهب .... ﴾ . وبالتأمل فى هذه الروايات نجد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما وجه الدعوة إلى مشركى مكة بعد أن ناداهم ارتكز على أمر يسلمون به جميعا ولا يشكون فيه وجعلهم يعترفون به كمقدمة لدعوته وهو وصدقه صلى الله عليه وسلم ، حيث اشتهر بينهم بالصادق الأمين ، وذلك عندما بدأ لقاءه بهم بسؤاله إياهم : " أرأيتم لو أخبرتكم ... الخ ... " فاعترفوا جميعا قائلين : ما جربنا عليك كذبا قط ، فقياسا إلى تصديقهم له فى المقال السابق من وجود الخيل التى تغير عليهم ، والخطر الذى ينتظرهم ... أنذرهم بالعذاب الشديد إن لم يؤمنوا به ، ولم يجدوا ما يردون به عليه سوى بذاءة أبى لهب - وكان ذلك خوفا على مكانتهم من الضياع أو اتباعا لهوى النفس والكبر.

وكانت الدعوة على أساس سلموا به وهو صدق النبى صلى الله عليه وسلم ، وقولهم : ما جربنا عليك كذبا " شهادة منهم بالنفى المطلق للكذب عنه صلى الله عليه وسلم ، فإذا كان لم يكذب فى حياته ولا مرة واحده ، فما الداعى للكذب هذه المرة فى إبلاغه عن ربه ؟ فكان الأولى أن يصدقوه بلا تردد ، ولكنه الهوى والنفس .

---

(١) سورة الشعراء : ٢١٤ .

ثانيا : كتاب الرسول إلى اليهود خيبر يدعوهم للاسلام .

وهذه دعوة من رسول الله إلى يهود خيبر يدعوهم للاسلام معتمدا فيها على ما يسلمون به فى التوراة ، وما وقر فى قلوبهم من الأخبار يقول ابن إسحاق راويا عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إليهم :

(بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله صلى اله عليه وسلم صاحب موسى وأخيه والمصدق لما جاء به موسى ، ألا أن الله قد قال يا معشر أهل التوراة وانكم لتجدون ذلك فى كتابكم " " محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ..، وإنى أنشدكم بالله وأنشدكم بما أنزل عليكم وأنشدكم بالذى أطعم من كان قبلكم من أسباطكم المن والسلوى وأنشدكم بالذى أيبس البحر لآبائكم حتى أنجاهم من فرعون وعمله إلا أخبرتمونى : هل تجدون فيما أنزل الله عليكم أن تؤمنوا بمحمد ؟ فإن كنتم لا تجدون ذلك فى كتابكم فلا كرة عليكم " قد تبين الرشد من الغى " فأدعوكم إلى الله ونبيه ..." (١)

فبالتأمل فى هذه الرسالة نجد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أحالهم إلى ما يؤمنون به من التوراة ، من أخبار فى وصف النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ﴿ذلك مثلهم فى التوراة﴾ ومنا شدتهم بالله الذى أطعم أسلافهم المن والسلوى ، وأنعم على موسى بنجاته من فرعون حيث أيبس البحر ليمر موسى ومن آمن معه ويغرق فرعون وجنوده ، وهذه أمور يقرون بها ويعلمون أن النبى ما عرفها إلا عن طريق الوحى ، ويبين أن كتابهم التوراة قد بشر به ووصفه بدقه ووضوح ودعاهم إلى الإيمان به ..فبنى النبى دعوته إياهم على ما يسلمون به مما ورد فى كتابهم .

---

(١) انظر سيرة هشام جـ ٢ صـ ١٣٨ .

ثالثاً :- كتاب النبى صلى الله عليه وسلم إلى هرقل يدعوه للاسلام :

أمر النبى صلى الله عليه وسلم بأن يكتب كتاب إلى هرقل عظيم الروم يدعوه وقومه إلى الاسلام ، وبعث به دحية الكلبى ليسلمه إلى هرقل عظيم الروم " فدفعه إلى عظيم بصرى فدفعه عظيم بصرى إلى هرقل ، فقال هرقل : هل ها هنا أحد من قوم هذا الرجل الذى يزعم أنه نبى ؟ قالوا نعم ، يقول ابو سفيان : فدعيت فى نفر من قريش فدخلنا على هرقل فأجلسنا بين يديه ، فقال : أيكم أقرب نسبا من هذا الرجل الذى يزعم أنه نبى ؟ فقال أبوسفيان : فقلت : أنا ، فأجلسونى بين يديه وأجلسوا أصحابى خلفى ثم دعا بترجمانه فقال له : قل لهم إنى سائل هذا عن الرجل الذى يزعم أنه نبى فإذا كذبنى فكذبوه ، قال أبو سفيان وأيم الله لولا مخافة أن يؤثر على الكذب لكذبت ثم قال لترجمانه : سله كيف حسبه فيكم ؟ قال : قلت : هو فينا ذو حسب ، قال : فهل كان أحد آبائه ملك ؟ قال : قلت : لا ، قال : فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قلت : لا ، قال : ومن يتبعه أشراف الناس أم ضعفاؤهم ؟ قال : قلت : بل ضعفاؤهم .؟ قال : أيزيدون أم ينقصون ؟ قال : قلت لا بل يزيدون ، قال هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه سخطه له ؟ قال : قلت : لا ، قال : فهل قاتلتموه ؟ قلت : نعم ، قال : فكيف كان قتالكم إياه ؟ قال : قلت : تكون الحرب بيننا سجا لا يصيب منا ونصيب منه ، قال : فهل يغدر ؟ قلت : لا ونحن منه فى مدة لا ندرى ما هو صانع فيها ، قال فوالله ما أمكننى من كلمة أدخل فيها شيئا غير هذه ، قال فهل قال هذا القول أحد قبله ؟ قال : قلت : لا ، قال لترجمانه، قل له : أنى سائلك عن حسبه ، فزعمت أنه فيكم ذو حسب ، وكذلك الرسل تبعث فى أحساب قومها ، وسألتك هل كان فى آبائه ملك ، فزعمت أن لا ، فقلت لو كان من آبائه ملك قلت : رجل يطلب ملك آبائه وسألتك عن اتباعه أضعفاؤهم أم أشرافهم فقلت بل ضعفاؤهم ، وهم أتباع الرسل ، وسألتك هل

كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ، فزعمت أن لا ، فقد عرفت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس ثم يذهب فيكذب على الله ، وسالتك : هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخله سخطه له ؟ فزعمت أن لا وكذلك الإيمان إذا خالط بشاشة القلوب ، وسالتك : هل يزيدون أو ينقصون ، فزعمت أنهم يزيدون ، وكذلك الإيمان حتى يتم ، وسألتك : هل قاتلتموه ؟ فزعمت أنكم قد قاتلتموه فتكون الحرب بينكم وبينه سجالا ينال منكم وتنالون منه ، وكذلك الرسل تبتلى ثم تكون لهم العاقبة ، وسألتك هل يغدر ؟ فزعمت أنه لا يغدر ، وكذلك الرسل لا تغدر ، وسألتك : هل قال هذا القول أحد قبله ؟ فزعمت أن لا فقلت : لوقال هذا القول أحد قبله قلت : رجل أئتم بقول قيل قبله ، قال : ثم قال : بم يأمركم قلت : يأمرنا بالصلاة والزكاة والصلة والعفاف ، قال : إن يكن ماتقول فيه حقا فإنه نبى ، وقد كنت أعلم أنه خارج ولم أكن أظنه منكم ، ولو أنى أعلم أنى أخلص إليه لأحببت لقاءه ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه ، وليبلغن ملكه ما تحت قدمى ، قال ثم دعا بكتاب رسول الله عليه وسلم فقرأه فإذا فيه (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فإنى أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم ، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، وإن توليت فإن عليك إثم الاريسيين ، و ﴿ يأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألانعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا نتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾ فلما فرغ من قراءة الكتاب ارتفعت الأصوات عنده وكثر اللغط وأمر بنا فأخرجنا ، قال فقلت لأصحابى حين خرجنا : لقد أمر أمر ابن كبشه إنه ليخافه

ملك بنى الأصفر قال فمازلت موقنا بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سيظهر حتى أدخل الله على الاسلام) (١) .

وفى هذا الحوار الذى جرى بين أبى سفيان وبين هرقل كان بعد أن أرسل النبى صلى الله عليه وسلم كتابا يدعو فيه هرقل إلى الاسلام فأراد أن يحلل شخصية صاحب الكتاب وسأل أبا سفيان عن أمور وحقائق ليعرفها ومن خلالها يحكم بمدى صدق النبى صلى الله علية وسلم فى دعوته ، ليهيئ نفسه لقراءة كتاب النبى إليه على أنه صادق فى دعوته ، وبعد الانتهاء من الحوار يعرض هرقل نتيجة تحليله ويخلص إلى نتيجة جازمة هى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صادق فى دعوته ونبوته ، وليس طالبا الملك ضاع منه ، ولالجاه يتمناه ، وقارن مايدعو إليه النبى بمادعا إليه من سبقه من الرسل وهو الصلاة والزكاة والصلة .... وبكل ذلك وصل إلى حقيقة أعرب عنها وبينها ، وأن ماسأل عنه ينطبق تماما على مابشرت به الكتب السابقة ومايعرفه أهل الكتاب ، لذلك قال : إن يكن فيه ما تقول حقا فإنه نبى خارج ولم أظنه منكم ، أى من العرب ووضح حقيقة أخرى هى أن ملك النبى ودعوته سوف يمتد إلى أن يصل إلى ملك هرقل ، ولما أطمأن إلى كل ذلك أمر بقراءة الكتاب الذى تضمن دعوة النبى صلى الله عليه وسلم للاسلام محملا إياه إثم قومه ، ونلاحظ أن هرقل احتاط لنفسه فى الحوار حتى لا يكذب أبو سفيان فى إجاباته فجعل خلفه من يسمعه ويراقب إجاباته ويكذبه إذا كذب فيها فأراد هرقل الاقتناع ليسلم بأن الرسالة جاءته من نبى وليست من دعى وسأل أبا سفيان لأنه أقرب الحاضرين من االعرب إلى النبى ، وأبو سفيان لم يكن مسلما وقتها لأن هذا اللقاء كان فى المدة من صلح الحديبية إلىفتح مكة وهو قد أسلم فى فتح مكة

---

(١) رواه البخارى مسلم واللفظ لمسلم عن ابن عباس كتاب الجهاد والسير - باب كتب النبى (ص) إلى هرقل ملك الشام ليدعوه إلى الاسلام جـ ٤ صـ ٣٩١ ط الشعب .

– ولا تتوقع منه المجاملة أو التحيز للنبى لها بل من المتوقع أن يتجنى عليه لما بينهما من الجفوة والعداوة وقتئذ – وهذا ما أحتاط له هرقل عندما أجلس أبا سفيان أمامه وأجلس أصحابه – أصحاب أبى سفيان – خلفه ، وقال لهم : إنى سائل هذا عن الرجل الذى يزعم أنه نبى فإن كذبنى – أى لم يقل الصدق فكذبوه ، وأبو سفيان كان لديه الرغبة فى الكذب وكتمان بعض الحقائق عن هرقل لكنه يقول : وأيم الله لولا مخافه أن يؤثر على الكذب لكذبت " وكما يقال : الحق ماشهدبه الأعداء .

ويعلن هرقل عن اقتناعه بالدعوة والإيمان بما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم بقوله : (ولو أنى أعلم أنى أخلص إليه لأحببت لقاءه ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه) ويعلق النووى على هذه العبارة بقوله : " ووقع فى البخارى " : " لتجشمت لقاءه " وهو أصح فى المعنى ومعناه لتكلفت الوصول إليه وارتكبت المشقة فى ذلك ولكنى أخاف أن أقتطع دونه ، ولا عذر له فى هذا ، لأنه عرف صدق النبى صلى الله عليه وسلم ، وإنما شح فى الملك ورغب فى الرياسة فآثرها على الإسلام وقد جاء ذلك مصرحا به فى صحيح البخارى (ولو أراد الله هدايته لوفقه كما وفق النجاشى ومازالت عنه الرياسة) .

وفى كتاب النبى إلى هرقل عدة قواعد دعويه هامة منها : دعوة الكفار قبل قتالهم ، وبدء الرسالة بالبسمله ولو كان المبعوث إليه كافرا ، والتوقى فى المكاتبه فلا يفرط فى تعظيم المرسل إليه ، ولا يفرط فى حقه أى لا يحقره ويغمطه حقه من الاحترام ، وكذا البلاغة والإيجاز كما قال : أسلم تسلم [١] وهذه هى سمة كل كتب النبى صلى الله عليه وسلم إلى الملوك لدعوتهم إلى الاسلام ، الإيجاز والوضوح ، وإعطاء المدعو

(١) انظر شرح النووى على صحيح مسلم جـ ٤ صـ ٣٩٦ .

حقه من التقدير حسب ماهو فيه من مكانه ، وهذا من التلطف فى القول واللين فيه لأن ذلك أدعى إلى القبول ، وماكان رفض هرقل وحاشيته للإسلام إلا اتباعا لهوى النفس ، وخوفا على زوال مناصبهم ، وما كان لغطهم وارتفاع أصواتهم اعتراضا على مضمون الرسالة أو على شخص المرسل ، وانما كان تمسكا بالمناصب وخوفا من زوالها ..

ومن النماذج الرائعة للدعوة اعتمادا على مسلمات الخصم :

(رد " أبي عبيدة الخزرجي " على دعوة " حنا مقار " له إلى النصرانية) (١)

وكان ذلك من خلال رسالتين متبادلتين بينهما ، الأولى : من القسيس إلى أبى عبيدة يورد له فيها شبهات حول الاسلام ، ويدعوه إلى الإيمان بالمسيح والدخول فى النصرانية ، والثانية : من أبى عبيدة يرد فيها على ماأثير من الشبهات ، وإبطال دعوة القسيس له إلى النصرانية بإبراز مااعتمد عليه فى دعوته تلك من مغالطات مع اعتماد أبى عبيدة فى الرد على مسلمات القسيس التى يؤمن بها .

وسنختار بعضا من رسالة (حنا مقار) التى يدعو فيها (أبا عبيدة) إلى النصرانية ، ومايقابلها من رد أبى عبيدة فى رسالته إليه مبرزين مااعتمد عليه فى رده على دعوة القسيس .

---

(١) الرسالتان (الدعوة - والرد) ذكرهما الدكتور / محمد شامة فى كتابه " بين الاسلام والمسيحية " وهو عبارة عن تحقيق دقيق لهما ، فذكر رسالة القسيس من صـ٦٨ إلى صـ١٤٥ ، ورسالة أبى عبيدة من صـ١٤٦ إلى صـ٣٦٥ وذكر أن المؤرخين لم يتفقوا على عنوان رد أبى عبيدة حيث داربين : (مقامع الصلبان) أو (مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الايمان) أو (مقامع هامات الصلبان ورواتع رياض الايمان) ولم يقع اختلاف كبير فى النص ، كما بين المحقق (انظر كتاب بين الاسلام والمسيحية- كتاب أبى عبيدة الخزرجي - حققه وقدم له د/ محمد شامة .

أولاً : من رسالة القسيس إلى أبى عبيدة :

" ...... أما بعد حمد الله الذى هدانا لدينه وأيدنا بيمينه ، وخصنا بابنه ومحبوبه ، ومد علينا رحمته بصلبه يسوع المسيح إلهنا اللذى خلق السموات والأرض ومابينهن ، والذى فدانا بدمه المقدس ، ومن عذاب جهنم وقانا ورفع عن أعناقنا الخطيئة التى كانت فى أعناق بنى آدم بسبب أكله من الشجرة التى نهى عنها فخلصنا المسيح بدمه وفدانا بدمه ، ومنة عذاب جهنم وكان ، أهرق دمه فى مرضات جميع ولد آدم إذ كان الذنب باقيا فى أعناق جميعهم فكلهم تخلص إلا من كفر به وشك فيه ... فإذا أردت أن يتغمدك الله برحمته وتفوز بجنته فآمن بالله وقل إن المسيح ابن الله الذى هو الله ، والروح القدس ثلاثة أقانيم فى أقنوم (١) واحد ، فستنجح وترشد ، ألم تسمع مافى الكتاب الذى جاء به صاحب شريعتك أنه روح الله وكلمته وأنه كان وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين ، وأين من هو أوجه فى الدنيا الآخرة من المسيح ابن الله ، وفى الكتاب الذى جاء به صاحب شريعتك أنه أحيا الموتى ، وكفى بذلك دليلا على أنه هو الله ، ثم إنه أيد بإحياء الموتى بعض الحواريين فأحيوا الموتى كمثل مافعل المسيح ..... ألخ " (٢) .

---

(١) يطلق لفظ " أقنوم " ويراد به أصل الشئ ، أو جوهرة ، أو الشخص ، ويستعمل الجمع (أقانيم) عند المسيحيين للدلاله على الثالوث الاقدس (الآب والابن والروح القدس) (المعجم الوسيط جـ١) وقد تعنى ايضا الانسجام فى الفكر والشعور والصفات الطيبة) بين الاسلام والمسيحية صـ ٧٥ .

(٢) انظر رسالة القسيس كاملة فى كتاب " بين الاسلام والمسيحية " د/محمد شامة من صـ ٧٥ .

ويتأمل هذا الجزء من الرسالة نجد أن القسيس دعا أبا عبيدة إلى أمرين :

أولهما : الإقرار بصلب المسيح تكفيرا عن خطيئة بنى آدم بسبب أكل أبيهم آدم من الشجرة التى نهى عنها ، حيث تعلق الذنب بأعناق كل بنى آدم .

ثانيهما : الإيمان بأن عيسى إله وأنه هو الله ، لأنه أحيا الموتى وأيد بعض الحواريين بإحياء الموتى ففعلوا مثل مافعل .

وبين أن الإيمان بذلك هو سبب التخلص من خطيئة آدم التى ورثها أبناؤه عنه وتعلقت بأعناقهم .

لذلك سنختار من رسالة " أبى عبيدة " ما رد به على هاتين القضيتين " الصلب والألوهية) .

ثانياً : رد أبى عبيدة على القسيس فيما دعاه إليه :

أ) يقول فى رده على دعوى الصلب : " .....

" ثم قلت لا ينكر صلبه [أى عيسى] إلا كافر ، وماذلك إلا ضلالات ابتدعتموها ، ومحالات على رعاع الأعاجم أجزتموها ، وأيم الله ! إنكم لفى شك ، مالكم به من علم إلا إتباع الظن .

وإلا فأخبرنى أيها المغرور ! مامعنى قول " يهوذا الأسخريوطى "

– وهو من الحواريين ، تلاميذ المسيح ، أرتد عنكم بزعمكم ودل عليه بظنكم –حين خرج مع اليهود إلى طلبه ، قال لهم : إنى لأستحيى منه ولذا فسوف أجعل الأمارة عليه – حيث إنكم لا تعرفونه بعينه – أن أقبله . فإذا فعلت فأنتم وذاك فهذا يشهد أن اليهود لم تكن تعرفه ، وهذا منصوص فى إنجيلكم ومن نصوصكم أيضا أنهم حين أحاطوا بعيسى ومن معه ، خرج بنفسه إليهم وقال : من تطلبون ؟

قالوا : يسوع الناصرى .

قال : أنا هو.

فنظروا إلى يهوذا نظرة تساؤل عن الإشارة التى اتفقوا معه عليها ، ففعلها فقبضوا عليه بظنكم (١) أخبرنى ! .

كيف أمنتم والحال كما رويتم أن يكون قد عمدت إلى سواه - حيث كانت لا تعرفه - ورفعه الله ، كما رفع أخنوخ النبى (٢) ولعلكم صدقتم يهوذا الإسخريوطى فى دلالته عليه ، وفى نص إنجيلكم ، أنه مرتد ، كافر ، ملعون . فشهادته إذا غير جائزة أو لعله عندما عاينه ، وأدركته الندامة ، جعل الإمارة على غيره من التلاميذ ، وسارع التلميذ إلى وقايته بنفسه .

والدليل على قيام هذا الاحتمال أنه فى نص الإنجيل الذى بأيدكم أن " يهوذا الإسخريوطى " أدركته الندامه ، وأعاد لهم الثلاثين درهما التى كان بها ، إذ أعلمهم أنه ليس هو ذلك المقبوض عليه.

فقالت اليهود : وماعلينا (٣) .

فأنت ترى هذه الندامة ، وهذا القول لليهود وتقرأها فى أناجيلكم وقلتم : إنه خنق نفسه (٤) وتأويل المفسرين منكم فى خنق نفسه : أنه أراد الإسراع عاجلا إلى جهنم قبل نزول عيسى إليها ، ليخرج من فيها حين فداهم بدمة من عذابها . فأراد يهوذا أن يكون من جملة المخرجين وقلتم : إن عيسى أبى إلا أن يكون -أى يهوذا - فيها من المخلدين فأما اليهود فإنها قتلت رجلا لم تعينه - بإقرار كتابكم - ولم تعرفه إلا

---

(١) إنجيل يوحنا ، إصحاح ١٨ من ٣ : ١٢.

(٢) هو نبى الله إدريس عليه السلام .

(٣) إنجيل متى إصحاح ٢٧ من ٣: ٤ .

(٤) متى إصحاح ٢٧، ٥ .

بشهادة يهوذا الإسخريوطى ، أنه ذلك المطلوب وأما أنتم فلا كتاب عندكم صادق بتحقيق ذلك ، ولا خبر قاطع للحجة .

كيف لا ، ونصوص الإنجيل ، والكتب النصرانية ، متضافرة دالة على عدم صلب عيسى عليه السلام ووقوع الشبة على غيره ، وذلك من وجهين :

أحدهما : جاء فى الانجيل أن المصلوب قد استسقى اليهود ، فأعطوه خلا ممزوجاً ، بمرارة ، فذاقه ولم يشربه ، فنادى : إلهى ! إلهى ! لم خذلتنى ؟ والاناجيل كلها مصرحة بأنه عليه السلام كان يطوى أربعين يوماً وليلة ، ويقول للتلاميذ : إن لى طعاماً لستم تعرفونه . ومن يصبر على العطش والجوع أربعين يوماً وأربعين ليلة ، كيف يظهر الحاجة والمذلة والمهانة لأعدائه بسبب عطش يوم واحد ! هذا لا يفعله أدنى الناس ، فكيف بخواص الأنبياء ؟ أو كيف بالرب تعالى ، على ماتدعونه ؟ فيكون حينئذ المدعى للعطش غيره ، وهو الذى شبه لكم .

ثانيهما : إلهى إلهى ! لم خذلتنى ؟ هو كلام يقتضى عدم الرضا بالقضاء وعدم التسليم لأمر الله تعالى . وعيسى عليه السلام منزه عن ذلك فيكون المصلوب غيره ، لا سيما وأنتم تقولون إن المسيح عليه السلام نزل ليؤثر العالم على نفسه ، ويخلصه من الشيطان ورجسه . فكيف تروون عنه مايؤدى إلى خلاف ذلك ؟ مع روايتكم فى توراتكم أن إبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى وهارون عليهم السلام لما حضرهم الموت ، كانوا مستبشرين بلقاء ربهم ، فلم يجزعوا من الموت ، ولم يهابوا مذاقه ولم يعيبوه ، مع أنهم عبيد الله ، والمسيح - بزعمكم - ولد ، ورب ، فكان ينبغى أن يكون أثبت منهم ، ولما لم يكن ذلك ، دل على أن المصلوب غيره .

شبهة وردها : ولعلك تقول : إن القول بإلقاء الشبه على عيسى عليه السلام يفضى إلى السفسطة والشك فى الحقائق ، والدخول حينئذ فى الجهالات ، ومالا يليق بالعقلاء ، لأننا إذا جوزنا إلقاء شبه الإنسان على غيره ، فإذا رأى الإنسان

ولده لم يثق بأنه ولده ، ولعله غيره ألقى عليه شبه ولده ، وكذلك القول فى امرأته وسائر معارفه . لا يثق الإنسان بأحد منهم ولا يسكن إليه .

ونحن نعلم بالضرورة أن الإنسان يقطع بأن ابنه هو ابنه ، وأن كل واحد من معارفة هو من غير شك ولاريبه بل القول بالشبه يمنع الوثوق بمدينة الإنسان ووطنه إذا دخله ، ولعله مكان آخر ، ألقى عليه الشبه . فلا وثوق بوطنه ، ولا بسكنه ، ولا بالفة ، ولا بشئ مما يعرفه .

بل إذا غمض الإنسان عينه عن صديقه بين يديه ، ثم فتحها فى الحال ، ينبغى له أن لا يقطع أنه صديقه ، لجواز أن يلقى شبهة على غيره .

لكن جميع ذلك خلاف الضرورة ، فيكون القول بالشبه محال ، كالقول إن الواحد نصف العشرة ، والمثلث هو عين المربع ويكون قصدك من ذلك كله أن يكون المصلوب هو عين عيسى عليه السلام . فإن قلت ذلك ، أجيبك بما يلى :

رد الشبهة : إن قولك هذا تهويل ليس عليه تعويل ، لأن البراهين القاطعة والأدلة الساطعة قائمة على أن الله خلق الإنسان وجملة أجزاء العالم ، وأن حكم الشئ حكم مثله ، فما من شئ خلقه الله تعالى فى العالم إلا وهو قادر على خلق مثله ، إذ لو تعذر خلق مثله ، لتعذر خلقه فى نفسه ، فيلزم أن يكون خلق الإنسان مستحيلا ، بل جملة العالم ، وهو محال بالضرورة .

وإذا ثبت أن الله تعالى قادر على خلق مثل لكل شئ فى العالم ، فجميع صفات جسد عيسى عليه السلام لها أمثال فى حيز الإمكان فى العدم ، يمكن خلقها فى محل آخر ، غير جسد عيسى عليه السلام فيحصل الشبه قطعاً .

فالقول بالشبه قول بأمر ممكن ، لا بما هو خلاف الضرورة ، ويؤيد ذلك أن التوارة مصرحة بأن الله تعالى خلق جميع صالحيه فى عصا موسى عليه السلام ، وهو أعظم من الشبه ، فإن جعل حيوان يشبه حيواناً أقرب من جعل نبات يشبه

حيواناً ، وقلب العصا حيه تسعى مما أجمع عليه اليهود والنصارى ، كما أجمعوا على جعل النار لإبراهيم عليه السلام برداً وسلاماً ، وعلى قلب الماء خمراً ، فإذا جوزتم مثل هذا ، جوزتم أيضاً إلقاء الشبة من غير استحالة .

ثم إن الإنجيل عندكم ناطق بأن عيسى عليه السلام نشأ بين ظهور اليهود في مواسمهم وأعيادهم وهياكلهم ، يعظهم ويعلمهم ويناظرهم ، ويعجبون من براعته وكثرة تحصيله ، حتى كانوا هم يقولون : أليس هذا ابن يوسف ؟ أليست أمة مريم؟ أليس أخواه عندنا ؟ فمن أين له هذه الحكمة ؟

وهو كذلك في غاية الشهرة والمعرفة عندهم ، فلم نص الإنجيل على أنهم وقت ماأرادوا القبض عليه لم يحققوه ، حتى دفعوا لأحد تلاميذه - وهو يهوذا - ثلاثين درهماً ليدلهم عليه . فجاء ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر نيسان ، ومعه جماعة من اليهود ، ومعهم السيوف والعصى من عند رؤساء الكهنة ، وقال لهم التلميذ المذكور : الذى أقبله هو مطلوبكم فأمسكوه ، فلما جاء قال : السلام عليك ، ثم قبلة ، فقال له يسوع : لماذا جئت ياصاحب ؟ فوضعوا أيديهم عليه وربطوه . وتركه التلاميذ كلهم وهربوا ، ووتبعه "بطرس" من بعيد . فقال له رئيس الكهنة : أستحلفك بالله الحى أن تقول لنا ، هل أنت المسيح ؟ فقال له المسيح : أنت قلت ذلك ، وأنى أقول لكم : إنكم من الآن لا ترون ابن الإنسان حتى تروه جالساً عن يمين القوة آتياً في سحاب السماء (١) .

فلا شك أن هذا الالتباس العظيم مع تلك الشهرة العظيمة نحو ثلاث سنين في المحاورات العظيمة ، والمجادلات البلغية ، كلها تدل على وقوع الشبه قطعاً ، خصوصاً أن في الإنجيل ، أنه أخذ في حندس من ليل مظلم من بستان فشوهت

---

(١) متى إصحاح ٢٦ من ٦٣ ، ٦٤ .

صورتـه ، وغيرت محاسنة بـالضرب والسحب وأنـواع النكـال . ومثـل هـذه الحالـة توجب الالتبـاس بين الشئ وخلافه ، فكيف بين الشئ وشبهة ، فمـن أيـن لكـم ، أو لليهود القطع بأن المصلوب هو عين عيسى عليـه السلام دون شبهة ؟ بل إنمـا حصل الظن والتخمين ، كما قال الله تعالى :﴿ وماقتلوه يقيناً . بل رفعه الله إليه ﴾ ثم فى الإنجيل أيضاً : أن يسوع عليه السلام كـان مـع تلاميذه بـالبستان فجـاء اليهود فى طلبه ، فخرج إليهم عليه السلام ، وقال لهم : من تريدون ؟

قـالوا : يسوع . وقد خفى شخصه عنهـم ، ففعـل ذلك مرتـين وهـم ينكـرون صورتـه ، ومـاذلك إلا دليلى الشبه ، ورفع عيسى عليه السلام لاسيما وقد حكى بعض منكم أن المسيح أعطى قوة التحول من صورة إلى صورة .

قال متى فى إنجيله بينما التلاميذ يأكلون طعاماً مع يسوع عليه السلام قال : كلكم تشكون فى هذه الليلة ، فإنه مكتوب أنى أضرب الراعى فتفترق الغنم .

فقال " بطرس" فلو شك جميعهم مـاأشك أنا .

فقال يسوع : الحق أقول لك : إنك فى هذه الليلة تنكرنى قبل أن يصيح الديك .

فقد شهد عليهم بـالشك ، بل على خيـارهم "بطرس" فإنه خليفته عليهم ، فقد أنخرم حينئذ الوثوق بأقوالكم ، وجزم بإلقاء الشبهة على غير عيسى عليه السلام .

وصح قوله تعالى :

﴿ وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه مالهم به من علم إلا أتباع الظن ﴾

ومثل هذا كثير :

ومـن هنـا نعلـم أن هـذه الأنـاجيل ليسـت قـاطعـة فـى صلبـه ، بـل فيهـا اختلافـات وشكوك كثيرة ، كمـا قدمـت لـك . وإن أردت أن أزيـدك توضيحـاً نذكـر مـا فعلـه (يهوذا) ، ويحتمل أن يكون قد كذب فى قوله لليهود ، ويدل على وقوع ذلك منه ، ظهور الندم منه بعد ذلك .

أ- وقول المسيح عليه السلام : ياصديق وياصاحب ! لم أقبلت ؟

ب- ولوكان مصراً على الفساد ما سماه صديقاً .

جـ- ثم لاتنسى أن الإنجيل شهد أن المسيح عليه السلام ، شهد للتلاميذ الاثنى عشر بالسعادة ، وشهادة حق . ولاشك أن السعيد لايتم منه الفساد العظيم ، إذا شرع فيه ، ويهود أحد الاثنى عشر فيلزم :

إما أن يكون يهوذا لم يدل عليه .

أو يكون المسيح عليه السلام ما نطق بالصدق .

أو يكون كتابكم قد تحرف وتبدل .

فاختاروا لكم واحدة من هذه الثلاث .

ثم لنا قول آخر هو :

يحتمل أن المسيح عليه السلام ذهب فى الجماعة الذين أطلقهم الأعوان ، وكان المتكلم معهم غيره ممن يريد أن يبيع نفسه من الله تعالى وقاية للمسيح عليه السلام .

وهكذا ليس بعيد فى أتباع الأنبياء عليهم السلام ، فكيف أتباع الإله على زعمكم ؟

ويمكن أن الأعوان قد اتخذوا عليه رشوة وأطلقوه ، كما أخذوا رداء الشاب الذى كان يجرى وراءه عند القبض وأطلقوه أيضاً .

ثم إذا نقلتم أن يهوذ الحوارى مع جلالته قبل الرشوة ، على أن يعين على أخذه ، فقبول الأعوان الرشوة لإطلاقه أقرب .

ثم هل يستحيل أن يكون الله تعالى قد صور لهم شيطاناً أو غيره بصورته فصلبوه ، ورفع المسيح عليه السلام ، يدل على ذلك أنهم سالوه ، فسكت .

وفى تلك السكته تتعين النكته . وهذا ممكن والله تعالى على كل شئ قدير .

وإذا كـان ليـس عندكـم نصـوص قاطعـة بصلبـه ، كمـا بينـا لكـم وجـوه احتمـالات مـا نقلتمـوه ، واليهـود ليسـوا قـاطعين بذلك ، لأنهـم اعتمـدوا علـى قـول (يهـوذا) فـأى ضـرورة تدعوكـم إلى إثبـات أنـواع الإهانـة والعـذاب فـى حـق رب الأرباب على زعمكم ؟ إن هذا لمن عجب العجاب !

ب- ويقول في رده على دعوى الألوهية : (١)

" أخبرفى أيها الجاعل إلهه المسيح من حيث هو روح ، لم تظلم آدم ؟ وأنتم تقولون وتوافقون أن الله نفخ فيه من روحه بعد أن سواه من تراب . ؟

وتقولون : إن المسيح نفخه من روح الله فى رجل سواه الله تعالى من لحمة مريم ، المتخذه من آدم ، فلحمه إذا بمنزلة ترابه ، ونفخه من روح الله بمنزلة نفخة من روح الله ، فلماذا أوجبت الألوهية لعيسى ولم توجبها لآدم ، وأنت تقر له بروح من الله فى حجاب من تراب . ؟

ما أزين بك أن تقول : إن الله خلق عيسى وأمه آية للناس ، عبداً ورسولا ، [وهى] صديقة مباركة ، [و] كانا يأكلان الطعام ، وأكل الطعام هنا كناية عن التغوط ، وقد كان يجب لله تعالى لو سبق فى حكمه أن يكون إنساناً وينزل لمقابلة عباده - كما زعمت - أن يمتنع عن التغوط ، إذ هو دنية ابتلى بها آدم ، وبنيه مبينة لنقصهم واحتقارهم . وهو تعالى المختص بالكمال ، والموصوف بالعظمة والجلال فلا يليق به تلك الدنية ، ولا نعلم فى فرق ملتكم من يقول : إن عيسى لم يكن يتغوط ، ولا يبول . حاشى الله أن يحقر خلقاً له بدنية ، يراها أخس الآدميين عاراً على نفسه ، ثم يتشبه بعبيده فيها ، بل كان يتركها دون غيرها من صفات الإنسانية .

---

(١) انظر رسالة ابى عبيده كاملة فى كتاب بين الإسلام والمسحية من صـ ١٣٦ إلى صـ ٣٦٥ محققه .

أليس من الواضح عند ذوى العقول ، انه لما لم يلزم من عدم الأب والأم البشريين لآدم عليه السلام ، أن يكون ابناً لله تعالى ، ولما لم يبعد خلق آدم من التراب ، لم يبعد أيضاً خلق عيسى عليه السلام من الدم ، الذى كان يجتمع فى رحم أمه عليهما السلام .

فلو أنصفت وطلبت الحق ، لعلمت أن ذلك من البيان ، ما يبلغ إلى الغاية القصوى ، فى تحصيل المرام من هذه المسألة ، لكنك قد اتخذت التقليد دليلاً ، على عدم النظر والتأمل فى الأمور مذهباً ، فلا حول ولاقوة إلا بالله .

أخبرنى أيها المسكين :

متى ادعى عيسى عليه السلام الألوهية نصريحاً ؟ أو متى ذكر الأقانيم التى تقولونها توضيحاً ؟ .

ألم تقرأ فى إنجيلك الكائن بين يديك عن عيسى ، أنه قال حين خرج من السامرة ولحق بالجليل : أنه لم يكرم أحد من الأنبياء فى وطنه ؟ .

وفى الإنجيل للوقا : أنه لم يقبل أحد من الأنبياء فى وطنه فكيف تقبلونه ؟

وحسبك هذا من دليل على أنه ما ادعى غير النبوة المعلومة .

وفى الإنجيل لمرقس أن رجلاً أقبل إلى المسيح وقال له : " أيها المعلم ، الصالح أى صلاح أعمل لتكون لى الحيوة الأبدية . فقال له لماذا تدعونى صالحاً ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله ولكن إن أردت أن تدخل الحيوة فاحفظ الوصايا . قال له أية الوصايا ؟ فقال يسوع لاتقتل ، ولا تزن ، لاتسرق ، لاتشهد بالزور ، أكرم أباك وأمك .

وفى الإنجيل ليوحنا أن اليهود لما أرادت القبض عليه وعلم بذلك ، رفع بصره إلى السماء ، وقال : قد دنا الوقت يا إلهى فشرفنى لديك ، واجعل لى سبيلا إلى أن أملك كل ما ملكتنى ، الحياة الباقية ، وإنما الحياة الباقية ، أن يؤمنوا بك

إلهاً واحداً ، وبالمسيح الذى بعثت ، وقد عظمتك على أهل الأرض واحتملت ما أمرتنى به فشرفنى لديك .

وفى الإنجيل أن عيسى قال لتلاميذه : لاتسبوا أباكم على الأرض ، فإن أباكم الذى فى السماء وحده ، ولاتدعوا معلمين ، فإن معلمكم المسيح وحده .

فقوله : لاتسبوا أباكم على الأرض معناه : لاتقولوا إنه على الأرض ، ولكنه فى السماء .

ثم أنزل نفسه حيث أنزله الله تعالى وقال : ولا تدعوا معلمين ، فإن معلمكم المسيح وحده .

فهاهوذا قد سمى نفسه معلماً فى الأرض لهم ، وشهد أن إلههم فى السماء واحد .

وفى الإنجيل للوقا أن عيسى أحيا الميت بباب مدينة "نائين" عندما أشفق لأمه ، لشدة حزنها عليه فقالوا : إن هذا النبى لعظيم ، وإن الله قد تفقد أمته ! .(١)

وفى الإنجيل ليوحنا أن عيسى قال لليهود :

لست أقدر أن أفعل من ذاتى شيئاً ، لكننى أحكم بما أسمع ، لأننى لست أنفذ إرادتى بل إرادة الذى بعثنى .

وفى الإنجيل ليوحنا أيضاً أنه أعلن صوته فى البيت وقال لليهود :

قد عرفتمونى فى موضعى ، ولم آت من ذاتى ، ولكن بعثنى الحق ، وأنتم تجهلونه فها هوذا قد جعل نفسه ، وموضعه معلومين عند اليهود ، وجعل الله عندهم مجهولاً ، وقال : إنه لم يأت من ذاته ، ولكن الله قد بعثه ، فما زاد فى دعواه شيئاً على ما ادعاه غيره من الأنبياء عليهم السلام .

---

(١) انجيل لوقا اصحاح ٧ ، ١٦

وفى الإنجيل أنه قال لليهود - بعد حوار طويل وكلام كثير مذكور بينه وبينهم فى ذلك المجلس - حين قالوا له :إنما أبونا إبراهيم .

قال :إن كنتم بنى إبراهيم فاقفوا أثره ، ولا تريدوا قتلى ، على أنى رجل أديت إليكم الحق الذى سمعته من الله . غير أنكم تقفون أثر آبائكم .

قالوا :لسنا أولاد زنا ، إنما نحن أبناء الله وأحباؤه .

فقال : لو كان أباكم لحفظتمونى ، لأنى رسول منه أى من الله خرجت مقبلاً ، ولم أقبل من ذاتى ، ولكن هو بعثنى ، ولكنكم لاتقبلوا وصيتى ، وتعجزون عن سماع كلامى ، إنما أنتم أبناء الشيطان ، وتريدون إتمام شهواته ، إلى كلام كثير ذكر فى الإنجيل الذى بأيدكم ، عما كان بينه وبين اليهود فى ذلك .

وفى الإنجيل أيضاً :

أنه كان يمشى يوماً فى إسطوان سليمان فأحاطت به اليهود وقالت له :

إلى متى تخفى أمرك ؟ إن كنت المسيح الذى ننتظره ، فأعلمنا بذلك .

ولم يقولوا :إن كنت الله ، لأنهم لم يعلموا من دعواه ذلك ، ولا اختلاف عند اليهود أن الذى انتظروه هو إنسان نبى ، ليس بإنسان إله كما تزعمون .

وفى الإنجيل أيضاً عنه :أن اليهود لما أرادوا القبض عليه ، فبعثوا لذلك الأعوان ، وأن الأعوان رجعوا إلى قوادهم .

فقالوا : لم لم تأخذوه .

فقالوا : ما رأينا أدميا أنصف منه .

فقالت اليهود : وأنتم أيضاً مخدوعون .

أترون أنه آمن به أحد من القواد ، أو من رؤساء أهل الكتاب ؟

إنما آمن به من الجماعات ، من يجهل الكتاب .

فقال لهم " نيقوديموس" – وهو من كبار القسس –أترون أن كتابكم يحكم على أحد قبل أن يسمع منه ؟

فقالوا له :إكشف الكتاب ! ترى أنه لايجئ من الجليل نبى .

فما قالت اليهود ذلك إلا لأنه أنزل لهم نفسه منزلة بنى فقط ، ولو علمت من دعواه إدعاء الألوهية لقالته يومئذ تقبيحاً له وتحريضاً على قتله .

وكثير من هذا فى الإنجيل يطول ذكره ، ولا محالة أنك إن سمحت لنفسك بالانقياد إلى الحق ، وخلعت الهوى ، علمت أن ذلك كذلك .

وفى الذى اتخذتموه دليلاً على صلبه من كلام عاموص النبى ، أن الله قال على لسانه : ثلاثة ذنوب أقبل لبنى إسرائيل ، والرابعة لا أقبلها ، وهى بيعهم الرجل الصالح ، حجة عليكم لا لكم ، لأنه لم يقل بيعهم إياى ، ولا قال بيعهم إلهاً متساوياً معى ، ويجرى تأويل قوله هنا على وجهين :

١- أما أن يكون عنى بالمبيع عيسى كما تزعمون ، فقولو حينئذ :

إنه الرجل الصالح ، أو العبد الصالح كما قال عاموص ، وليس بالإله المعبود .

٢- وأما أن يريد بالمبيع غيره ، وهو الذى شبه لليهود فابتاعوه ، وصلبوه ويلزمكم وقتئذ إنكار صلوبية عيسى عليه السلام .

ثم جعلت حجة على إجلال منزلة عيسى عن آدم ، والاعتلاء به إلى منزلة الألوهية ، أنه أحيا ميتاً ، ولم ترد أن يكون الله تعالى قد جعل له ذلك برهاناً على نبوته . ودلالة على صدق رسالته . ثم لم تلبث أن أوجبت ما نفيت ، وأقررت بما أنكرت ، وكنت كالقائم القاعد فى الحال الواحد وذلك حين قلت : إن عيسى فى حال الألوهية التى تصفونه بها ، قد أيد نفراً من الحواريين الموتى – بزعمكم –وجعلهم رسلاً إلى الأجناس ، فاحيوا الموتى بزعمك .

فما الذى أوجب أن يكون المسيح فى حال الألوهية ، قد أيد بذلك بشراً وجعله رسولا إلى الأجناس ، ومنع أن يكون الله عزوجل يؤيد بشراً ، ويجعله رسولاً إلى الناس ؟

فإن كان المسيح من أجل إحياء ميت هو الله فكل من أحيا ميتاً بزعمك فهو الله !.

وبإجماع من جميع الملل الثلاثة أن إلياس النبى أحيا الموتى ، وكذلك اليسع ، فلم تظلمون بعضاً دون بعض ؟

تعقيب على رد ابى عبيدة

عندما ما أورده ابو عبيدة الخزرجى فى رسالته ردا على قضية الصلب والدعوة إلى الإيمان بالوهية المسيح ، نجد انه التزم المنهج التالى :

١- فى رده على الصلب :

أ- الاعتماد على مسلمات الخصم وما يؤمن به :

حيث إنه اعتمد فى ذلك على ما يؤمن به خصمه من نصوص التوراة والإنجيل . ومع أنه لم يورد فى رده آيه قرآنيه واجدة الا انه استفاد فكريا من منهج القرآن فى منهج الرد وتنظيم الأجوبة والرد على المغالطات .

ب- ومن خلال هذه المسلمات أبرز النقاط التالية وركز عليها :

١- عدم معرفة اليهود بشخص عيسى ، وهذا يحقق احتمالا بأن المأخود للصلب قد يكون شخصاً غير عيسى " وهذا تشكيك فى الرواية " .

٢- تناقض الأناجيل فيما بينها عندما ذكرت الرواية ولو كانت حدثت فعلا ما اختلفت فيها .

٣- الطعن فى شهادة " يهوذا الاسخر بوطى " حيث ذكرت الأناجيل أنه كافر ملعون ، فكيف يؤخذ بشهادته بينما لعنته أناجيلهم .

٤- ندم " يهوذا " على فعله ورد الثلاثين درهما إليهم وأعلمهم بإنه ليس المقبوض عليه عيسى . فينهض هذا احتمال أن يهوذا قد أدركته الندامة قبل وصوله مع رجال الشرطة فعين لهم أحد التلاميذ على أنه عيسى ولم ينكر التلميذ رغبة منه فى إنقاذ معلمه فأخذ وصلب

جـ- بعد التشكيك فى الروايات والشخص المصلوب ، استدل بنصوص من الإنجيل على أن المصلوب ليس هو عيسى وإنما شخص آخر يشبهه .واورد شاهدا لذلك : عندما احتاج عيسى إلى الماء ولم يصبر يوما واحدا بينما تذكر الأناجيل أنه كان يجوع ويعطش أربعين يوما لا يحتاج إلى طعام أو شراب ، ويقول عندئذ :" إلهى .. إلهى لم شبقتنى اى تركتنى " عندما أشتد عطشه ويرتب على ذلك أن هذا الشخص الذى لم يصبر على العطش هو غير عيسى وهوا المصلوب .وينتهى إلى أن الاناجيل ليست قاطعة فى أمر صلبه ، بل فيها اختلافات كثيره وشكوك عديدة ، ويصل اى تساؤل عقلى :

ذكر الإنجيل أن المسيح شهد لتلاميذه الاثنى عشر بالسعادة ، وشهادته حق ، ولا شك أن ، السعيد لا يتم منه الفساد العظيم إذا شرع فيه ويهوذا واحد منهم ، فيلزم الآتى :

أ- إما أن يكون يهوذا لم يدل عليه لأنه لم يكن فاسدا بل كان سعيدا

ب- وإما أن يكون قد نطق بغير الحق حيث أخبر بسعادة شقى .

جـ - وإما أن يكون الأنجيل قد تحرف وتغير لاخباره بغير الواقع .

وهذه الافتراضات كلها ليست فى صالح دعوى صلب المسيح فهى تنقيها من أصلها. وتقرير ذلك : أن يكون المسيح اخطأ عندما اعتمد يهوذا من السعداء لأنه تلميذه ، وهذا مستحيل أن يخطىء عندهم ، والفرض الثانى : أن يكون الإنجيل قد حرف وعندئذ لا يعتبر مستندا ولا أصلا تقوم عليه عقيدة ، عندئذ يلزمهم الفرض الأخير وهو

أن عيسى لم يصلب ورفعه الله اليه ، وهذا ما قرره القرآن فى حديثه عن تلك القضية : ﴿ وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله ، وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ، وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا . بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما ﴾(١)

٢- فى رده على ألوهية المسيح :

ينتهج ابو عبيده نفس المنهج ، حيث اعتمد فى رده على مسلمات الخصم من نصوص الإنجيل مبرهنا على نبوة عيسى ، مفندا دعوى ألوهيتة . فبين مكانة المسيح عند المسلمين وانه عبد الله ورسوله سبحانه وتعالى فيقول تعالى : ﴿ لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا الله ... ﴾ (٢) ويقول حاكيا عن عيسى قوله : ﴿ .. ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به أن أعبدوا الله ربى وربكم ﴾(٣) ثم يتبع فى رده الخطوات الآتية :

أ- اعتمد على الإنجيل فى بيان خلق آدم بلا أب ولا أم ، وتساءل : لماذا لم يعبدوا آدم ويؤلهوه وألهوا عيسى حيث إن لحمه بمنزله تراب آدم ، ونفخ الروح واحد ؟

ب - بين أن عيسى كان محتاجا إلى الطعام والشراب كغيره من سائر الناس وكان يتغوط كغيره ولم يستطيع أن يبرأ من ذلك ويتنزه عنه .. وهذا لا يليق بإله ..

جـ - ذكر شواهد ودلائل من الانجيل على أنه نبى وليس إلها ، فمن ذلك : قوله : لم يقبل نبى من الأنبياء ... ، ونداء بعض تلاميذه له : " أيها المعلم الصالح " ، ودعاؤه أن يشرفه الله عنده ..

---

(١) سورة النساء آيتا : ١٥٧ ، ١٥٨ .

(٢) سورة النساء من آيه ١٧٢ .

(٣) سورة المائدة من آية ١١٧ .

د - الرد على تأليهه لأنه أحيا الموتى ، حيث نص الانجيل على أنه أيد بعض الحواريين بإحياء الموتى ، وجعلهم رسلا إلى الاجناس ويمنعون أن يكون الله قد أيده بإحياء الموتى وجعله رسولا كذلك . وأن بعض الانبياء قد أحيا الموتى - وهم يقرون بذلك - فلماذا يؤلهون عيسى ولا يؤلهون غيره ممن أيد باحياء الموتى ؟

ونوجز منهج الرد الذى التزمه ابو عبيده فى الخطوات الآتية :

١- البدء بمسلمات الخصم واعتماده عليه ، كمسلمات معلومة الجواب ولا خلاف عليها .

٢- إثبات بطلان التألية وإثبات نبوة عيسى ورسالته ، ثم أبطل الصلب وشكك فيه حيث إنه فى رسالة القسيس كان مقدمة لدعوته إلى الايمان بألوهية عيسى .

٣- الاعتماد فى بيان بطلان الدعوى بشقيها (الصلب والألوهية) على مناقشة نصوص العهدين القديم والجديد .

٤- الرد على عقيدة التثليث . وجره إلى الاعتراف بغموضها .

٥- الوصول إلى الغاية : إثبات الوحى ونبوة عيسى ، وأن الوحى من عند الله وعيسى رسول الله ايده الله بالمعجزات .

وقد اعتمد هذا المنهج على الأسلوب العقلى ، فهو مجادلة بالحسنى ونموذج جيد لما يجب أن تكون عليه دعوة غير المسلمين ، يعتمد على فهم عقيده الخصم وركائزها عنده والرد عليها بأسلوب منظم ملزم للخصم بالإقرار بالحق والانتهاء عن الباطل والتمادى فيه .

* * *

المبحث الثالث

(أمثلة لدعوة الملاحدة)

أ - من القرآن الكريم :

عدد الله من مظاهر حلقة فى الكون ما يبرهن على قدرته سبحانه ويثبت وجوده ووحدانيته ردا على من يدعو مع الله آلهة اخرى ، وأفحاما لمن ينسب وجود الكون إلى الطبع أو العلة من دعاة الإلحاد والضلال ، فساق من الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة ما يقرر للعالم كله أنه سبحانه وتعالى واجب الوجود متصف بكل كمال ومنزه عن كل نقص ومن تلك الأدلة : دليل الخلق (الاختراع)(١) (ودليل العناية) (٢) أوهما معا - فمن ذلك :

أ - قول الله تعالى : ﴿ إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى ذلكم الله فأنى تؤفكون . فالق الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم . وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون . وهو الذى أنشأكم من نفس واحده ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون . وهو الذى أنزل من السماء ماء فأحرجنا به بنات كل شىء فأخرجنا منه حضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخيل من طلعها قنوان دانيه وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير

---

(١) دليل الاختراع : ما يظهر لنا من أختراع جواهر الاشياء وإيجادها بعد أن كانت معدومة كخلق الحياة والادراكات الحية والعقل وسائر مكونات الحياة .

(٢) دليل العناية : طريق الوقوف على العناية بالانسان وخلق جميع الموجودات لاجله - وخلق كل مخلوق على الهيئة والصفة التى تناسب حياته ليستطيع مواصلتها .

متشابه انظروا إلى ثمرة اذا أثمر وينعه إن فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون ﴾ (١) ففى هذه الآيات يذكر الله من عجائب صنعه ما يعجز عن أدنى شىء منه آلهتهم بيانا لعجز تلك المعبودات من الآلهة المزعومة . وهو سبحانه يشق النواة الميتة فيخرج منها ورقا أخضر . وكذلك الحبة . ويخرج من الورق الأخضر نواة ميته وهذا معنى يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى . وقيل : يخرج البشر الحى من النطفة الميتة . والنطفة الميتة من البشر الحى (ذلكم الله) أى ذلكم المحيى المميت هو الذى يحق له العبادة فمن أين تصرفون عن الحق مع ما ترونه من قدرة الله .(٢) ومما قيل فى قول الله (يخرج الحى من الميت) يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن . وكل هذه الأمور مشاهدة لهم فاجتح عليهم بما يشاهدونه من خلقه لأنهم أنكروا البعث فأعلمهم انه الذى خلق هذه الاشياء فهو يقدر على بعثهم فهو الذى يحق له الربوبية لا الأصنام . وهو سبحانه خالق الاصباح من سواد الليل وجعل الليل مسكونا فيه يسكن فيه الخلق عن كد المعيشة . وجعل الشمس والقمر حسبانا أى جعلهما على حسبان لأن حساب الأوقات يعلم بدورهما وسيرهما وذلك كله من تقدير العزيز الذى قهرهما العليم بتدبيرهما وتدويرهما . وخلق النجوم للاهتداء بها فى ظلمات الليل فى البر والبحر و البحر وهذا يدل على دقة سيرها وتوجيهها وختم بقوله : (قد فصلنا الايات) اى الدالة على توحيدة لقوم يعلمون . وهو سبحانة خلقكم من نفس آدم فمستقر لكم فى الرحم . ومستودع فى الصلب . أو مستقر فوق الأرض . ومستودع تحتها ﴿ قد فصلنا الايات لقوم يفقهون ﴾ ومن مظاهر قدرته وأدلة عنايته وخلقه : إنزاله المطر من السحاب وإخراجه كل أنواع النبات من الخضر إلى الحب المتراكم كالسنبل الذى تراكب حبه . ﴿ والنخل من طلعها قنوان

(١) سورة الانعام من آية ٩٥ : ٩٩ .

(٢) أنظر تفسير القرطبى جـ ٤ صـ ٢٤٨٠ . وتفسير البيضاوى جـ صـ ٣١١ .

دانيه﴾ أى قريبة من المجتنى لانحنائها بثقل حملها أو لقصر ساقها ، وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه ، وقوله : (انظروا إلى ثمره إذا أثمر) اى انظروا نظر اعتبار وتأمل واستدلال إلى ثمره يخرجه ضعيفا لا ينتفع به ، وينعه ونضجه مما يدل على قدرة مقدرة ومدبرة وناقلة من حال إلى حال(١) ثم ختم الآية: ﴿ إن فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون ﴾ وبتأمل تذاييل الآيات الكريمة نرى ما يدعو إلى الإيمان والتصديق ، ففى الآيه الأولى وبعد ذكر النجوم واخراج الحى من الميت ﴿ قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون ﴾ لأن أمرها ظاهر واضح جلى ، وبعد الحديث عن خلق بنى آدم من نفس واحدة قال : قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون لآن إنشاء الإنس من نفس واحدة وتصريفهم بين أحوال مختلفة أدق وهو أمر غامض دقيق يحتاج إلى استعمال فطنة وتدقيق نظر ، والدلالة فى الآية الاولى أظهر ، وفى الثانية أدق وكان الفقة أنسب .

وفى الآية الاخيرة يقول : ﴿ إن فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون ﴾ أى لآيات وبراهين دالة على وجود القادر الحكيم وتوحيده ، فإن حدوث الأجناس المختلفة والأنواع المتقنة من أصل واحد ونقلها من حال إلى حال لا يكون إلا بإحداث قادر على تفاصيلها ويرجح ما تقتضيه حكمته مما يمكن من أحوالها ولا يعوقة عن فعله ند يعارضه او ضد يعانده ..(٢) فهذه مظاهر قدرته سبحانه وتعالى ، فهذا الخلق المتقن الدقيق الناطق بحكمه خالقه من خلق الحب والنوى وإنبات الأشجار المتنوعة وإخراج الحى من الميت والميت من الحى ، وهو خالق الليل والنهار بنظام دقيق وإحكام بديع مما جعلها اساساً وقاعدة فى حساب الزمن وأتقن سير النجوم وتوجيهها مما جعلها أساسا لتحديد الجهات فى السير فى البحر والاهتداء بها فى

---

(١) تفسير النسفى جـ٢ صـ٢٦ .

(٢) أنظر النسفى جـ٢ والبيضاوى جـ١ .

الاسفار فى ظلمات البر والبحر، ثم هذه الدقة المتناهية فى عالم النبات والأشجار المتنوعة والتى تخرج بماء واحد هو ماء المطر.. فهذه كلها أدلة ومشاهدات كونية على وجود الله ، وعلى قدرته ، ووحدانيته وسائر صفاته سبحانه وتعالى ، والا فمن الذى أوجدها ؟ ونظمها ؟ إن وجودها يدل على وجوده ، ونظامها يدل على وحدانيته ، والعناية فى خلقها تدل على علمه سبحانه وأنه متصف بكل كمال ومنزه عن كل نقص وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

ب- وقول الله تعالى : ﴿ وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾ (١) هذه الآية وردت فى سياق آيات عدة تذكر عدة مشاهد كونية فى السماء ، كرفعها من غير عمد وتسخير الشمس والقمر ، وفى الأرض كمدها وبسطها وجعل الجبال الرواسى ، والأنهار ، وأنبت فيها الثمرات المتنوعة وتعاقب الليل والنهار - وجعل إدراك وجود الله تعالى من ثمرات الفكر المنظم فقال إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ثم تأتى الآية التى نحن بصدد بيان دلالتها على وجود الله تعالى ووحدانيته ، فقوله تعالى (قطع متجاورات) اى متدانيات قريبة ترابطها واحد وماؤها واحد ، وفيها زروع وجنات ، ثم تتفاوت فى الثمار فيكون البعض حلوا والبعض حامضا ، والغصن الواحد من الشجرة قد يختلف الثمر فيه من الصغر والكبر واللون والطعم وإن انبساط الشمس والقمر على الجميع على نسق واحد ، وفى أوضح دليل على وحدانيتة وعظم صمدانيتة والارشاد لمن ضل عن معرفته فإنه نبه سبحانه بقوله : تسقى بماء واحد على أن ذلك كله بمشيئة الله وإرادته وأنه مقدور بقدرته وهذا أيضا أدل دليل على بطلان القول

---

(١) سورة الرعد آية : (٤) .

بالطبع ، إذ لو كان ذلك بالماء والتراب والفاعل له الطبيعة لما وقع الاختلاف ، وذهب الملاحدة لعنهم الله إلى أن كل حادث يحدث بنفسه لامن صانع وادعوا ذلك فى الثمار الخارجة من الاشجار وقد اقروا بحدوثها وأنكروا محدثها (١) وقوله تعالى :﴿ ونخيل صنوان وغير صنوان ﴾ .. أى نخلات أصلها واحد وغير صنوان اى متفرقات الأصول ﴿ تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل ﴾ فى التمر شكلا وقدرا ورائحة وطعما وذلك أيضا مما يدل على الصانع الحكيم فإن اختلافها مع اتحاد الأصول والأسباب لا يكون إلا بتخصيص قادر مختار.

يقول القرطبى : والدليل على أن الحادث لابد له من محدث : أنه يحدث فى وقت ويحدث ما هو من جنسه فى وقت آخر، فلو كان حدوثه فى وقته لاختصاصه به لوجب أن يحدث فى وقته كل ما هو من جنسه وإذا بطل اختصاصة بوقته صح أن أختصاصه به لأجل مخصص خصصه به لولا تخصيصه إياه لم يكن حدوثه فى وقته أولى من حدوثه قبل ذلك أو بعده ..."(٢) فتخصيص كل حادث بوقت ليحدث فيه ليس من فعل الطبيعة وإنما من فعل الله جل وعلا .. وهذا من متعلقات الإرادة فهى : تخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه من الأمور المتقابلة ، من الوجود والعدم ، وسائر الصفات كالبياض والسواد والمقادير كالطول والقصر ، والأزمنه والأمكنه.. (٣)

فمثلا اذا ولد طفل ذكر فى مصر يوم الجمعة صباحا ، فهنا نسأل من الذى خصص الطفل بالذكورة دون الانوثة ؟ وخصص مكان ولادته بمصر ولم تكن سورية أو العراق أو فرنسا ، ولماذا خصصه بالوجه البحرى دون القبلى وبقرية (كذا) دون

---

(١) انظر القرطبى جـ ٥ صـ ٣٥١١ .

(٢) تفسير البيضاوى جـ١ صـ٥٠١ .

(٣) انظر : شرح البيجورى على الجوهرة - صـ ٧٢ بتصرف شديد .

سائر القرى ؟ ولماذا : الجمعة ؟ ولم يخصصه بيوم آخر ؟ ولماذا صباحا ولم تكن فى آى وقت آخر، ولماذا كان طويلا ولم يكن قصيرا .. الخ فإرادة الله هى التى خصصت هذا المكن (وهو الطفل فى مثالنا) بالأمور التى تحققت عندميلاده وبالهيئة التى عاش عليها حياتة [١] فهذه كلها أمور حادثه أحدثها محدث وهو الله رب العالمين وفق علمه وإرادته وبقدرته، وليس بالطبع أو العلة كما يدعى الملاحده زورا وبهتانا

جـ - ومن ذلك قول الله تعالى :﴿ ألم نجعل الأرض مهادا . والجبال أوتادا وخلقناكم أزواجا . وجعلنا نومكم سباتا . وجعلنا الليل لباسا . وجعلنا النهار معاشا . وبنينا فوقكم سبعا شدادا . وجعلنا سراجا وهاجا . وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا . لنخرج به حبا ونباتا وجنات ألفافا ﴾ [٢] فهذه الآيات تبين البراهين الدالة على قدرته سبحانه على البعث ردا على من أنكره من الملاحدة والدهريين فاستدل بتلك الظواهر الكونية وقدرته عليها وحكمته فى إيجادها - وهذه أمور مشاهدة - على قدرته على البعث، فجعل الأرض فراشا فهى كالمهد بالنسبة للصبى، والجبال أوتادا لتسكن بها الأرض ولا تتكفأ بأهلها ﴿ وخلقناكم أزواجا ﴾ من قبيح وحسن، وقصير وطويل، وذكر وأنثى أو ألوانا لتختلف الأحوال فيقع الاعتبار فيشكر الفاضل ويصبر المفضول كما جعل النوم راحة لأبدانكم ومنه يوم السبت أى يوم الراحة فمعنى (سباتا) أى راحة، وجعلنا الليل لباسا أى تلبسكم فيه ظلمته وتغشاكم، وهو سكن لكم، وقد جعل (النهار معاشا) وقتا

---

(١) ويمكن تطبيق المثال السابق على كل الموجودات وهذا ما اشارت اليه آيه سورة الرعد (تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل) فالذى خص هذه الشجرة بان تكون حلوة المذاق، وتلك بان تكون حريفة المذاق - مع ان التربة واحدة والماء واحد - هو الله رب العالمين.

(٢) سورة النبا الآيات من ٦ : ١٦.

للمعاش ومنصرفا لطلب الرزق . فالمعاش هو كل ما يعاش به من المطعم والمشرب . وقوله (وبنينا فوقكم سبعا شدادا) أى سبع سماوات محكمات الخلق وثيقة البنيان . (وجعلنا سراجا وهاجا) أى وقادا وهى الشمس (وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا) والمعصرات هى الرياح اذ كأنها تعصر السحاب . وقيل : هى السحاب . وسميت المعصرات لأنها تمطر . والماء الثجاج هو الصباب المتتابع وهو المنصب . لنخرج به أى بالماء حبا كالحنطة والشعير وغير ذلك . ونباتا من الأب وهو ما تأكله الحيوانات من الحشيش . (وجنات الفافا أى بساتين) [1] ملتفه بعضها ببعض لتشعب أعضائها . وقيل : التقدير ونخرج جنات ألفافا ثم أن هذا الانضمام والالتفاف معناه أن الاشجار فى البساتين تكون متفارقة فالأغصان من كل شجرة يكون متقاربة لقوتها ... " [2] وذلك كقوله تعالى : ﴿ فلينظر الانسان إلى طعامه أنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الأرض شقا . فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا . وفاكهة وأبا متاعا لكم ولأنعامكم ﴾ [3] فهذا تذكير لهم ببعض ما عاينوا من عجائب صنعه الدالة على كمال قدرته ليستدلوا بذلك على صحة البعث [4] . وعن صلة الآيات بما قبلها وكونها دليلا وبرهانا على قدرة الله على البعث يقول الزمخشرى : فإن قلت كيف أتصل به قوله ﴿ ألم نجعل الارض مهادا ﴾ أى بالآيات السابقة التى أشارت إلى البعث - قلت : لما أنكروا البعث

---

(١) البستان : جنينه فيها نحيل متفرقة يمكن الزراعة بينها . والا كانت حديقة . والحديقة :" كل أرض ذات شجر مثمر ونخيل أحاط به حاجز" والغابة : هى الأجمة ذات الشجر الكثير المتكاثف " (انظر المعجم الوسيط جـ١) .

(٢) انظر تفسير القرطبى جـ١٠ صـ٦٩٦٦ .

(٣) سورة عبس آيات ٢٤ : ٣٢ .

(٤) انظر البيضاوى جـ٢ صـ٥٦٠ .

قيل لهم ألم يخلق من يضاف اليه البعث (وهو الله) هذه الخلائق العجيبة الدالة على كمال القدرة ؟ فما وجه إنكار قدرته على البعث ... [١] وكل هذه النماذج القرآنية تلفت أنظار هؤلاء المنكرين من الملاحدة والدهريين إلى مظاهر الكون الدالة على قدره خالقها ، والناطقة بوجوده سبحانه وتعالى ، إذ أن الكائنات محدثات أى وجدت بعد إن كانت معدومة ، فهناك من رجح وجودها على عدمها فى الوقت الذى وجدت فيه فأوجدها وأحدثها ، وذلك المحدث هو الله وهو واجب الوجود ، لأننا بالنظر والتأمل نرى أن العالم متغير ، موجودات تنعدم ، ومعدومات توجد ، فالحوادث تتوالى وتوجد ، ثم تنعدم وتزول ويأتى غيرها بعدها ... وهكذا فمانح الوجود لسائر الممكنات موجود ووجوده واجب لا أول له ولا آخر له " هو الاول والآخر " وإن فاقد الشيء لا يعطيه إذ كيف يعطى الوجود من ليس موجودا ؟ وهذا دليل الخلق ، وتلفت الآيات الأنظار إلى تأمل ذلك النظام البديع والإحكام الدقيق فى تسيير الكون ، من دقة تعاقب الليل والنهار وتوالى الأيام والسنين والشهور مما اعتبر قاعدة أساسية فى حساب الزمن ، وخلق النجوم والدقة فى اتجاهها مما جعل هاديه فى ظلمات البر والبحر ... وغير ذلك من المشاهدات الحية إذ لو اضطرب شئ من ذلك أو اختل لحدثت الفوضى فى الكون ولاضطرب النظام ، ولفسدت السموات والأرض ولكن بقاء الانتظام ودقته يدل على وجود من يدبر أمر هذا الكون ويسيره بقدرة قادره وإرادة حكيمة وعلم واسع شامل يعلم حاجات جميع الخلق فاعطى كل مخلوق مايناسب حياته ويصلح حاله فهو سبحانه ﴿ .. أعطى كل شئ خلقه ثم هدى﴾[٢] فالكون كله أثر من آثار القدرة الالهية وقد كان معدوما ثم وجد فهو حادث ، فمن الذى أحدثه ؟ يغالط رواد الالحاد والقائلون بالطبع والعلة من

---

(١) تفسير الكشاف جـ ٤ صـ ٢٠٧ .

(٢) سورة طه من آية : ٥٠ .

الدهريين وينسبون وجود الكون إلى الطبيعة ، فنجد القرآن يجادلهم فيقول تعالى : ﴿ أم خلقوا من غير شئ أم هم الخالقون . أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون﴾ (١) فحصر أسباب الخلق فى أمور ثلاثة:

١- أما أن يكون الشئ قد أوجد من غير موجد دون علة أو سبب وهذا مايبطله العقل والفطرة لأن العقل دائماً يربط بين النتيجة والسبب - وهذه الأسباب طرق خلقها الله للوصول إلى النتائج ، ولو انقطع السبب عن النتيجة صار الحدث أمراً خارقاً ودخل فى إطار المعجزات كعدم إحراق النار لإبراهيم عليه السلام مع وجود جميع الأسباب الطبيعية للإحراق .

والانسان بفطرته يربط بين الأثر والمؤثر ، فإذا دخل شخص حجرة مكتبه ، فوجد المكتب مقلوبا ، والكتب مبعثرة ، والكراسى ملقاة على الأرض ، فإن السؤال الذى يقفز دون أدنى تفكير ويعفويه كاملة " من الذى فعل هذا " ؟ فالسؤال عن الفاعل الذى أحدث هذه الفوضى والمؤثر الذى أحدث هذا الأثر ، وقس على ذلك العديد من الأمثله .

٢- وإما أن يكون الشئ قد أوجد نفسه ، وهذا ماترفضه الفطرة ويأباه العقل ، لأنه على فرض ذلك جدلا ، يلزم عليه مستحيل عقلى هو أن يكون الشئ متقدما على نفسه متأخراً عنها - ومثال ذلك (على) إنسان ولد عام ١٩٦٥ - فقبل هذا العام لم يكن موجوداً ، كقول الله تعالى ﴿ هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً ﴾ (٢) وبناء على هذا الافتراض الباطل أن يوجد على قبل عام مولده ليوجد نفسه فعلى الذى سيوجد " معدوم " وعلى الذى سيقوم

---

(١) سورة الطور ٣٥ ، ٣٦ .

(٢) سورة الانسان آية (١) .

بالايجاد ينبغى أن يكون موجوداً ، ويلزم على ذلك أن يكون " على " موجوداً معدوماً فى آن واحد وهذا مايرفضه العقل بل ويعجز عن تصوره .

وعلى ذلك فلا يمكن التصور أن الطبيعة هى سبب وجود الكون كما يدعى الطبيعيون ، مع أنها حادثة ولها محدث قديم مخالف لكل الحوادث ليس كمثله شئ ، متصف بكل كمال ومنزه عن كل نقص .

فهذان الافتراضان قد ظهر بطلانهما بمقتضى العقل والفطرة .

٣- بقى بعد ذلك : الافتراض الأخير ، وهو أن كل الموجودات لها موجد ينتهى اليه كل الخلق وله التدبير مخالف لكل ماسواه تتجلى مظاهر قدرته فى سائر خلقه، وكلها تنطق له بالوحدانيه والإرادة والعلم وسائر صفاته ، إنه الله رب العالمين.

وماسقناه من أمثله ونماذج قليل من كثير من آيات القرآن الذى لفت أنظار الخلق إلى تأمل قدره الخالق وتحكيم العقل ، والخروج من ذلك بالأدلة والبراهين على وجود الله ، وقد دعت آيات القرآن إلى تأمل الآيات الكونية والتفكير فيها والنظر إليها نظر اعتبار واستبصار ، فعلى الدعاة إمعان النظر فى تلك الآيات والاطلاع على تفسيراتها القديمة والمعاصرة ليخرجوا بمنهج دعوى للرد على الملاحده ومنكرى الدين الذين يجادلون فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير.

ب- نماذج وامثله متنوعة غير قرآنية لدعوة الملاحدة :

بعد أن بينا أسلوب القرآن الكريم فى دعوة الملاحدة ، والطريقة الرائعة التى يجادلهم بها ليصل بهم إلى حقائق التوحيد ، وأنه قد اعتمد فى ذلك على لفت الأنظار إلى تأمل مافى الكون من مظاهر القدرة الإلهية ، فبرهن على أنه سبحانه وتعالى خالق الكون واجب الوجود ، وأنه متصف بكل كمال يليق بذاته المقدسة ، وأن على الدعاه أن يسلكوا مسلك القرآن فى مجادلة دعاة الإلحاد بمختلف

اتجاهاتهم ومسمياتهم وفرقهم ويتخذوا منه منهجا لدعوتهم ، نعرض فى هذا المقام بعض النماذج لمجادلات عقلية مع الملاحدة لتقرير وجود الله تعالى عن طريق العقل ، والفطرة :

أ- حوار بين : " سقراط " (١) وبين " أرسطو ديموس " (٢) :وقد دار الحوار بينهما حول تأمل خلق الله واتقان صنعه والعناية به للوصول إلى الاقرار بوجوده سبحانه :

فقال سقراط : أيهما عندك أرفع شأنا ؟ أمن يصنع التماثيل العارية عن الحركة والعقل ، أم من يصور الأشباح الحية المتحركة ؟

فقال : من يصنع الصور الحية . اللهم إذا كانت تلك الصور من عمل المصادفة والاتفاق . لا من عمل العقل .

قال سقراط : إذا فرضنا أشياء لايظهر المقصود منها ، وأشياء أخرى بينة القصد والمنفعة ، فما قولك فى تلك الأشياء ، ما هى التى عندك من فعل العقل وما هى التى عندك من فعل الاتفاق ؟

قال : لاشك أن ما ظهر قصده ومنفعته من فعل العقل .

قال سقراط : أولست ترى أن صانع الإنسان فى أول نشأته جعل له آلات الحس لما فى تلك الآلات من المنفعة الظاهرة ؟ : فأعطاه البصر : والأذنين : ليبصر ويسمع ما يكون لعيشه صادقاً . وما فائدة الروائح لو لم تكن لنا الخياشيم وكيف ندرك المطاعم ونفرق بين المر والحلو والمز ، لو يكن لسان نذوق به ؟ إن بصرنا معرض للآفات : أو لست ترى كيف اعتنت القدرة الإلهية بذلك ؟ فجعلت الأجفان كالأبواب لتمنع ما

---

(١) من أشهر فلاسفة الاخلاق الاغريق عاش فى القرن الخامس قبل الميلاد وجاهد فى سبيل الحق حتى لقى مصرعه على أيدى حاسديه من أهل الباطل .

(٢) هو ايضا من الفلاسفة الاغريق وكان ينكر الاله (المنقذ من الضلال بتصرف) .

يصيب البصر ، وجعلت الأهداب كالمناخل لتقيها من أضرار الرياح . وما قولك فى آلة السمع ، وهى تقبل جميع الأصوات ولاتمتلى أبداً ؟ أما رأيت الحيوانات ، كيف رتبت أسنانها المقدمة ؟ وأعدت لقطع الاشياء فتلقيها إلى الأضراس فتدقها دقاً ؟ فإذا تأملت فى ترتيب ذلك أيمكنك أن تشك : هل هى من فعل الاتفاق أم من فعل العقل ؟

قال أرسطو ديموس : نعم إذا تفكرنا فى ذلك ، لانشك فى أنها من فعل صانع حكيم كثير العناية بمصنوعاته (من مخطوط "سنتلانا") . (١)

فإذا تأملنا هذا الحوار القديم بين هذين الفيلسوفين لظهر لنا جليا أن العقل ذا الفكر المنظم الخالى من التعصب يمكن أن يصل بصاحبه إلى الاقرار بوجود الخالق جل وعلا ، فبدأ من منطلق التسليم بأن الصنعة تدل على الصانع ، وأن دقة الصنعة وإحكام صنعها دليل على مهارة ذلك الصانع ومدى قدرته الفائقة على تحقيق ما أراد فى صنعته ولما أورد "ديموس" شبهة : أنها ربما تكون وجدت بالاتفاق والمصادفة ، وليس من العقل ، يسأله عن أشياء ظهر المقصود منها واتضحت فيها الحكمة من وجودها ، وأشياء لم يظهر المقصود منها فأيها من فعل المصادفة ، وأيها فعل العقل ؟ فيجعله يقر بأن ما ظهرت منفعته وقصده من فعل العقل ، وبعد ذلك الإقرار البين ينتقل إلى تأمل النفس وخلق الانسان فأبرز له الحكمة فى خلق أعضاء الإنسان : خلق العينين ، والأذنين ليبصر ويسمع ، فحكمة الخلق موجودة وواضحة هى الإبصار بالعينين ، والسمع بالأذنين ، والخياشيم للشم وإدراك الطعومات ، واللسان للذوق ومعرفة المزمن الحلو والملح من الحريف ، وترتيب الأسنان من قواطع وأنياب وأضراس فى أماكنها فى الفم لتقوم بعملها على أكمل وجه تقطع

---

(١) نقلا عن كتاب المنقذ من الضلال للغزالى "تعليق الدكتور عبد الحليم محمود صـ ١٠٩ ط دار الكتب الحديثة الطبعة الثامنة ١٩٧٤ .

الأشياء أولاً ، ثم تمزيقها ثم طحنها ثم بلعها ليسهل هضمها .. ثم يتبع ذلك بسؤال : إذا تأملت فى ترتيب ذلك هل هى من فعل الاتفاق (المصادفة) أو من فعل العقل؟ فإذا بأرسطو ديموس يقر بالنتيجة التى أوصله اليها سقراط فأجاب قائلاً : نعم إذا تفكرنا فى ذلك لانشك فى أنها من فعل صانع حكيم العناية بمصنوعاته .

وهذا الاقرار الأخير ثمرة لتأمل العقل فى خلق من خلق الله وهو الإنسان والحكمة الإلهية فى تركيب أعضائه ، حيث دلت على علم الله تعالى بحاجات خلقه فى حياتهم فاقتضت إرادته سبحانه تخصيص هذا الخلق بتلك الأمور وهذه الهيئة ليتمكن من مواصلة العيش والحياة ، وكذا لو تأملنا كل مخلوق لوجدنا أن الله تعالى خلقه على صفة يتمكن معها من الحياة والعيش فى البيئة التى نشأ فيها والذى ينفذ مقتضيات الإرادة صفة القدرة فدلت المخلوقات بما هى عليه من دقة الخلق وإحكامه على قدرة خالقها سبحانه ، ومع أن هذا الحوار متقدم على نزول القرآن إلا أنه جرى بمقتضى العقل والفطرة ، واعتمد فيه سقراط على دليل الخلق **والعناية حيث ركز على أن الصنعة تدل على صانعها ومدى قدرته ، ثم ارتقى إلى إظهار عناية الخالق بخلقه حيث وصلا فى الحوار إلى تحقيق قول الله تعالى: ﴿قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى﴾ (١) ووصل إلى ذلك من خلال تأمل النفس التى تتجلى فيها آيات القدرة الالهية كما فى قوله تعالى : ﴿ وفى الأرض آيات للموقنين. وفى أنفسكم أفلا تبصرون﴾ (٢) والتأمل وتحكيم العقل من المسلمات التى لاينكرها عاقل ، وقد اعتمد هذا الحوار الناجح على مسلمات عقلية وإقرارات فطرية فطر الله الناس عليها .**

---

(١) سورة طه آية : ٥٠

(٢) سورة الذاريات ٢٠ ، ٢١ .

ب- مناظرة للأمام ابى حنيفة مع بعض الدهريين :

وهذه المناظرة مع انها موجزة الا أنها تصل بالخصوم إلى المطلوب دون عناء وبلا أدنى محاولة للمغالطة . وفيها يروى عن إبى حنيفة رحمه الله تعالى أن قوماً من أهل الكلام أرادوا البحث معه فى تقرير وجود الله تعالى فقال أخبرونى قبل أن نتكلم فى هذه المسأله عن سفينة فى دجلة : تذهب فتمتلئ من الطعام والمتاع وغيره بنفسها وتعود بنفسها وتفرغ وترجع كل ذلك من غير أن يدبرها أحد فقالوا هذا محال لايمكن أبدا . فقال لهم : إذا كان هذا محالاً فى سفينة فكيف فى هذا العالم علوه وسفله (١) وقد رويت هذه القصة بطريقة أخرى : لما اراد الدهريون البحث مع أبى حنيفة ضربوا : لذلك موعدا وتعمد أبوحنيفة أن يتأخر عنهم وهم فى انتظاره معتقدين أنه يخشى الحوار ولما وصل إليهم متأخرا بعض الوقت عن الموعد سألوه عن ذلك . فأجاب : لقد انتظرت على الشاطىء لأركب سفينه إليكم فلم تأت أية سفينة . قالوا : وكيف جئت ؟ قال : لقد حدث عجب : رأيت بعض ألواح الخشب طافية على وجه الماء فاجتمعت وتراصت وتماسكت فركبت فوقها فاتجهت بى إلى هنا . فنظروا اليه شاكين فى قواه العقلية مرتابين فى أمره . وسألوه باستنكار : كيف تصنع السفينة ويجتمع الخشب بدون صانع أونجار ؟ وكيف تسير على الماء متجه إلى هنا بدون قائد أوربان ؟ قال أنتم تستنكرون أن يكون ذلك فى أمر السفينة فما بالكم بهذا الكون الفسيح كيف يوجد بدون موجد . وكيف صنع من غير صانع ؟! ومن يدبر أمره ويحفظ نظامه ؟

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية صـ١٨ جـ١ ط مكتبة المعارف بالرياض

فأقروا بوجود الله جل وعلا ، لأن الأثر لا بد له من مؤثر وأيا كانت رواية القصة فإن أبا حنيفة (١) رضى الله عنه بدأ حواره مع هؤلاء بانتزاع إقرارهم بأن كل أثر لا بدله من مؤثر ، وكل صنعة لابد لها صانع وكل تدبير لابد من مدبر ، وسحب هذا الاعتراف الذى تقتضيه الفطرة إلى الكون ، فبدأ معهم معتمدا على ما سلموا به عقلا ، وما يتوافق مع الفطرة الإنسانية ، مستخدما دليل العناية والخلق ، حيث إن العالم يحتاج إلى موجد ، وإلى مدبر حكيم .

جـ - اجابة الأمام الشافعى من سألوه دليلا على وجود الله :

فقد روى أن الإمام الشافعى رضى الله عنه سئل يوما : ما الدليل على وجود الله ؟ فقال : ورقة الفرصاد (التوت) طعمها ولونها وريحها وطبعها واحد عندكم ، فقالوا : نعم ، فقال : فتأكلها دودة القز فيخرج منها ابريسم (الحرير) ، وتأكلها النحل فيخرج منها العسل ، وتأكلها الشاة فيخرج منها البعر ، وتأكلها الظباء فينعقد فى نوافجها المسك ، فمن الذى جعل هذه الاشياء كذلك مع أن الطبع واحد ؟ فاستحسن سائلوه ذلك منه واسلموا " (٢) فساق الأمام الشافعى الدليل من الواقع المشاهد الملموس الذى لا مجال لإنكاره ولا المراء فيه ، فإن ورقة التوت معلومة وأكل دودة القز لها وإخراجها حريرا ، وأكل النحلة لها وإخراجها عسلا ، وأكل الشاة لها وإخراجها بعراً واكل الظبى لها وانعقادها مسكا كل هذه الأمور مشاهدة معلومة للسائلين ، ولو كانت الطبيعة هى الفاعلة كما يدعى الملاحدة ومنكرو وجود الله لكان الخارج من كل الحيوانات التى أكلت ورقة التوت واحداً ولكن نجد نفس الورقة تارة تخرج حريرا ، وتارة أخرى تخرج عسلا ، وتارة ثالثة

(١) تروى هذه القصة أحيانا منسوبة إلى غير ابى حنيفة ، ولكن ما يهمنا هو براعة ما فيها من الاستدلال على وجود الخالق وإفحام الخصم .

(٢) انظر : الدعوة فى عصر النبوة - د/ أحمد غلوش صـ ١٧ مطبعة المدنى ١٩٧٢ .

تخرج بعرا وفضلات وأخيرا تخرج مسكا ، والسؤال هنا من الذى حول الورقة ذات الطبيعة الواحدة إلى كل هذه المنتجات التى تنوعت إلى منتجات للمأكل كالعسل ، والملبس كالحرير ، والسماد كالبعر ، والطيب كالمسك - فالذى خصص كل هذا إرادة الله سبحانه وتعالى وبقدرته عز وجل ، وهو سبحانة مدبر الأمر ، العليم بحاجات خلقة فهو واجب الوجود لأن مظاهر قدرته وحكمه اراد ته التى تتجلى فى خلقة دليل على وجوده ، واتصافه بكل كمال وتنزهه عن كل نقص ، وتعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا .

د - رد على القائلين بارتباط الكون بقوانين الطبيعة :

وهذا أورده وحيد الدين خان عندما بين أن قضية معارضى الدين تقوم على أسس ثلاثة ، أولهما : أن كل ما يحدث فى الكون من الأرض إلى السماء خاضع لقانون معلوم سموه (قانون الطبيعة) .

والثانى : أن الدين نتاج اللاشعور الإنسانى وليس انكشافا لواقع خارجى ، وأن الإله ليس سوى انعكاس للشخصية الإنسانيه على شاشة الكون وما عقيدة الدنيا والآخرة إ لاصورة مثالية للأمانى الإنسانيه وما الوحى والإلهام إلا إظهار غير عادى لأ ساطير الأطفال المكبوتة .

والثالث : هو التاريخ حيث إن القضايا الدينية وجدت لأسباب تاريخية أحاطت بالإنسان فلم يكن باستطاعته أن يفلت من السيول والأعاصير والزلازل والأمراض فأوجد قوى فرضية يستغيثها لتنقذه من البلايا النازلة فاستغل اسم (الاله) الذى

تفوق قوته قوة الانسان . فأسس المعارضة هى الطبيعة ، وعلم النفس والتاريخ ، وقد رد عليها جميعا ونقدها (١)

ولكننا سنكتفى بتلخيص رده على الاساس الأول : وهو ارتباط الكون بقانون الطبيعة .

وتقرير ذلك : أن القائلين بعدم وجود إله يفسرون كل ما يحدث فى الكون إنما يحدث طبقا (لقانون الطبيعة) فليست هناك حاجة لأن نفترض لهذه الحوادث إلها مجهولا ، ويتمثل الرد فى عدة نقاط :

١- مفهوم الطبيعة : إن الطبيعة حقيقة من حقائق الكون وليست تفسيرا له ، لأن ما كشف مما يسمى بقانون الطبيعة ليس بيانا لأسباب وجود الدين إذا أن الدين يبين لنا الأسباب والدوافع الحقيقية التى تدور" وراء الكون " وما كشفوه هو الهيكل الظاهر للكون ، وإن العلم الحديث تفصيل لما يحدث ، وليس تفسيراً لهذا الأمر الواقع وكل مضمون العلم أجابة عن السؤال " ما هذا ؟ " ولكن ليس إجابة عن سؤال " لماذا " ؟ فالعلم إذا أن يبين المشاهدات والمخلوقات ويعرف بها ، ولكن لا يبين السبب وراء وجودها . ولنضرب لذلك مثالا فالكتكوت يعيشن أيامة الأولى داخل قشرة البيضة القوية ، ويخرج منها بعد ما تنكسر مضغة لحم ، كان الإنسان القديم يؤمن بأن الله أخرجه ، ولكننا شاهدنا اليوم بالمنظار أنه فى اليوم الحادى والعشرين يظهر قرن صغير على منقار الكتكوت يستعمله ، فى تكسير البيضة لينطلق خارجا منها ثم يزول هذا القرن بعد بضعة أيام من خروجه من البيض .

---

(١) أنظر الرد مفصلا فى كتاب : الإسلام يتحدى ، مدخل علمى الى الايمان - تأليف وحيد الدين خان ، ترجمه الى الأورديه ظفر الدين خان - ط المختار الإسلامى للطباعه والنشر والتوزيع ط رابعه ١٩٧٣

يدعى المعارضون أن هذه المشاهدة وذلك الكشف أبطل فكرة أن الإله يخرج الكتكوت من البيضة ، إذ رأينا يقينا أن قانون الواحد وعشرين يوما يحدث هذه العملية .

ولكن هل هذا الادعاء صحيح ؟ والجواب بين واضح لأن المشاهدة الجديدة لا تدلنا على السبب وإنما هى فقط بيان لحلقة جديدة لما حدث فلا تكشف عن سببه الحقيقى ، وأصبح السؤال لا عن تكسر البيضة ولكن عن القرن ، ويتجلى الجواب ويتضح عندما نسأل عن العلة التى جاءت بهذا القرن ، فلا شك بأن من جاء بالقرن على معرفة كاملة بأن الكتكوت سوف يحتاج إلى هذا القرن فالكشف العلمى هنا المشاهد بالمنظار هو مجرد مشاهدة للواقع على نظام أوسع وليس تفسيرا له " فان الطبيعة لا تفسر شيئا من الكون وإنما هى نفسها بحاجة إلى تفسير " أى تفسير لوجودها وسببه ولو أنك سألت طبيبا : ما السبب وراء احمرار الدم ؟

لأجاب : لأن فى الدم خلايا حمراء حجم كل خلية ١/٧٠٠ من البوصة

س - ولكن لماذا تكون هذه الخلايا حمراء ؟

جـ - فى هذه الخلايا ماده تسمى (اليموجلوبين) وهى مادة تحدث لها الحمرة حين تختلط بالاكسجين فى القلب .

س : من أين تأتى هذه الخلايا التى تحمل (الهيموجلوبين) ؟

جـ - انها تصنع فى كبدك .

س - ولكن كيف ترتبط هذه الأشياء الكثيرة من الدم والخلايا والكبد وغيرها ، بعضها ببعض ارتباطا كليا وتسير وراء أداء واجبها المطلوب بهذه الدقة الفائقة ؟

جـ - هذا ما نسمية بقانون الطبيعة

س : ولكن ما المراد بقانون الطبيعة هذا ؟

جـ- المراد بهذا القانون هو الحركات الداخلية العمياء للقوى الطبيعية والكيماوية"(١)

س - ولكن لماذا تهدف هذه القوى دائما إلى نتيجة معلومة ؟ وكيف تنظم نشاطها ، حتى تطير الطيور فى الهواء ، ويعيش السمك فى الماء ويوجد إنسان فى الدنيا بجميع ما لديه من الإمكانيات والكفاءات العجيبة المثيرة ؟

جـ - لا تسألنى عن هذا فإن علمى لا يتكلم الا عن (ما يحدث) وليس له ان يجيب : (لماذا يحدث) ؟

يتضح من هذا الحوار المفترض بين شخصين أحدهما طبيب أن العلم بكل أكتشافاته يبين لنا الكثير من الأشياء التى لم نكن نعرفها ، ولكن ومع كل الكشوف العلمية ، تبقى الحاجة إلى الدين ملحة وضرورة فطرية ولو أن الكشوف زادت عما هى عليه مليون مرة فسوف تبقى حاجة الإنسانية إلى الدين ، لأنه يجيب عن سؤال آخر غير ما يجيب عنه العلم ، وما الطبيعة إلا أحد عناصر الكون التى يحتاج وجودها إلى تفسير لا يجيب عنه إلا الدين والعقيدة .

ويتدرج " وحيد الدين خان " فى الرد بعد أن بين المقصود بالقوانين الطبيعية ، وأنها لا تكشف عن سبب وجود الكون بنظامه البديع وإحكامه الدقيق ، فيعتبر أن الطبيعة ذاتها تشهد بوجود الله جل وعلا

٢- الطبيعة تشهد بوجود الاله : فيقرر أن الخلق دليل على الخالق وأن أكبر دليل على وجود الإله هو مخلوقه الذى نجده أمامنا وأوثق ما علمنا من حقائق الطبيعة يدعونا إلى الايمان بأنه لا ريب أن لهذه الدنيا إلها واحدا ، ونحن لا نستطيع أن نفهم

---

(١) الطبيعة : معناها السجيه ، ومزاج الانسان المركب من الأخلاط ، والقوة السارية فى الاجسام التى يصل بها الجسم إلى كماله الطبيعى وعلم الطبيعة : علم يبحث عن طابع الاشياء وما اختصت به من القوة .

أنفسنا ونفسرها بله الكون كله مجردين من الإيمان بوجود الإله . وأن وجود الكون والنظام العجيب الذى اشتمل عليه وأسراره الدقيقة ، لا يمكن تفسير ذلك كله إلا بأنه خلقته قوة ، وأن هذه القوة (عقل) لا حدود له ن وأنها ليست بقوة عمياء .

ولان الكون موجود بالمشاهدة . فإن وجوده يدل على وجود خالقه القادر ، فإذا آمنا بوجود الكون فلابد أن نؤمن بوجود إله هذا الكون منطقيا إذ لا معنى لأن نؤمن بالمخلوق ونرفض وجود خالقه ، ونحن لا نعلم أن شيئا جاء إلى الوجود من العدم دون أن يخلق ، فكل شىء مهما يلغ حجمه عظم أم صغر جل أو أدق ، وراءه علة ، فكيف نؤمن بأن كونا عظيما مثل كوننا جاء إلى الوجود ذاتيا دون خالق ؟ وذكر (جون ستيوارت مل) فى سيرة حياته أن أباه قد علمه أن سؤال : " من الذى خلقنى " لا يكفى لإثبات وجود الإله إذ ينجم تلقائيا سؤال :" عمن الذى خلـــق الإله ؟" وقد اعتبر (برتراندر سل) هذا الاعتراض الثانى كافيا لرفض مدلول السؤال الأول هذا .. وان " قانون الطاقة المتاحة " يثبت أن الكون لا يمكن أن يكون قديما أزليا ، كما أن خالق الكون قديم ، وأن الازلى هو الخالق لا المخلوق وتقرير ذلك : أن الحرارة تنتقل دائما من " وجود حرارى " إلى " عدم حرارى " والعكس غير ممكن وهو أن تنتقل هذه الحرارة من " وجود حرارى قليل " أو " وجود حرارى عدم " إلى وجود حرارى أكثر ، وبناء على هذا الاكتشاف فإن عدم كفاءة عمل الكون يزداد وحينذاك لا تبقى أية طاقة مفيدة للحياة والعمل وسيترتب على ذلك أن تنتهى العمليات الكيماوية والطبيعية وتنتهى تلقائيا مع هذه النتيجة " الحياة " وانطلاقا من هذه الحقيقة القائلة بأن العمليات الكيماوية والطبيعية جارية وأن الحياة قائمة يثبت لنا أن الكون لبس بأزلى أذ لو كان أزليا لكان من اللازم أن يفقد طاقته من زمن بعيد بناء على هذا القانون ولما بقى فى الكون بصيص من الحياة .

والنتيجة كما يذكرها وحيد الدين خان نقلا عن عالم أمريكى هو ألاستاذ (ادوارد اوثر كمسيل) : اثبتت البحوث العلمية - دون قصد - أن لهذا الكون " بداية " فأثبتت تلقائيا وجود الإله ، لأن كل شىء ذى بداية لا يمكن أن يبتدىء بذاته ولا بد أن يحتاج إلى المحرك الأول الخالق الإله . (١)

وبما أن الكون ثبت أنه حادث وغير أزلى ، لتغيره وحدوثه ، فله خالق ومحدث وسبب أول لوجوده رجح وجوده على عدمه ، وأن هذا الخالق ليس كخلقه ﴿ ليس كمثله شىء وهو السميع البصير ﴾ فإن الصانع ليس كصنعته ، والله تعالى متصف بكل كمال يليق بذاته المقدسه وكل شواهد الكون ناطقة بوجوده وقدرته وسائر صفاته وما يقال عنه " قوانين الطبيعة " لانتظامها وثباتها إنما هو من تدبيره سبحانه ، فهو مظهر علمه وقدرته وإرادته ودقة تدبيره - فلها مدبر ومحدث ومنظم حكيم ، ولما لم يريدوا الاعتراف بوجود الله مع وضوحة وركوزه فى الفطرة الإنسانية أسموها " قوانين طبيعية " فهو مظهر من دقة الخلق ، ولكن ليست أسبابا فى الخلق ولا تفسر وجوده (اى وجود الكون) .

ويقول الغزإلى فى الإحياء :" اعلم أن أظهر الموجودات وأعلاها هو الله تعالى ، وكان هذا يقتضى أن تكون معرفته أول المعارف وأسبقها إلى الافهام وأسهلها على العقول " فحينما يأتى الفلاسفة قديما وخاصة الفلسفه اليونانية التى شغلت بمسأله ما وراء الطبيعة أو الميتا فيزيقا ، فمن الذى قال لهم إن وراء الماده شىء يجب أن يبحثوا عنه ؟ من أين أدركوا أن وراء المادة ما يجب أن يبحثوا عنه ... إذن ففطرتهم ووجدانهم يقر ويعلم أن هناك شيئا وراء الكون وليس من الممكن أن يكون هذا الكون لحاله فلابد أن يكون هناك شىء خلف الطبيعة فبحثوا ووجهوا

---

(١) انظر الاسلام يتحدى - وحيد الدين خان صـ٥٠ بتصرف خفيف .

فكرهم إلى الطبيعة " (١) والإحساس بوجود الله إحساس فطرى مركب فى نفس الإنسان . وفى رد وحيد الدين خان على أولئك القائلين بإن الكون موجود بما يسمى " قانون الطبيعة " وبينه ، وأكد أن القوانين هذه تقرر الموجودات فعلا ، وأن كل الكشوف العلمية تقرر ما يحدث بالفعل وتتحدث عنه بدقه بالغه ، ولكن لا تفسر سبب حدوثه ، ولا العلة فى وجوده ، فهى تجيب عن سؤال ماذا يحدث ، لا عن لماذا يحدث ؟ وعلى ذلك فإن هذه القوانين الثابتة المنتظمة المطردة تحتاج وجودها هى الأخرى إلى تفسير.

٢- وبما أن الطبيعة لا تفسر وجود العالم فإنها هى الأخرى تشهد بوجود الإله ، ويؤكد ذلك بما يعرف بقانون " الطاقة المتاحة " فيستشهد على أن الكون حادث ولا يمكن أن يكون أزليا - وهذا القانون من مسلمات العلم ومن تقريرات العلماء .

٣- وبما ان العلم قرر وشهد بعدم أزليه الكون أى أنه حادث - كان معدوما ثم وجد- ، فوجوده له بداية ، فلا بد من موجد ولا بد من المحرك الأول لأن كل شىء ذى بداية لا يمكن أن يكون مبتدئا بذاته بل إن له موجدا رجح وجوده على عدمه فأوجده ، وهذا الموجد هو الله سبحانه .

٤- وهذا الموجد جل وعلا ليس كسائر الموجودات ، فهو خالق الخلق والكون كله صنعته ، ومما هو مقرر فى الاذهان والعقول أن الصانع غير المصنوع فى كل الصفات ، فبدءا ليس النجار الذى صنع الكرسى وزخرفه مثل الكرسى ، وصانع السياره ليس مثلها وصانع الحاسب الآلى والعقل الالكترونى ليس مثلها ، وإنما فقط جودة الصناعة ، ودقتها على مهارة الصانع ودقته فى تنفيذ ما يريد ، والعالم بما فيه من خلق محكم وإبداع دقيق وحكمة بالغة وحياة بينه يدل على قدرة خالقه

(١) عقيدة المسلم - الشيخ محمد متولى الشعراوى - صـ ٣٦ .

وعلمه وإرادته وأنه تعالى متصف بكل كمال ومنزه عن كل نقص ، وهو سبحانه ليس كمثل خلقه فالكل من إبداعه ﴿ليس كمثله شىء وهو السميع البصير﴾ (١)

وبعد .. فهذه نماذج لدعوة الملاحدة وأنهم يناقشون بدءا من مسلماتهم ومقرراتهم ، مع الاعتماد على العقل الحر الخالى من التعصب والغرور فهذا هو منهج القرآن فى دعوتهم ، كما أن ما سقناه من نماذج ليس على سبيل الحصر وإنما مجرد أمثلة للتوضيح والاستشهاد فليرجع من يشاء إلى الدراسات التى تناولت الآيات الكونية وأبرزت ما فى تلك الآيات من دلائل على وجود الله وقدرته وسائر صفاته .

وأخيرا فإن النماذج التى سقناها لمناهج دعوة المسلمين وغير المسلمين فى مواضعها فى هذه الفصول فإن الغاية من ذكرها أن تكون أمثلة يحتذيها الدعاة الى الله ويستفيدون منها ويستنيرون بها فى ممارستهم الدعوة الى الله تعالى ، وليطوروا فيها ويضيفوا إليها أو يحذفوا منها أو ينشئوا غيرها حسب مقتضيات ما يصادفهم من أحوال التبليغ ومخالفات المدعوين وعقائدهم الدينية وركائزهم النفسية ، فعلى الدعاه إلا يحبسوا أنفسهم فى أسلوب واحد أو منهج واحد وليكن ذلك منهم مسايرا لمقتضيات ومتطلبات عمليات التبليغ المسايره لتجدد الأحداث وتغير الظروف مع المحافظة على الأصول الدعويه العامة التى رسمها القرآن

* * *

---

(١) سورة الشورى : ١٠ .

الفصل الخامس

الداعى إلى الله بين الإعداد والتطبيق

*المبحث الأول :

تأهيل الداعى لحمل الرسالة وتبليغها

* المبحث الثانى

تدريب الدعاة عملياً على تبليغ الدعوة

المبحث الأول

(تأهيل الداعى لحمل الرساله وتبليغها)

بعد أن تعرفنا على مناهج دعوة المسلمين وغير المسلمين ، وعرضنا أهم طرق دعوة كل منهم . فإن ما ذكرناه ووضحناه قد لا يتعدى كونه مجرد جانب نظرى يحتوى على تعريفات واصطلاحات وقواعد ...

ولكن غايتنا من هذه الدراسة هو الجانب العملى فى الدعوة والتبليغ وتطبيق المناهج بأساليبها المتاحه والمتطورة التى تساير سرعة الإيقاع فى الحياة اليومية ، والتى تطرح على مسرحها القضايا المتجددة والمتنوعه وتنتظر وجهه النظر الإسلامية فى كل منها ، هذا جانب ، وهناك جانب آخر وهو ما يحلو لبعض أصحاب الأقلام والأفكار الخاطئه من المستشرقين وتلاميذهم حيث يثيرون ويرددون شبهات حول بعض حقائق الإسلام وأصولة ، أو حول شخص الرسول صلى الله عليه وسلم ، والقرآن الكريم ...

وكلها مبنية على مغالطات وتأويلات من عقولهم السقيمه وقلوبهم المريضه يهدفون من ورائها إلى تشكيك عوام المسلمين ، فى دينهم ولإضعاف ما يتزودون به من طاقه روحية ، ووحدة وجدانية وبالتالى إزالة الرابط النفسى القلبى الذى تقوية العقيدة وسائر العبادات المبنية على كتاب الله وسنة رسله صلى الله علية وسلم ، مع وجود القدوة العلمية الحسنه والأسوة الصالحة فى رسول الله علية وسلم وصحابته رضوان الله عليم ....ويهدف أصحاب هذه الأقلام وتلك الأفكار إلى فرقة الأمة وشتات رأيها وأختلاف كلمتها . وهناك جانب آخر وهو أنه قد يأتى مسلم أو غير مسلم ولدية شبهة حول أمر معين من أمور الدين ويريد إزالتها من نفسه وهذا يحتاج إلى معرفة الخطإ الذى قامت عليه هذه الشبهة حتى يمكن الرد عليها وإزالتها فيعود المسلم إلى دينه ، وغير المسلم قد يسلم عندما تصحح لة فكرتة . وإذا

اعتبرنا أن الشبهة - داء ومرض أصاب الشخصين فإن العلاج والدواء لكل منهما غير الآخر، فمسلمات المسلم، غير مسلمات الكافر، وأساليب الخطاب والإقناع مختلفة مع كل منهما وعلى ذلك فإن من يحمل الدعوة ويتصدى للتبليغ يجب أن يكون مؤهلا لتلك الوظيفة الشاقة والمهمة العظيمه التى حمل أعباءها رسل الله صلوات الله عليهم على مر الزمان إلى أن أكمل الله الدين وأتم النعمه على عبادة ببعثة خاتم النبيين وسيد المرسلين رسول الله محمد صلى الله علية وسلم.

وتأهيل الداعي وإعدادة في رأيي ينبغي أن يكون كما يلي

١- الأختيار الدقيق لمن يحمل الدعوة

وأعنى بهذا أن يتم اختيار راغبى دراسة الدعوة وتبليغها من ذوى السيرة الحسنه، والسلوك الطيب، وأن يكون سليم النطق ليس فى مخارج حروفة خلل أو عيب فادح يتعثر معه الكلام والبيان، ومتمتعا بذاكرة قويه(فوق المتوسط) وأن تكون لديه الرغبة للقيام بمهمة الدعوة والتبليغ بحب واقتدار، ولديه القدرة على الابتكار والتجديد فى وسائل التبليغ وأساليبها، أى أن له عقلية خلاقة معاصرة - لا متوقفه جامدة ...

٢- التكوين العلمي والإلمام بدعوتة التي يبلغها

وهذا يستدعى أن يلم الداعي بأصول دينه وقواعده وكل ما يحتوى عليه الإسلام من عقيدة وشريعة وأخلاق - فالإسلام هو موضوع دعوته من حيث تبليغة للناس ودعوتهم إلى اتباعة وتطبيقه فى واقع الحياه، فيلم بالتفسير، والحديث، والتوحيد والفقه (المذهبى والمقارن).

ويلم كذلك بسيرة النبى صلى الله عليه وسلم، والخلفاء الراشدين باعتبار أن أفعالهم سنة تتبع، وفى عهدهم طبق الإسلام فى كل جوانب الحياه الاقتصادية والعسكرية والإدارية والسياسية .... الخ، ويدرس التاريخ الاسلامى، وما ظهر من

فرق ومذاهب منسوبه إلى الإسلام وما تقوم عليه من دعاوى وأفكار صحيحة أو باطلة . ويلم بما يثيره المستشرقون والمشككون من شبهات حول الاسلام - ومعرفة الردود عليها وكذا مغالطات دعاوى الإلحاد ، كالماركسية ، والعلمانية وما على شاكلتها وطريقها من إنكار الغيب والألوهية والدين ، وعقائد الإشراك ، والوثنية .... وألا يقتصر فى ذلك على مجرد الدراسة والعلم فقط بل ينبغى أن يعلم بدقه ووضوح الردود على ما فيها من ضلالات وأباطيل ليستخدمة عند اللزوم.

٣- التكوين العلمى التبليغى : ونعنى بذلك تزويد الداعى بالعلوم المعينه له فى تبليغه الدعوة - ولأن الدعاة يعتمدون فى دعوتهم على وسيلة القول غالبا فيدرس العلوم التى تعينه على التعبير والإبانة كالنحو والصرف ، ولأنه يصادف أصنافا مختلفه من المدعوين فيدرس علم النفس العام ، وعلم نفس الدعوة وعلم الاجتماع ، وبما أن الداعى يحتاج إلى رسم خطط دعوية ومناهج تبليغ لتحقيق الغاية والهدف من الدعوة - فيدرس علم الدعوة بفروعه المختلفة : مناهج الدعوة حيث يتعرف من خلاله على مراحل تبليغ الرسل دعواتهم حتى وصلوا إلى الغاية وحققوا ما أرادوا والخطوات التى التزموها وساروا عليها حتى من الله عليهم بالنصر على الباطل وأهله .

تاريخ الدعوة : حيث يلم من خلاله بما صادف الدعاة من معارضات وعقبات فى تبليغهم الدعوة فيستفيد من مواقفهم من تلك الأحداث فى دعوتة المعاصرة .

وفقة الدعوة : ليستطيع أن يرتب أولويات دعوته وتقدير حالة مدعويه وماهم عليه وما يناسبهم من طرق الدعوة واختيار العلاج الملائم لأمراضهم السلوكية والعقدية فإن ما يصلح لفرد لا يصلح لآخر.. وهذا ما يقدره الداعى الفقيه .

وأصول الدعوة : التى يتعرف من خلالها على أصول دعوتة التى يبلغها وأصول تبليغه تلك الدعوة إلى الناس فإن للتبليغ أصولا وقواعد على الداعى معرفتها والإلمام

بها – وكل هذا من خلال الكتاب والسنة وكذا دعوات الرسل ، وينبغى أن يدرس الداعى من المواد والعلوم ما يربطة بالحاضر واوقع المسلمين فى العالم المعاصر ليكون على علم ودراية بمستجدات الدعوة وبالتالى يتهيأ تفسيا لها للرد على ما فيها أو لتأكيد الصواب منها ، وينبغى أن يلم الداعى بوسائل الاتصال الحديثة بجانب الوسائل التقليدية ليستفيد منها فى التبليغ وحتى لاي شكل جهله بها مشكله فى التبليغ وليستطيع مواكبة التطور، خاصة وأن ديننا لا يحجر على العقل ولا يجمدة وأنه يجمع بين الأصاله والمعاصرة .

****

المبحث الثاني

(تدريب الدعاة عمليا على تبليغ الدعوة)

بعد أن بينا فى المبحث السابق ما يجب مراعاتة فى اختبار الداعى إلى الله ليستطيع تبليغ الدعوة ومواجهة أعاصير الحياه الدعوية ، وما ينبغى أن يلم به من علوم أساسيه هى أصول الاسلام ومصادر أحكامه كالتفسير والحديث والعقيدة والفقه وغيرها ... وهذا هو المبلغ إلى الناس المدعو إلية (موضوع الدعوة) ، علم الجدل وعلوم تساعدة على التبليغ كعلم الدعوة بفروعة وعلم النفس والاجتماع وهذه علوم التبليغ والدعوة .... فإننا فى هذا المبحث سوف نعطى خطة لتدريب الدعاة على تطبيق مادرسوه من علوم الدين وعلوم الدعوة والتبليغ كمناهج الدعوة وأساليبها ووسائلها وهذا يأتى بعد مراعاة الجانب النظرى والوعى التام بفرعى الدعوة : الدين والتبليغ .

وتصورى لهذا التدريب أن يكون على مستويات ترقى بالداعى من الأدنى الى الأعلى على النحو التالى

أولا : الجانب النظرى :

١- الاطمئنان على إلمامه بمناهج الدعوة وأساليبها ووسائلها : وذلك بتكليفه بإعداد دعوة إلى موضوع من موضوعات الدين ، يوجهها إلى طائفة معينه من المدعوين يكون ذلك كتابة - مذيلا ما كتبه بشرح دعوته ، مع إبراز سبب اختياره لها ، وكذلك يحدد الوسيله التى اتبعها فى دعوته شارحا علة اختياره لها دون غيرها من الوسائل .

٢- تحديد مخالفة شريعة فى مجتمع معين ، ويطلب منه وضع تصور وتحديد منهج لإزالتها وتغييرها : ويناقش فى خطوات منهجه وترتيبه تلك الخطوات ، ولماذا قدم هذه على تلك ؟ وفائدة ذلك لدعوته وتصوره للزمن ذلك .

ثانيا : الجانب العلمى :

١- مستوى المسجد للتدريب الجزئى :

وذلك بتشكيل مجموعات من الدعاة يوزعون على بعض المساجد الصغيرة والمتوسطة - ويتعرفون على نوعيات جمهور المسجد - ويحدد كل داع أسلوب دعوته بناء على ما عرفه من نوعية الجمهور ، كما يحدد موضوع حديثه ثم ينفذ ذلك عمليا ، ويكون ذلك تحت إشراف دقيق ، إما بحضور الأستاذ المدرب أو نائبة ، وإما بتسجيل الدعوة (درسا او خطبه او محاضره) على مسجل ثم تعرض على المشرف وبقية الدارسين لبيان ما التزمه الدارس فى دعوته من الأساليب التى حددها ، لعرض موضوع الدعوة وتدارك ما قد يكون وقع فيه من أخطاء فى التطبيق ليحذرها ويستفيد منها غيره من المتدربين .

٢- **مستوى التدريب الكامل** : وهذا يتحقق عن طريق تحديد بعض المخالفات الشرعيه كالبدع والمنكرات التى تشيع فى بعض المجتمعات ..... وإعداد قوافل دعوة إلى هذه الأماكن والإقامه الكاملة لأعضاء القافله بين أهل القرى والأحياء بالمدن ويكلف المتدربون بدراسة المخالفة من حيث الاتفاق أو الاختلاف على كونها مخالفة ، وتحديد أسبابها وظروف وقوعها - ومعرفة طباع المدعوين (المخالفين) ومدى إجماعهم على ارتكابها من عدمه ، ووضع خطة منهجية لإزالتها وتحديد الخطوات اللازمة لذلك - ثم بدء التنفيذ .

ويمكن تعدد مجموعات الدعاة بتعدد الأماكن والمخالفات ، ويمكن كذلك أن تتوارد عدة مجموعات على مكان واحد لتقيم كل مجموعة مدة من الزمن تحقق فيها

خطوة من خطوات التغيير ، بشرط أن تكون المجموعات متصلة وعلى علم كامل بأعمال كل المجموعات فى مكان المخالفة فتزود المجموعة الأولى من بعدها بتقرير عن المدعوين وطباعهم ومدى تمسكهم بالمخالفه وقيامهم عليها ، وما تم تحقيقه معهم من خطوات التغيير ، وإذا حدثت عقبات لإحدى المجموعات فلتبينها لمن بعدها وكيف تم تذليلها وأسباب حدوثها وهل ترجع هذه الأسباب إلى خلل فى عملية التبليغ أو لأمور خارجـــه عـــن ذلك ؟ ليستفيد اللاحق بخبرة السابق .

وينبغى الإشارة إلى أنه من المستحسن أن تلتقى المجموعات السابقة مع اللاحقة أمام المدعوين ولو ليوم واحد ليكون اتصال الدعوة قائما وحتى لا يستشعر المدعوون أن الأمر قد انتهى برحيل المجموعة الأولى وقدوم الثانية .

وهذا التدريب ممكن وميسور فى دعوة المسلمين حيث المساجد والمدارس والقرى ، أما بالنسبة لدعوة غير المسلمين فهذا غير ممكن ، ولكن يمكن أن يتم التدريب على دعوة غير المسلمين ، بتقسيم الطلاب المتدربين إلى مجموعات يتبنى بعضها عقائد غير المسلمين ، فتحدد مواطن الشبه ومواضع المغالطات فى عقيدة ما ، ويدخل المتدربون فى حوار وجدل لبيان الخطإ والخلل فى الاعتقاد مع الفريق الآخر الذى يحاول الدفاع عن هذا الخطإ معتمدا على ما يردده أهله الحقيقيون من أصحاب العقائد الباطلة ويدرب الداعى على أن يكون الرد معتمدا على مسلمات الخصم لأنه يقوم بدور الكافر ، ولا يكون رده على انه مسلم يقوم بهذا الدور .

وهذا - أعنى تقسيم الفريق الواحد إلى خصوم - وارد ففى تدريبات الفرق الرياضية حيث يقسم الفريق الواحد إلى مهاجمين ومدافعين لنفس الفريق ، وما ذلك إلا صقل مواهب الفريق فى الهجوم والدفاع فى المباريات الحقيقية وتدارك أخطاء التطبيق لقواعد اللعبه وتوجيهات المدرب .

فلا مانع إذا من الاستفادة من تقسيم مجموعات الدعاة لتدريبهم ذهنيا وجدليا على الدعوة ليكونوا مؤهلين بنسبة كبيرة لمباشرة ذلك عمليا فى ميادينه المختلفة فى دعوة غير المسلمين فى بلادهم أو فى بلاد المسلمين .

وينبغى الإشارة إلى أنه فى دعوة المسلمين يكون الداعى فى مسجد من المساجد على سبيل الدوام والاستمرار فلديه فرصه أكبر بالتعاون مع إخوانه الدعاة بنفس القرية أو المدينه للاتفاق على خطة دعويه لإزالة منكرات المجتمع الذى يمارسون فيه دعوتهم بعد تحديدها وترتيبها حسب أهميتها - مراعين أصول التبليغ والتعامل الصحيح مع المدعوين - متفقين فيما بينهم متضامنين حتى يقبل الناس دعوتهم ويلتزموها وذلك بقدر الإخلاص فى الدعوة والصدق فيها ، وبمدى ما أقاموه من علاقات طيبة مع مدعويهم وتمتعهم بثقتهم وحبهم ، وقبل كل هذا توفيق الله لهم .

٣-تسجيل مراحل التدريب للوقوف على مستوى المتدرب :

وذلك يكون بإعداد استمارات تدريب للأفراد والمجموعات حتى يمكن استدراك السلبيات ، وتعزيز الإيجابيات لدى المتدرب لصقل موهبته وصنعه دعوياً :

أ - فعلى المستوى الفردى ، أرى أن يتضمن التقرير البنود الآتيه :

١- أسم الدارس .

٢- مكان الدعوة .

٣- موضوع الدعوة .

٤- الأسلوب الدعوى المستخدم .

٥- سبب أختياره ؟

٦- الوسيله المستخدمه ، ونوعها ؟

٧- نص الموضوع.....

وفى نهاية التقرير يذيل بمساحة يبين فيها المشرف رأيه فى ملاءمة أدله الموضوع له ، ومدى التزام المتدرب بما حدده من الأسلوب والوسيلة تبعا لنوعية المدعوين وثقافتهم وتبعا لسبب اختياره الذى حدده ويعرف الطالب بذلك ليتدارك أخطاءه فى المرات التاليه للتدريب .

ب) وعلى المستوى الجماعي (قوافل الدعوة) . يمكن أ. يكون ذلك على النحو التالي :

أ - تقرير عام في بدء القافله يشتمل على ما يلي:-

١. اسم الجهه مكان المخالفه (قرية - مدينه - حي)

٢. نوع المخالفة وترتيبها ؟

٣. نوع البيئه الاجتماعية (حضريه - ريفيه)؟

٤. أشهر العادات والتقاليد التي يتميزون بها ؟

٥. السمات العامة لسلوك السكان ، وطباعهم ؟

٦. هل توجد أماكن للهو ، أولا ؟ وإن وجدت فما هي ؟

٧. عدد المساجد بها (أهلية ورسمية) وهل كلها مزودة بأئمة دعاه ؟

٨. ما الأمور المحببة ، أو المكروهه لديهم ؟

ب- وعند ممارسة القافلة عملها يضاف :

٩. أسماء أعضاء القافلة ؟

١٠. مدة إقامتهم بالمكان ؟

١١. موعد اللقاء بين السابق واللاحق من أعضاء المجموعات ؟

١٢. هل وقعت مشكلات عاقت مسيرة الدعوة ؟ ما هي ؟ وما أسبابها ؟

١٣. ما ذاتم إنجازة من خطوات التغير ؟

١٤. هل هناك حاجة إلى مجموعات أخرى لزيارة المكان ؟

ويذيل التقرير برأى المشرف على التدريب مبينا فية ملاحظاته على أعضاء المجموعة صاحبة التقرير من حيث الأداء وتنفيذ المنهج واختيار الأساليب - ومدى ملاءمة الوسائل لحال المدعوين . ولا يخفى أن كل أشكال التبليغ والدعوة تدريب مباشر على الوسائل من الخطبة والدرس والندوة ، وإذا احتاج الأمر إلى المجادلة فلا

بأس من التزام آدابة ، وهذا كله مع القدوة العلمية وعدم مصادمة مشاعر المدعوين والاحتفاظ بحبهم وودهم .

جـ - ويجب أن تحتفظ جهة التدريب بجانب التقريرات السابقة بتقرير عام عن كل افراد المجموعات بالقافلة يدون فيه البيانات الآتية :

١- الجهة التى تقوم بالتدريب ؟

٢- عدد الطلاب المتدربين ؟

٣- عدد المجموعات المكونة منهم ؟ وعدد أفراد كل مجموعة

٤- اسم الجهة التى فيها التدريب ؟

٥- المخالفات المراد إزالتها وترتيبها ؟

٦- محل إقامة القافلة بالمدينة او القرية (نزل شباب - مسكن مؤجر - مسجد)

٧- عدد المجموعات اللازمة للدعوة فى المكان ؟

٨- نسبة نجاح كل مجموعة فى إنجاز ما كلفت به ؟

٩- الزمن الذى تقيمة مجموعة ؟

١٠- هل وقعت مشكلات فى الدعوة ؟ وما نوعيتها ؟

١١- هل قامت كل مجموعة بإزالة ما صادفها من مشكلات ، او لجأت الى المركز الرئيسى المشرف على التدريب ؟

١٢- هل دعا الأمر الى تدخل جهات أمنية لحماية مجموعة الدعوة وإزالة العقبات ؟

١٣- وأخيرا : أسماء المشرفين على المجموعات ؟

وفى نهاية كل يوم عمل يتم اجتماع المشرف بالمجموعة لمناقشة السلبيات التى يجب تلافيها فى المستقبل ليكون الأداء أفضل وتحقيق الغاية أقرب .

وما سبق ذكره من تصورات فى التدريب أمر نسبى مجرد نماذج يضاف اليها أو يحذف منها حسب ما تراه الجهات المشرفة على التدريب وحسب مقتضيات الدعوة وأحوالها وما يستجد من أحداث .

وهذا آخر مايسره الله لى أسأل الله أن يجعله خالصا لوجه الكريم إنه هو نعم المولى ونعم النصير ، وولى التوفيق والهادى الى الرشاد .

****

الخاتمة

نحمد الله تعالى فى الأولى والآخرة . والصلاة والسلم على صاحب السيرة العطرة والأنوار الزاهرة ، وبعد :

فإن هذه الدراسة فى الدعوة هى جهد المقل فى هذا المضمار وإن ميدان التبليغ متطور الوسائل والأساليب مع ثبات المصادر والقواعد ، وسرعة إيقاع حركة الحياة وتوالى الأحداث وظهور المستجدات من مختلف القضايا المتعلقة بالدين والحياة تستلزم معاصرة ومسايرة فى مناهج التبليغ وأساليبها ، والمعرفة الكاملة بوسائل التبليغ والاتصال الحديثة حتى لا تصاب الدعوة بالجمود والتخلف عن ركب الحياة الفكرية ، ولذا فلا أدعى الكمال فى تلك الدراسة وإنما هى مجرد إسهام يوضح ملامح ارتباط الدراسة النظرية بالتدريب العلمى البناء الذى يصقل شخصية الداعى إلى الله ويصير لدية القدرة على الممارسة الجادة المحققة للهدف فى حياته العملية . فإذا كان الله قد ألهمنى الصواب فذلك من فضل الله يؤتيه من يشاء وله الحمد والمنة ، وإن كانت الأخرى فأسألة سبحانة العفو عن السيئات ومغفرة الزلات ، وأخيرا اختم بقول الله تعالى :

﴿ وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى المللك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا ﴾ (الاسراء ١١١) وآخر دعوانا ان الحمد الله رب العالمين .

د. جلال البشار

قليوب فى ٢٩ رجب ١٤١٩ - ١٨ نوفمبر ١٩٩٨

١- فهرس بأهم المراجع

اولا : القرآن الكريم

ثانيا :

(أ)

١- أساس البلاغة - الزمخشرى - ط بيروت
٢- أسباب النزول - الواحدى - ط عالم الكتب بيروت
٣- أصول البحث ومناهجة- د / أحمد بدر- ط وكالة المطبوعات بالكويت بدو ن
٤- أصول الدعوة - د / عبد الكريم زيدان - ط مؤسسة الرسالة
٥- الاتقان فى علوم القرآن - جلال الدين السيوطى - ط المكتبة الثقافية بيروت لبنان
٦- الأحكام السلطانية - الماوردى - ط دار الكتب العلمية - لبنان
٧- الإسلام يتحدى (مدخل علمى إلى الإيمان) - وحيد الدين خان - ترجمة عن الاوردية ظفر الدين خان - ط المختار الإسلامى للطباعة والنشر والتوزيع رابعة ١٩٧٣

(ب)

٨- بين الاسلام والمسيحية كتاب أبى عبيدة الخزرجى) - تحقيق وتقديم د / محمد شامة - ط مكتبة وهبة
٩- البحث العلمى وأساسياته للعلوم التربوية والسلوكية - د / النجاتى الشيخ سبور - ط أولى عام ١٩٨١

(ت)

١٠-تاريخ الجدل - الامام محمد ابو زهرة - ط دار الفكر العربى ١٩٨٠

١١-تذكرة الدعاة - البهى الخولى - ط مكتبة الفلاح - الكويت سادسة ١٩٧٩

١٢-ترتيب القاموس المحيط - طاهر أحمد الزاوى - ط عيسى الحلبى - ثانية ١٩٧٣

١٣-تفسير البيضاوى - ط دار الكتب العلمية - بيروت لبنان اولى ١٩٨٨

١٤-تفسير القرطبى (الجامع لأحكام القرآن) - ط دار الريان للتراث - مصورة عن طبعة الشعب

١٥-تفسير القرآن العظيم - ابن كثير - ط دار إحياء الكتب العربية - عيسى الحلبى

١٦-تفسير الكشاف - الزمخشرى - ط دار المعرفة - بيروت

١٧-تفسير المراغى - ط مصطفى الحلبى - رابعة ١٩٧٠

١٨-تفسير المنار - محمد رشيد رضا - ط دار المعرفة بيروت بدون

١٩-تفسير النسفى - ط دار إحياء الكتب العربية - عيسى الحلبى بدون

٢٠-التعريفات - الجرجانى - ط مصطفى الحلبى - القاهرة

٢١-التفسير الكبير - الفخر الرازى - ط دار الكتب العلمية ، طهران

(ح)

٢٢-حكم الإسلام فى وسائل الإعلام - د / عبد الله علوان

(خ)

٢٣-الخطابة - الإمام محمد ابو زهرة - ط دار الفكر العربى بدون

(د)

٢٤-دعوة الرسل الى الله تعالى - محمد أحمد العدوى - ط الحلبى بدون

٢٥-الدعوة الإسلامية ، أساليبها ، وسائلها ، د / أحمد غلوش - ط دار الكتاب المصرى القاهرة .

٢٦-الدعوة فى عصر النبوة - د / أحمد غلوش - ط مطبعة المدنى عام ١٩٧٢

(س)

٢٧-سنن ابن ماجة - محمد بن يزيد القزوينى - ط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

٢٨-سيرة ابن هشام - تقديم طه عبد الرءوف ط- عبد السلام شقرون بدون

٢٩-سنن أبى داود - مراجعة وضبط محمد محى الدين عبد الحميد - ط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

٣٠-سنن الترمذى (الجامع الصحيح) ط مصطفى الحلبى - ثانية ١٩٧٥

(ش)

٣١- شرح البيجورى على الجوهرة (تحفة المريد على جوهرة التوحيد) - ابراهيم البيجورى - ط المطابع الأميرية ١٩٦٩

٣٢-شرح العقيدة الطحاوية - الحنفى - ط مكتبة المعارف - الرياض بدون

(ص)

٣٣-صحيح مسلم بشرح النووى - ط الشعب - بدون

٣٤-صحيح البخارى (متن) - ط الشعب بدون

(ع)

٣٥-عقيدة المسلم - الشيخ محمد متولى الشعراوى - جمع عبد القادر عطا - مكتبة التراث الإسلامى

(ف)

٣٦- فتح البارى على صحيح البخارى - ابن حجز العسقلانى - ط مكتبة الكليات الأزهرية .

٣٧-فقة الدعوة والاعلام - د / عمارة نجيب - ط دار المعارف - الرياض

٣٨-فى ظلال القرآن - سيد قطب - ط دار الشروق - خامسة بدون

٣٩-الفروق اللغوية - أبو هلال العسكرى - ط القدس بالقاهرة

(ق)

٤٠-قصص الأنبياء - عبد الوهاب النجار - ط العالميه للتوزيع

٤١-قصص الأنبياء - ابن كثير - ط دار عمر بن الخطاب للطباعة والنشر الاسكندرية أولى ١٩٨١

٤٢-قطر الندى ويل الصدى - ابن هشام الانصارى - ط دار الكتب العصرية

(ل)

٤٣-لسان العرب - ابن منظور - ط دار صادر / بيروت

(م)

٤٤-مباحث فى علوم القرآن - مناع القطان - ط مؤسسة الرسالة .

٤٥-مختار الصحاح - محمد بن أبى بكر الرازى - ط عيسى الحلبى بدون

٤٦-معجم ألفاظ القرآن الكريم - مجمع اللغة العربية - ط دار الشروق بدون

٤٧-مقدمة ابن خلدون - مطبوعات مكتبة عبد السلام شقرون بدون

٤٨-مقدمة فى وسائل الاتصال - أ.د / على عجوة وآخرون - ط مكتبة مصباح جدة السعودية

٤٩-مناهج الجدل فى القرآن الكريم - د / زاهر عواض الألمعى - ط مطابع الفرزدق التجارية

٥٠-المدخل الى علم الدعوة - د / محمد أبو الفتح البيانونى - ط مؤسسة الرسالة اولى عام ١٩٩١

٥١-المعجم الوسيط - مجمع اللغة العربية - ط دار الفكر

٥٢-المعجزة الكبرى - الامام محمد أبو زهرة - ط دار الفكر العربى - ١٩٨٠

٥٣-المنقذ من الضلال - أبو حامد الغزالى - تعليق د / عبد الحليم محمود ط دار الكتب الحديثة - ثامنة عام ١٩٧٤

٥٤-الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة - إصدار الندوة العالمية للشباب الاسلامى - الرياض عام ١٩٧٢

(ن)

٥٥-نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين - محمد بك الخضرى- طبعة مكتبة الإيمان - السعودية .

(هـ)

٥٦-هداية المرشدين - الشيخ على محفوظ - ط المكتبة المحمودية التجارية بدون .

****

٢- فهرس الموضوعات

الطبعة الأولى ١٩٩٩م

رقم الايداع ١٨٦٨ / ٩٩
I. S. B. N. 977-19-7903-5

دار شعلان للطباعة
قليوب البلد - ش المدارس ت : ٢١٥٤٢٥٣